الفوز

رواية عن الدبلوماسية الحديثة

تأليف : جون كينيث جالبريث
ترجمة : محمد محب عبد الغفار



اهداءات ٢٠٠٤

أ.د / رمزى زكى

الفوز

رواية عن الدبلوماسية الحديثة

تأليف : چون كينيث جالبريث

ترجمة : محمد محب عبد الغفار

مراجعة : محمد فتحي

الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر
١٩٧١

إلى
أفريل هاريمان

كلمة المؤلف

توضيح

هذه قصة حاولت من قبل ، روايتها فى شكل محاضرات أو مقالات • على أن من الحقائق ما قد يبدو أكثر وضوحا من خلال الخيال والقصة • ولقد ترددت كثيرا قبل أن أضفى على هذه الخرافة الصغيرة كلمة قصة ، فسيتبين القارىء محاولات من الكاتب للارشاد والتعليم أكثر مما ينبغى • ولقد يطلق عليها « ترومان كابوت » اسم الرواية التى ليست برواية • وأود أن أقرر أنه لا توجد أية شخصية خيالية فى هـذه القصـة ، فقد جمعتها كلها من أجزاء متناثرة ممن عرفت من الناس فى الحياة العامة ، لكن هذه الأجزاء أصـغر من أن يميزها أحد فى شخص حى • أقول ذلك حتى لا يضـيع أحد وقته محاولا التعرف فى ثنايا الرواية على أصـدقائه أو أعدائه أو حتى نفسه • كما لا أود أن يقال أيضا : اننى استخدمت خرافة لأعبر عن الكثير من الآراء التى لا أجرؤ على نشرها فى مجال آخر • فمعلوم لبعض الناس أننى لم التزم الصمت كناقد لسياستنا الخارجية فى السنوات الأخيرة •

جون جالبريث

كلمة عن المؤلف

يعيش جـــون كينث جالبريث فى الوقت الحاضر فى كمبردج ماساشوتس ، ويعمل حاليا أستاذا للاقتصاد فى جامعة هارفارد ، اذا استثنينا الفترة التى خدم فيها سفيرا لبلاده فى الهند ، ابان حكم الرئيس الراحل كيندى الذى كان من المعجبين جدا به ، وخصوصـا برسائله وبرقياته المملوءة بالسخرية وروح الفكاهة التى كان يرسلها من مقر منصبه وهو يعد من أشهر كتاب الولايات المتحدة ، وله عدة كتب فى السياسة والاقتصاد والاجتماع ، وقد انتخب فى عام ١٩٦٥ عضوا فى المعهد الوطنى للفنون والآداب ٠

وهو يرأس فى الوقت الحاضر جمعية « الحركة الوطنية الأمريكية للعمل الديموقراطى »

المترجم

الفصــــل الأول

تقــع مكاتب كبار موظفى وزارة الخارجية الأمريكية فى المبنى الذى لايزال يسمى «المقر الجديد لوزارة الخارجية» أما الوزير ووكيلا الوزارة الذين يعنون بالسياسة الخارجية لتعيين الموظفين أو اعداد الميزانية أو أمن المواصلات ، فلهم جناحهم الخاص الذى يؤدى اليه ممر صــغير خاص تقوم على حمايته سكرتيرة جمة الأدب توقف كل زائر وتستفسر عن الغرض من زيارته ، ولا تسمح بالمرور الا لقلة من الموظفين تعرفهم شخصيا ، وهؤلاء عادة تحييهم من مقرها بغرفة الاستقبال الكبيرة باسمهم الشخصى • أو لقبهم وهم يمرون فى الطرقة المذكورة ويختفون فيها ـ « سيدى السفير مستر نيته ، مستر هلمز •• ! »

ولقد تم بناء المقر الجديد فى عهد الوزير مستر جون فوستر دالاس الذى ترك أثر شخصيته وسياسته على مكاتب هذا الجناح • فالغرف واسعة مبطنة من الداخل بخشب الماهوجنى الداكن اللون وكثرته توحى لسوء الحظ بأنه قشرة رقيقة من الأبلكاش تشرع العين لا شعوريا فى البحث فيها عن شقوق • والمكاتب من النوع الثقيل والكراسى والأرائك من الجلد الأسمر كل ذلك ليعطى صورة رســمية قاتمة ويحرس مدخل الجناح ـ بالاضافة الى الســـكرتيرة ـ كتلتان ضخمتان من الرخام الأبيض لا يقل وزن كل منهما عن عدة أطنان •

وترى عن قرب ربما فى غير محلها ساعة عتيقة لطيفة الشكل • ويزين حائط الممر الصغير صورا لوزراء الخارجية السابقين تبدو حتى عهد وليام جنخنجزيرابان على قدر من المهابة ثم تتدهور بعد ذلك تدهورا سريعا فى كيفها وأسلوبها حتى وقت الوزير حتى أن صورة جيمس ف بيرنز توحى ايحـــاء خفيفا بأنه هارب من العـــدالة وأن ادوارد ستيتينوس تم القبض عليه لتوه • ويظهر دين اتشنسن كشخص روحانى بوغت عند تصويره • ان التأثير العام وليس تأثير الصـــور وحدها بشع ، وتعكس عقيدة دالاس بأن الدبلوماسية لا تكرم فنـــا أدنى منها مرتبة وأنه لا مكان فيها للتجميل أو الزخرفة ، انما المهم هو أن تؤثر ولا بأس من أن تخيف وترعب • أما فى بقية المبنى حيث لا تقتضى الحاجة احداث هذه التأثيرات فالمنظر مختلف جدا ـ كأنما هو مستشفى زيد عدد موظفيه زيادة غير عادية •

يستثنى من ذلك الجو غرفة صغيرة فى الطابق الثامن ـ وهـو طابق ليس معدا للمكاتب وانما لحفلات الاستقبال الرسمية والحفاوة ببعض كبار الزائرين فى غداء أو عشاء وغير ذلك من مناسبات البروتوكول العالى • وهنا أيضا مطعم الموظفين • الغرفة حجمها بسيط وأثاثها بسيط ولكنها توحى بجو بهيج • على طول الجدران صـــفت موائد صغيرة تسمح بجلوس شخصين على كل • وصفت موائد أكبر ناحية الوسط • وتطل نوافذ الحجرة على نهر البوتوماك ، كما يمكن منها مشاهدة البنتاجون • والطعام الذى يقدم كالأثاث وظيفى • ولا تقدم خمور حتى البيرة •• الأمر الذى يجد فيه الدبلوماسيون القادمون من الخارج للمشاورة راحة من حفلات الكونياك ولقم الخبز المحمرة والأطباق المتتالية والنبائذ والقهوة والكونياك، تلك المراسم التى لابد منها في حفلات الغذاء الرسمية والا اهتزت كرامة الأمة العظيمة وسمعتها •

وجرت العادة أن لا يتناول الوزير أو وكيلاه أو مساعدوه الطعام

فى الصالة البهيجة المخصصة لذلك فى الطابق العلوى فوقتهم ثمين لا يسمح بذلك فوجبة الطعام فى نظرهم هى امتداد للعمل فقد يكون الغذاء مثلا فرصة لحديث منفرد مع شخصية هامة أو استكشاف لسياسة دولة أجنبية مع مندوبها أو لتلقين بعض التعليمات لسفير دولة صديقة ولكنها فى تقدير الوزارة دولة متخلفة سياسيا أو للاطلاع على مافاتهم الاطلاع عليه فى حينه من مذكرات عاجلة وبرقيات ·

لذلك يفضل من هم فى هذه الدرجة من الأهمية انجاز هذه الأعمال مع تناول الطعام فى مكاتبهم · أو قد يدعون الى البيت الأبيض لتقديم الاحترام لعاهل زائر أو الى سفارة أجنبية لنفس الغرض ثم يعودون وقد داعب الشراب رؤوسهم وشعروا بثقل الطعام · وحتى يحس موظف الوزارة الأقل قدرا بأهميته وخصوصا أمام نفسه فكثيرا ما يأمر باحضار بعض السندويتشات وأقداح القهوة الى مكتبه وحده فى حين يشغل نفسه بقراءة بحوث وتقارير وشهادات للكونجرس لا حاجة الى قراءتها ·

فى عهد روزفلت لم يكن فى الوزارة كلها سوى أثنين فى رتبة مساعد الوزير وكانا مميزين مرموقين حتى أن أحدهما ويدعى ريموند مولى كان لا يكف عن الاعتقاد بأن آراءه فى السياسة جديرة بأن تحظى باحترام يزيد قليلا عن الاحترام الذى تحظى به آراء رئيس الجمهورية نفسه أما الآن فدليل الكونجرس يسجل مالا يقل عن تسعة من هؤلاء المساعدين بجانب عدد كبير يظن أنهم يمثلون نفس المرتبة ويتناولون نفس الأجر · وكان لابد لهذا التمييع من أن يحدث أثره فحاملو اللقب احساسا منهم بخطر الانغمار والضياع فى زحمة نكرات العاملين وجدوا من الحكمة أن يتخذوا الحيطة ·

تقوم صالة الطعام بجانب أنها تهيء طعاما جيدا نسبيا بوظيفة

عامة هامة جدا ففيها يمكن لأى موظف أن يعطى أو يحصل على معلومات قد لا تكون من الدقة بحيث تقدم فى اجتماع كل صباح عن الوزير أو أن تدرج فى مذكرة أو أن تظهر فى برقية أو التى لم يتيسر التثبت منها ويمكن بذلك أن تجد طريقها الى التقارير الأسبوعية لوكالة المخابرات المركزية • ومثــل هــذه المعلومات على جانب كبير من الحيوية والأهمية ، فالذى يرد عن طريق هذه المصـــادر المنتظمة للمعلومات هو بالفعل ما يعرفه الانسان • واذا فرض وتناول فرد غذاءه وحيدا فانه لا يلتقط الاشارات الأولى للأحداث الكبرى التي سوف تقع وبالتالى لن تكون له شهرة الشخص الذى يعرف ماذا سيحدث فى الغد !! والحكيم هو الذى يذهب الى قاعة طعام الموظفين اذا أحس بأن شيئا خطيرا على وشك الوقوع • ولو كان فى ذلك مساس بشهرته •

فى هذا اليوم الذى تبدأ فيه قصتنا كان احساس غامض أن شيئا ما سيحدث ربما لا يكون خطيرا ولكن الجو كان مشـــحونا • فمنذ أســبوعين أو أكثر وهنــاك شائعات أن ثورة قد تندلع فى «بورتوسانتوس» بل أن بعض الصحف قد ذكرت أن قتالا قد شب فعلا هناك وحتى نعطى «بورتوسانتوس» مركزها الصحيح لابد أن نشير الى أنها دولة ليست من الدول الهامة ولكنها مثل حى لعبقرية الدبلوماسية الأمريكية الفذة التى كثيرا ما تضفى أهمية كبيرة وان تكن مؤقتة لأراضى عديمة الأهمية • وكما حدث فى لاوس والدمينكان والكونغو واليمن وبصورة بارزة فى فيتنام يتكرر نفس الأمر الآن بالنسبة لبورتوسانتوس

لذلك أعلنت حالة الاستعداد فللجميع اهتمام مشروع بشئون أمريكا اللاتينية ولكن على الأخص بين من له مصلحة بمسائل أمريكا الوسطى أو الكاريبى •

اجتمع شمل بعض كبار الموظفين حول مائدة فى صالة الطعام. بدأ الحديث شخص ضئيل الجسم ذو وجه طويل ينم عن الذكاء وشعر أشعث وخطه المشيب يرتدى سترة من التويد لا توحى بالأناقة ولكنها تخفى القشر المتساقط من شعره . وقد ألقى سؤاله قبل أن توزع قائمة الطعام علامة على أهمية السؤال ورغبته فى أن تقوم المناقشة على أساس وطيد من الحرفية .

« ما رأيك فى الموقف فى بورتوسانتوس ؟ »

وجه السؤال الى وورث كامبل الذى نظر الى الشخص الضئيل الجسم لفترة صغيرة فاحصا اياه ولم يشك أحد من الحاضرين أن كامبل هو الشخص الذى يوجه اليه مثل هذا السؤال ويجيب عليه. قد يكون للآخرين رأيهم ولكن الدكتور جرانت وورتنج كامبل يشغل منصب مساعد وزير الخارجية لشئون الدول الأمريكية كما أنه المسئول عن تنسيق برنامج التحالف من أجل التقدم .. وعندما أجاب على السؤال كان صوته عذبا رقيقا جذابا يوحى بالثقة وكان صوته منسقا مع شعره الأبيض وجبهته العالية وبشرته الناعمة الوردية كأنما هى بشرة شاب . عيناه وحدهما بصغرهما وعدم ثباتهما من خلف نظارتيه المجردتين من الاطار كانتا الشىء الذى يخالف الصورة . كانتا كعينى مدرس من ذلك النوع المشاكس .

«ان سؤالك ليوحى أن موضوع بورتوسانتوس هو فكر طارىء. وربما كنت على حق قد يكون ردى بالايجاب أو النفى !! ألا تظن أن هذا رد دبلوماسى ؟! »

« اذ ما أعنيه هو هل يمكن ـ فى تقديرك ـ لحكومة أبريجون أن تجتاز الأزمة؟» وأصبح صوته عذب النغمة كما لو كان صاحبه قد قصد ذلك .

« حقيقة الاسم مارتينيز فعليكم يا أساتذة التخطيط السياسى أن تدركوا أنه لو أن الأسبانيين يعاملون أمهاتهم بغاية الرقة الا أنهم يستخدمون عادة اسم الأب . لقد اطلعت على نفس البرقيات التى اطلعت عليها . فبيثويك مقتنع بقوة مارتينيز وأنه سيتغلب على هذه الأزمة . أما عن المستقبل البعيد فالصورة غير واضحة ولكن عندئذ سنكون قد انتقلنا لرحمة الله جميعا . القول لكينز أليس كذلك ؟

وهز كثير من الجالسين رءوسهم موافقة منهم على رد مساعد الوزير ولكن الرجل الصغير استمر فى حديثه .

« ان تحليلنا التمهيدى يدل على أن هناك عدم رضاء عام فى بورتوسانتوس »

« قد يكون ذلك صحيحا . بل انه من الصعب تقدير مدى الغليان الحقيقى ولكن حتى الآن قد تمكن الرجل العجوز من السيطرة الكاملة على الأمور كما أنه أثبت على مر الأيام أنه صديق طيب لنا فالشيوعيون لا يحبونه وقد تحمل الكثير من النقد من بعض مواطنينا ولكن ذلك لا يمنعنى من الاعتراف أن بعض أساليبه فى الحكم ليست مما تستسيغه نفوسنا »

وانضم الى الجالسين على المائدة مدير برنامج المعونة المالية والمواد الأولية والتفت اليه مساعد الوزير قائلا :

« لماذا لا تعد لذاكرتنا ما يجرى هناك ياجون ؟ »

« انكم تعرفون عن برنامج المعونة العسكرية وبجانب ذلك هناك برنامجان للاصلاح الزراعى وقد انتهينا أخيرا من عقد جديد مع شركة تكساس لانشاء كلية للزراعة هناك . وهناك مشروع لصيد الأسماك وتبريدها وحفظها . ولعلكم تعلمون أن مارتينيز قد سمح للفلاحين فى عام ١٩٦٠ ــ بالاستيلاء على مزرعة التجارب التى أقمناها

هناك ووزعها على الفلاحين حين حاولوا الاستيلاء على الاقطاعيات الكبرى فى الجبال وقد فعل ذلك على حسابنا ليظهر للشعب أنه لا يمانع من حيث المبدأ على برنامج للاصلاح الزراعى !! »

« أليس هناك أيضا معونة مالية يغطى بها عجز الميزانية ؟ »

« يا الهى ! لقد نسيت ذلك . نعم هناك المعونة بالنسبة للعسكريين فذلك الجزء من البرنامج هو ما يهمهم خلال العامين الماضيين يجتمع السفر بيثويك برئيس الدولة وكل مرة يكون الثمن ٥ مليون دولار . ان الذى يحصل عليه أقل مما يطلبه ـ الا منا ! »

ومرة أخرى تكلم وورث كامبل

« عموما يا سادة لا يمكننا القول ان استثمارنا لم يأت بفائدة ! . »

ومرة أخرى هز الجميع رءوسهم علامة الموافقة . واسترعى انتباه مساعد وزير الخارجية شخص ضمن الجالسين قال :

« ما هو تقديرك للموقف يا دكتور فى بورتوسانتوس بالنسبة لأمن العالم الحر ؟ » .

وكان الشخص الذى وجه السؤال نحيفا حسن المظهر فى حوالى الأربعين من عمره ذهبى الشعر قصيره ينم وجهه العابس عن الصحة وبعكس مظهر رجل التخطيط السياسى فحلته أنيقة جيدة التفصيل وعموما فمظهره يدل على النظافة التامة والعناية بنفسه .

« ان هذا هو اختصاصك يا كولونيل ماسى أليس كذلك ؟ واعتقد أن نظرة السلاح الجوى طيبة . من المؤكد أننا لا نود أن يعبر الشيوعيون خط هدنة رستو فى هذه المنطقة من العالم فلو حدث هذا تيحت لهم الفرصة للتدخل فى جواتيمالا وفنزويلا وربما كولومبيا .

ويجب أن نتذكر أن قطع الدومينو ليست كلها فى آسيا ، كما أننا يجب أن لا نغفل عن قناة بنما ٠

« دكتور فى رأيك هل هناك بديل للرئيس مارتينيز ؟ »

« كولونيل ٠ من تجربتى فى شـــئون أمريكا اللاتينية هناك دائما بديل ولكن ليس من الضرورى أن يكون هذا البديل هو الأحسن بل غالبا يكون الأسوأ ولصعوبة معرفة أى نوع من البديل سنواجه به فمن الخير أن نقف بجانب أصدقائنا ـ أو هذا ما يجب أن نفعله ٠ وانى لأرجو أن يفهم مواطنى هذا المبدأ البسيط فى الحياة »

وظهرت عاملة المطعم لتهمس فى اذن وورث كامبل أن سكرتيرته تطلبه فى التليفون وقد أحس بالراحه للتخلص من بقية الحديث فهل كان ينبغى أن يكون هنا فى هذا الوقت بالذات ليدير ندوة ٠

يعمل وليام (بيل) أودنيل فى ادارة كامبل كقائم بأعمـــال مدير ادارة وسط أمريكا وشئون الكاريبى ورغم بلوغه الأربعين من عمره فانه مازال فى الدرجة الثالثة وهو أحد الأشخاص الذين يضمر لهم وورث كامبل الكره ٠ فالايرلنديون والكاثوليك نادرون نسبيا فى وزارة الخارجية التى كانت لعهد قريب حكرا على الانجلوساكسون البروتستانت ولكنها الآن أصبحت ائتلافا سائغا بينهم وبين اليهود المهتمين بشـــئون المجتمع ٠ لذلك كان من الممكن أن يغفر لأودنيل الايرلندى سيما وهو صغير الدرجة ٠ كان صغر الدرجة يقلق أودنيل أحيانا ولكن ليس كثيرا فهو فى كبره قد أحرز تقدما بالنسبة لأيامه الأولى ، حين كان واحدا من بين أربعة أولاد لمقدم عمال فى قســـم ســـانتا فى تعلم من عماله الكادحين طلاقة لســـانه وتمكنه من الأسبانية ٠ لقد بدت على أولاد أودنيل اذ ذاك دلائل عدم الصبر ٠

عاد وورث كامبل الى مكتبه عقب المحادثة التليفونية وقد وقف وليام « بيل » أودنيل ينتظره فى مكتبه الخارجى وفى يده برقية •

« لقد قدرت أن هذه القصاصة ستثير زوبعة فى الدور العلوى لذلك سـارعت باخبارك لادراكى أنك بحاجة لبعض الوقت بعد تصفحها »

ونظر اليه مساعد الوزير نظرة تمنى فيها أن تخفى عن أودنيل مبلغ نفوره منه • يعتبر فى وزارة الخارجية الأمريكية تبويب أسبقيه « طوارىء » فى درجة أقل من أسبقية « حرج » التى يحتفظ بها عادة لحالة اعلان الحرب أو ما يماثل ذلك • وهذا نص البرقية :

فلوريس **سرى**
بورتوسانتوس

وزير الخارجية **طوارىء ـ يحدد التوزيع**
واشنجطون

انتهيت من اجتماع طارىء مع رجالنا لاعادة النظر فى الموقف من جميع جوانبه • رغم أن بعض الصور غير واضحة فمازلت واثقا من استقرار حكومة مارتينيز وقدرته على السيطرة على الاضطرابات الحالية • ومع ذلك فقد حدث بعض التدهور الخطير خـلال الأربع والعشرين ساعة الماضية • كما أن الأمن مضطرب فى بعض المناطق الهامة فى فلوريس مثل السجن وسلخانة البلدية وخزانات أسـو تؤكد السلطات المحلية اتخاذها خطوات فعالة سريعة لاعادة النظام • رددت محطة الاذاعة فى الساعتين الأخيرتين نشرات معادية لمارتينيز مما يوحى باحتمال الاستيلاء على الاذاعة • حددت لى مقابلة مع مارتينيز فى الساعة الحادية عشرة الليلة بتوقيت فلوريس • أشعر أن هذه

فرصة مواتيه لتحرك حاسـم لاعلنه بوعد مؤازرة الولايات المتحدة عسكريا واقتصاديا ومعنويا ضد أى أعمال مضادة للحكومة • أطلب بمنتهى السرعة تفويضا بالتصريح لى بالوعد بهذه المساعدة • فى حالة الرفض فاننى لا أضمن أن يتدهور الموقف بشكل قد يساعد عناصر غير صديقة على محاولة الاستيلاء على السلطة • أؤكد مرة أخرى النتائج الخطيرة التى قد تهدد مصالح الولايات المتحدة ومنتصف الكرة الغربى وأمن العالم الحر فى هـذه المنطقة ذات الأهمية الحيوية والاستراتيجية •

اننى متيقظ لأية تطورات جديدة •

بيثويك

نظر وورث كامبل الى سكرتيرته ومعرضـا عن اودنيل وعقب قائلا :

« هذا أمر خطير • اطلبى من سيمس ـ أقصد مستر جونز ـ أن يحضر حالا واخطرى مكتب وزير الخارجية أنى فى حالة استعداد تام • وأرى من المستحسن أن أنبه البيت الأبيض » •

الفصل الثانى

توجد فى الأرشيف العام دى اندياس بمدينة أشبيليه ذلك المبنى الضخم الذى يحوى وثائق مستعمرات الامبراطورية الأسبانية ملفات لا حصر لهـا تثبت أن كثرة الأوراق والملفات ليست عادة بيروقراطية مستحدثه • هناك فى أحد الملفات خريطة لمدينة فلوريس أرسلها أحد حكام الاقليم تمشيا مع طلب الحكومة الأسبانية فى ذلك الوقت ، ولكن ما يميز هذه الخريطة أن الذى قام برسمها لابد أن يكون فنانا فهى أكبر من الخرائط الأخرى وملونة • ومبين عليها بدقة الشوارع والميادين وأرض الاستعراض التى أطلق عليها الاسم الفرنسى الأفخم « شامب دى مارس » ـ أى ميدان اله الحرب « كما تظهر كنيسة » سيدتنا الزهراء والمساحة الضخمة المخصصة لمبنى الكتدرائية مستقبلا والجامعة •

وقد بقيت حتى اليوم آثار هذه الفخامة المصممة فى وسط المدينة الحديثة •

تقع فلوريس على هضبة مرتفعة بعيداً عن الشاطىء كريه الرائحة أما ميناء بورتوسانتوس التى اشتق منها اسم الدولة ومعناها ميناء القديسين فقد كانت أبعد ما يمكن عن القداسة والفضيلة ولا مكان للعيش فيها حتى للقديسين •

وفى موسم الجفاف بينما يكون الجو عادة حارا فى النهار فليالى فلوريس لطيفة مما حبب هذا الموسم للسائحين · ولكن لسوء الحظ هناك ستة أشهر فى العام لا يجرؤ أى مكتب سياحى مهما بلغ جشعه أن ينصح أحدا بزيارتها فالمطر ينهمر أياما دون انقطاع ويصبح الهواء ساخنا رطبا أشبه بالبخار المتصاعد من خزان تبريد سيارة تالف · وقد أتلفت هذه الأمطار على مرور السنين غالبية مبانى المدينة وما أمكن اصلاحه استخدم فيه مواد بناء رخيصة كما أن غالبية المبانى القديمة تغطيها طبقة خضراء من الفطر · ويتبين المرء كثيرا من الشجيرات نبتت جذورها فى شقوق المبانى ورغم ذلك فالمنظر مقبول نسبيا اذا قورن بالشوارع العريضة التى أقيمت على جانبها المبانى الحديثة من الاسمنت المسلح وواجهة غالبيتها من الزجاج وقد علا الصدأ جميع المعادن فى هذه الأبنية واذا نفذ أحدهم ببصره الى داخل أحد أبواب هذه المبانى لرأى غالبية الدهان وقد زال وتهشمت الأبواب وفى الداخل ألقى العديد من زجاجات البيرة «الفارغة» والصناديق حتى أصبحت رثاثة هذه المبانى الحديثة تفوق الوصف · واذا بعد الشخص عن مبانى رسل الحضارة الحديثة كفيلبس ، وشل باير وسنجر ، فرثاثة المنظر تتحول الى قذارة وتنحدر القذارة الى فقر مدقع تعيس لا مبرر له ولا جهد يبذل للقضاء عليه ·

وهنا ينتهى رصيف المدينة الملىء بالحفر والخطير فى أغلب الأحيان ولكنه مع ذلك بديل أفضل للطين الكريه · وأسطح غالبية هذه الأكواخ من الصفيح المغطى بالصدأ قليل منه من الحديد المجلفن والبقية من صفيح البترول والبيرة والفاكهة والخضار المطروق وقد زال لونه من زمن بعيد وحل مكانه لون بنى بال مقبض · ويلعب الأطفال فى الطين على جانبى الطريق أو يرضعون من أمهاتهم على الشرفة الضيقة أمام كل كوخ · والكلاب وبعض خنزير عابر ينقبون حول الجذوع القصيرة التى يرتكز عليها أفضل هذه المبانى · فلقد كان هناك عرف

يفضى بالقاء القاذورات والفضلات فى قناة الصرف التى تمتد بجانب الطريق كما ينص بأن يقضى الجميع حاجاتهم فى هذه القناة ولكن التقاليد الأسبانية حتى مع الفقراء قد منعت تنفيذ هذه الفقرة من القانون اذ ما زال هؤلاء الفقراء يتمسكون بالحياء والخجل فبين المنازل والأكواخ التى يحيط بها أشجار النخيل تنمو أشجار الموز ، ولكنها على عكس مثيلاتها فى الضواحى الأشقى حظا من المدن الأوفر عناية لاتقدم الظل فحسب، ولكنها مع الأسف تحتفظ بالرطوبة والطين والروائح الكريهة مما يزيد من عذاب هؤلاء الأشقياء الذين يعيشون بينها ·

ومن المضحك أن يمر حول هذه المنطقة بأكملها شارع دائرى أطلق عليه « طريق روزفلت » والآن نترك هذه الصورة المقبضة لنرى أحياء أكثر قبولا للنفس فالى الشرق على تل يرتفع تدريجيا لمسافة ميلين من وسط المدينة القديمة تقع قصور الأغنياء والأجانب · ويخترقه طريق·· بفضله دائما رجال الحكم للتريض ويقال : ان رئيس الجمهورية مارتينيز كثيرا ماشوهد مع عشيقاته وهو يتريض فيه · ويطلق الدليل الحريص على عمره على الطريق اسم « طريق الأربعين لصا » ويشغل كل بيت على التل مساحة كبيرة ويحيطه حائط من الحجر وتقع غالبية السفارات ومقر المندوب البابوى فى هذه المنطقة · وتمشيا مع التقدم وتشجيع السياحة بنى فندق فخم فى حديقته حمام سباحة على شكل الكلية ولكن سرعان ما ساءت حالة الفندق وأصبح فى حاجة عاجلة للاصلاح كما جف حمام السباحة وأوقف استعماله منذ مدة طويلة ، ففى الأعوام الأخيرة حتى فى الموسم الجاف كسدت السياحة· غير أن هذا التل جزيرة صغيرة من الغنى والثراء والنفوذ أما بقية فلوريس فهى عنوان للقذارة ·

***

سمع فى الفجر صوت طلقات الرصاص يتردد فى شمال

للمدينة واتصلت احدى السكرتيرات التى تعيش هناك بالموظف المنوب بالسفارة لتبلغه أن رجالا غلاظا مسلحين بالبنادق قد احتلوا أجزاء من الطريق وانها عندما حاولت مغادرة المنزل أشار لها أحدهم بالعودة فورا ٠ وانها وجدت هذه الأحداث مثيرة للغاية ٠ '

فى هذه الأثناء دعا السفير بيتويك الى اجتماع للفريق الأمريكى فى الثامنة وبعد حوار اتفق الجميع أنه يجب تحذير واشنجطون فى الحال كما أنه فى نهاية المناقشة استقر الرأى أنه مع التسليم بأهمية المساعدة المباشرة السريعة المطلوبة فلا يجب التصريح بأية اشارة يشتم فيها سواء فى واشنجطتون أو بورتوسانتوس على أنها فقدان الثقة فى الحكومة الحالية ٠ وفى أعقاب الاجتماع وبعد أن تمت صياغة البرقية التى تمخض عنها الاجتماع عقد اجتماع أصغر لمراجعة اجراءات الطوارىء أعقبه اجتماع لموظفى السفارة لمناقشة قيود السفريات الرسمية نتيجة لخفض ميزانية السفريات فى وزارةالخارجية والقيود الجديدة على الاجازات المرضية ٠ وكانت الساعة قد قاربت على الثانية عشرة ظهرا ميعاد ذهاب السفير لمقره لفترة راحة الظهر فهو رجل حريص على عاداته المنظمة والآن بعد يوم حافل من الاجتماعات وقد اطمأن لارسال البرقية التى سوف تقطع على ورث كامبل غذاءه ، وقف استعدادا للخروج يشيعه جوهورد أحد فريق التشاؤم فى اجتماع الصباح ببضع ملاحظات متشائمة عن مصير الرئيس مارتينيز التى لم يتقبلها السفير قبولا حسنا ٠ غير أنه لم يكن هناك شك فيمن ستسود آراؤه فى النهاية ٠ كلاهما كان أعلى قليلا من الطول المعتاد ٠ ولكن أحدهما كان أنيقا شديد العناية بقص شعره ـ لوحته الشمس ممتلئا دون سمنة ولو أن هناك علامات بسيطة تدل على ارتفاع بسيط فى ضغط الدم ـ يرتدى حلة أنيقة رمادية

فصلت وكويت بمهارة وعناية · مع ربطة للعنق ومنديل ملائمين كل الملاءمة ويوحي مظهره بالثقة بل قد يبالغ البعض بالقول أن الثقة تنبع منه · أما الآخر فنحيف منحنى القامة شاحب الوجه تميل رقبته الى الأمام داخل ياقته كما أن أكتافه تغوص فى داخل سترته التى يختلف لونها عن لون السروال وكلاهما من قماش غير جذاب وصفة الأناقة عموما بعيدة عن ملبسه · هذا هو جوهورد الرجل الثانى فى السفارة ·

بمجرد خروج السفير أسرع جوهورد نازلا درجات السفارة الى موقف السيارات حيث استقل سيارته وانطلق فى شـــوارع المدينة الى خارجها متجها شمالا وأبطأ قليلا حين سمع صوت اطلاق الرصاص وقعقعة من حين الى حين توحى بأن مصدرها مدفع رشاش· وعاد بذاكرته الى آخر مرة سمع فيها طلقات رصاص فى أوكيناوا فى الحرب العالمية الثانية وتذكر كمية النيران التى صبتها سريته فى هجومها وعاد فأسرع اذ أيقن أن ما يحدث الآن لابد أن يكون هزلا بالمقارنة بذكريات أوكيناوا ، كما تذكر أن الثورات فى أمريكا اللاتينية تزيد حدتها عادة فى نهاية اليوم وقرب الغروب وهنا مرت به عربة محملة بالجنود يحيون ويلوح عليهم المرح والسرور وهم فى طريقهم الى الجنوب · وبخلاف هذه العربة بدت المدينة أمامه وكأنها مهجورة وخصوصا عندما وصـــل الى الطريق الدائرى المعروف : « بطريق روزفلت » · أنشىء الطريق فى أيام ثراء الحرب العــالمية الثانية وافتتحه نلسون روكفلر عام ١٩٤٥ وكان قد تقرر انشــاء طريق امتدادا له يطلق عليه « طريق هارى ترومان » يفتتح فى عام ١٩٥٠ موعد افتتاح المعرض الدولى · ولكن بعد فترة نسى المشروع كما نسى المعرض الذى لم يفتتح أبدا · « وطريق روزفلت » يعطى الآن صــورة مشــينة واضحة للاهمال فقد ظهرت النباتات وغطت جوانب الطريق وامتد بعض منها الى الشقوق فى الطريق نفسه ·

وتوجد هنا وهنـاك على جانبى الطريق عـدة منازل متوسطة يعلو سقوفها وكرانيش نوافذها مصابيح كهربائية ملونة ٠

فعلى خلاف العادة فى غالبية بلاد العالم بأن يميز بيت الدعارة بمصباح أحمر هنا فى فلوريس تميز هذه الدور بمصابيح كهربائية عدة مختلفة الألوان الأمر الذى كان يبهج السائحين المسنين القادمين من أمريكا الشمالية ذوى الآراء المتحفظة والمزاج المغامر اذ يكتشفون وهم برفقة أدلائهم أن « طريق روزفلت » أصبح حى الدعارة فى فلوريس فقل فى السياحة العصرية اكتشاف مثل هذه اللآلىء ٠

انحرف هورد فى نهاية الطريق الى ممر خاص فى نهايته بيت كبير أحمر اللون يلوح عليه بعض الاهمال ٠ أوقف عربته وتقـدم للمنزل وقبل أن يدق الجرس فتح الباب وظهر فيه شخص مهيب المظهر متقدم فى العمر يرتدى حلة من الصوف القاتم اللون وقد لاح عليه السرور فى الحال بمجرد تبينه شخصية الزائر ولكنه اكتفى بمصافحته ، وتوجها الى الشرفة وسرعان ما ظهر الخادم حاملا قدحا من القهوة للشيخ العجوز وكوبا كبيرا من اللبن لجوهورد المعروف بنفوره من الخمر ٠

وبدأ الشيخ الحديث :

« انه من حظى السعيد أن حضرت الآن فقد كنت فى طريقى الى النادى » ٠

« أليس ذلك مبكرا ؟ لقد سبق أن سمعت منك أنك تختار دائما الفترة بين الغروب والظلام تلك الفترة التى يسكت فيها أكثر الناس ثرثرة » ٠

« انك تمنحنى شرفا كبيرا بتذكرك شعرى ٠ لن تكون لى حاجة لنشره ٠ ولكن هذا يوم حافل فى حياتنا اننى أشعر أننا على

أبواب تطورات سياسية ودستورية عظيمة اذا سمحت لى بتصور استخدام كلمة « عظيمة » فى بلد صغير كبلدنا ٠

« أرجو منك أن تفصح عما تقصده » ٠

« انى أومن أنك بصفتك الرجل الثانى فى السفارة من حقك أن تعرف ٠ انى أعتقد أن أى مقاومة لصديقى ميرو ستختفى فى الساعات القليلة القادمة ولذلك أود أن أكون حاضرا عندما يحدث هذا فقد مرت أعوام منذ نصبنا رئيسا للجمهورية فى فلوريس وخصوصا وانى أعرف من أيام واشنجطتون أن حفلات التنصيب دائما مثيرة بل انى أفكر فى اقامة حفل افتتاح كبير ودعوة فرانك سيناترا وزوجه » ٠

« هل اتصلت بأحد منهم اليوم ؟ » ٠

« أرجو أن لا تورطنى بهذا السؤال ولكن لك أن تعرف أن رجال مارتينيز لن يقاتلوا حتى النهاية اذ لن يجلب لهم ذلك أى مكافأة بل قد يشكل خطرا شخصيا لهم ٠ كما أن رئيسنا الذى تقدم به العمر يطلب الكثير ولم يبق له ليعطى الا القليل » ٠

« لذلك ففى اعتقادك أنه سيتم نوع من الاتفاق ؟ » ٠

« انى متأكد أن اتفاقا سيتم » ٠

وابتلع جوهورد المعلومات التى وردت فى رد الشيخ على مهل فالمعلومات الهامة مثلها مثل طعام جيد لابد من وقت لتذوقها ٠ ولكن تذوقها الآن أصبح عديم الجدوى فقد حاول جاهدا فى مؤتمر الصباح فى السفارة أن يقنعهم بنفس النتيجة دون نجاح فالسفير بيتويك لا يوافقه على رأيه ولن تغير المعلومات الجديدة من الأمر شيئا ٠ بل هو على العكس يعرف تماما كمرءوس ملم بالنظام أن أية محاولة أو حتى ابداء ملاحظة كمحاولة لفتح الموضوع للمناقشة

سيكون مصيرها الفشل فهذا حق الرئيس والرئيس هنا هو السفير بيتوتيك الرجل ذو الخبرة والذى لا يخطىء ٠

واستطرد هورد الحديث :

« لقد سمعت اليوم أن ميرو ليس الا واجهة وان الزعيم الحقيقى وراء هذه الحركة هو أراجون أو على الأقل هذا هو ما يعتقده بعض رجالنا » ٠

« اننى لم أقابل السنيور أراجون شخصيا ولو أننى كثيرا ما سمعت اسمه يتردد أمامي ولكن كما تعرف يا صديقى أن هناك أشياء كثيرة يستحيل اتمامها بالتفويض أو على الأقل لا تتم بالنجاح الكامل مثل الطبخ والرسم وتبادل القبلات وأقل هذه الأشياء احتمالا لاتمامهـــا بالتفويض هــو زعامة ثورة حتى وان تكن فى أمريكا اللاتينية ٠ يمكنك أن تكون على يقين أن ميرو هو الزعيم ٠ ولكنى قد أتفق معك انه عندما يتولى ادارة البلاد فعليه أن يوطد مركزه وهذه هى عملية صعبة جدا اذا قورنت بالاطاحة بحكم مارتينيز ٠ والآن فانى كرجل متمسك بمبدأ المعاملة بالمثل فى تبادل المعلومات ماذا قررتم أيها السادة أن تفعلوه ؟ » ٠

« أنت الخاسر اذا طبقنا هذا المبدأ فمعلوماتك تفوق بمراحل أهمية ما عندى من بيانات ان سفيرى يعتقد أن مارتينيز قوة تمثل الاستقرار فى عالم ممزق وقد توافقه واشنجطتون وتؤازره ٠ وأنا شخصيا لا أتفق معهم فى هذا الرأى ولكن عليك أن تدرك أن رأيى لن يحسم الأمور » ٠

وصمت الاثنان وهما يتطلعان لأشــجار النخيل التى تغطى المنطقة وتناول هورد قليلا من اللبن وأخيرا تكلم الرجل العجوز :

« ستتدخلون اذن ؟ »

« اننى لا أعرف ولكن ذلك لاأهمية له فحتى لو كنت على علمفاننى لن أخبرك فالمدهش اننى لازلت أعمل لحكومة الولايات المتحدة ولكن لابد لك أن تعرف أنه كثيرا ما يمكن التنبؤ بقراراتنا . عندنا المال ولابد أنه يمكن صنع الكثير بالمال . لدينا السلاح والسلاح قد ينقذ الموقف . غالبا سترسل رسالة قوية لمساندة الحكومة اذ لدينا دائما رسائل جاهزة لمساندة الحكومات وسوف يتمنى الكثيرون أن ذلك سيكون فيه الكفاية » .

ورد الشيخ :

« قد تنقذ الرسالة مارتينيز . لا لأن رسائل المساعدة تحسم أي موقف ولا لأن مارتينيز يحتاج الى السلاح فجنرالاته لديهم من السلاح ما يكفي ويزيد ولكن اذا وضعنا فى اعتبارنا أن كل شخص سيكون حذرا الآن فأى وعد بالمال أو السلاح قد يدفع جنودنا الى الاعتقاد أن المكسب والربح هو فى الابقاء على الوضع الراهن وهذا قد يفسد الاتفاق الذى ذكرته من قبل . وانك لتلاحظ أنى استعملت كلمة المكسب والربح وقصدت المعنى اللفظى وذلك لأننى كنت يوما ما من رجال البنوك . أخبرنى لماذا ترغب واشنجطتون فى امداد مارتينيز بالسلاح ؟ هل تعتبرونه حاميا للحرية ومدافعا عن حكومة دستورية ؟ » .

« لا . ان ذلك يدخل فيما نسميه الاستراتيجية العريضة » .

« لقد سبق أن ذكرت لى ذلك من قبل . ولكن هذه الاستراتيجية العريضة تحيرنى دائما هل يعتقد البنتاجون أن جيشنا يشكل عاملا مهما فى الدفاع عما تسميه وزارة خارجيتكم بالعالم الحر ؟ » .

« لا » .

« هل ينتظر منه أن يلعب دورا مهما فى أى صراع مسلح مع الاتحاد السوفيتي ؟ » ٠

« لا » ٠

« اننى سعيد بشعورك بالاحترام للجيش الأحمر ٠ هل تظن أن هناك تهديدا لنا من الدول المجاورة ؟ » ٠

« لا » ٠

« هل يعتبر جيشنا حامى الحريات هنا فى بورتوسانتوس ؟ »

« لا » ٠

« ورغم كل ذلك فانكم تساعدون مارتينيز وتعتبرون جيشنا جزءا من استراتيجيتكم العريضة » ٠

« نعم » ٠

« انى أعترف أنى كثيرا ما أتساءل اذا كنتم أيها الأمريكيون تظهرون هذه الصفات الطيبة البسيطة التى كثيرا ماسمعت ساستكم ومنهم عضو مجلس الشيوخ السابق تافت يتشدقون بها انى سعيد أنك لست من المدافعين عن الوضع لهذه الاستراتيجية العريضة » ٠

« اننى لست منهم » ٠

« لم يخامرنى الشك فى ذلك يا صديقى ٠ ان هناك قلة ضئيلة من الرجال هم فى العادة يكثرون الكلام قد تعلموا حكمة الايجاز عندما يواجهون بأسئلة فيها بعض السفاهة ٠ اننى مازلت أعتقد أن أمتك تحتفظ بصفة نادرة قد يكون فيها انقاذ موقفنا » ٠

« مثلنا العليا كما يقولون عادة » ٠

« لا ٠ بل عدم توقيتكم للأمور ٠ لقد احتملت الملكية المجرية

النمساوية بسبب عدم كفايتها أما أنتم فبسبب توانيكم وبطئكم كل ماستقدموه لمارتينيز سيأتى فيما يحتمل متأخرا · وانى كصديق لك أرجو ألا تستعمل هذا الحديث سببا لدفع واشنجطتون للاسراع فى قرارها » ·

« ليس هناك ما يدعو للقلق · فلن يكون لكلمتى أدنى أثر » ·

ونهض هورد مستأذنا فى الانصراف ·

***

انحرف جوهورد مرة أخرى الى طريق روزفلت فى عودته للمدينة ومرة أخرى وجد نفسه وسط المساكن الوضيعة القذرة فعلى يمينه مجموعة المساكن التى سميت : « سانت لويس وسانت ميجويل » وهى التى كثر الاعلان عنها كجهود لويس ميشيل مارتينيز فى ازالة أحياء فلوريس القذرة وهى فى الحقيقة لاتتعدى هذا الحى · بنيت هذه المساكن فى أوائل عام ١٩٥٠ من قرض لبنك التصدير والاستيراد وقد أشرف عليها مهندس كان يعرف باسم روبرت موزس وقام بتنفيذها مقاول من نيو أورليانس · وهى تشغل عدة أفدنة أقيمت عليها مجموعات متراصة من المبانى الخرسانية فى شكل مربعات تشابه كثيرا دشم مدافع الماكينة التى كانت منتشرة على سواحل بريطانيا فى الحرب العالمية الثانية وقبل أن تنتهى عملية البناء سجن المقاول فى الولايات المتحدة بتهمة التهرب من ضريبة الدخل فأنهى البنك القرض المخصص لذلك وبقيت المبانى دون كهرباء أو مواسير للمياه أو تصريف للمجارى ورغم ذلك فقد سكنها

الكثير من العائلات التى لم تجد سكنا حتى فى أكواخ فلوريس ٠ ومنذ ذلك الحين استبعدت هذه المنطقة من برنامج السـياح ٠ لم يذكر هورد شيئا من ذلك وهو يمر بجانب هذه المبانى ولم ينتبه للأحياء القذرة ٠ كانت الشمس قد علت واشتدت حرارتها وتوقف صوت طلقات الرصاص فى اتجاه الشمال أو بعدت عن الأسماع ولاحت أمامه الطرق كما كانت وكأنها قد هجرت تماما ٠

الفصل الثالث

يقع مقر رئيس الجمهورية فى وسط العاصمة على مسطح واسع لا يحيط به شيء ورغم الأمطار والشمس فان البناء يظهر دائما ناصع البياض ، ذلك لأن المبـــانى الخارجية كلها من الرخام الأبيض . فعندما فكر فى بنائه فى العشرينيات كان من الطبيعى أن يتجه المهنـدسون الى واشنجطتون للاسترشاد بعمـارة المبانى الرسمية ويظهر أن المهندس المخصص للبناء وجد أن البيت الأبيض لا يعبر بالدرجة الكافية عن المركز الحقيقى للسلطة ، لذلك اختار الكابتول نموذجا وليبرز فكرته بنى القبة أكبر كثيرا بالنسبة لبقية المبنى من مثيلتها فى واشنجطتون وبدا المبنى لزوار الولايات المتحدة كما لو كان قابعا تحت قبة بيضاء هائلة . ومع ذلك فلعل هذا المبنى من بين جميع المبـــانى التى أنشئت فى فلوريس فى هــذا القرن أقربها الى تقليد قديم ينطوى على الاسراف المعقول عند انشاء المبانى العامة .

أما قاعتا مجلس الكونجرس فعبارة عن مبنى متواضع . وكثير من أعضاء المجلسين لم يدخلاه أبدا .

لم يكن الرئيس مارتينيز فى قصره عندما حل الظلام كما لم يكن فى قصر عشيقاته فى أعلى التل . بل كان فى منزل آخر غير

صغير تصل اليه عن طريق ميدان اليندر · كذلك كانت عشيقته فى المدينة القديمة ·

كذلك كان الجنرال مانويل بيريز كاستيلو أحد قواد جيش جمهورية بورتوسانتوس وأشد الناس اخلاصا للرئيس الذى وصل لتوه · وكان هناك أحد الياوران كما جلس كولونيل خلف مكتبه قرب الباب يحاول عبثا التحدث فى التليفون وكان من الواضح أن الخطوط قد تعطلت ·

بدأ الرئيس الحديث بصوت أجش :

« ان رجالنا يقاتلون بشجاعة ؟ »

« فى هذه الظروف أقرر أنهم يقاتلون ببسالة يا فخامة الرئيس » ·

« ماذا تعنى بقولك فى هذه الظروف ؟ » ·

« ان عددا من ضباطنا قد تركنا للأسف ! »

« انك تقصد فروا ! انهم كلاب ! كلاب ! » ·

منذ سنوات شاهد الرئيس النسخة الاسبانية من فيلم « وداعا أيها السلاح » وقد أعجبه الفيلم لدرجة أنه شاهده عدة مرات ولدرجة أن وعى كلمات هيمنجواى وأخذ منذ ذلك الوقت يرددها أولا عن وعى ثم عن غير وعى · وكأنما هى منحوتة لرجل من أصحاب السلطان كما رأى نفسه بشىء من الجهد ·

« انى أوافق فخامتكم أنهم ناكروا الجميل · لقد صنعت الكثير لهم » ·

حاول الرئيس أن يبتسم متهكما حين قال :

« انى أتصور أنهم الآن يقاتلون بشجاعة مع ميرو ! »

« بدون شك يا فخامة الرئيس . ان رجالنا مثل فى الشجاعة والوفاء دائما ! » .

لم تكن سرعة البديهة احدى صفات الجنرال وهو الليلة كان متعبا غاية التعب . فلكى ينشط ذهنه تناول قدحا كبيرا من الويسكى وحذا الرئيس حذوه . كان كلاهما جالسا جلسة غير مريحة فى مقعده المذهب البروكار ، الجنرال فى بدلته العسكرية ، أما الرئيس فقد خلع سترته ووضعها على كرسى مجاور وقد ظهر العرق مبللا قميصه مما دفعه الى فك ياقته ومنذ قطعت الكهرباء والبيت يضاء بمولد كهربائى سمعت دقاته من غرفة بعيدة فجاء الضوء خافتا فى الحجرة عكس الضوء نياشين الرئيس التى بدت واضحة على سترته . اثنان منحتهما له واشنجطتون ويقال : ان ايزنهاور سلمه أحدهما شخصيا . وأربعة منحها له زملاؤه من طغاة أمريكا اللاتينية ووسام منحه اياه البابا من سنين مكافأة على تمويه بارع على دوائر الفاتيكان العليا . أما الباقى فقد أنعم بها على نفسه بطرق كانت محل تندر الشعب .

« كيف استولوا على محطة الاذاعة ؟ » .

« كان ذلك يا فخامة الرئيس فى وقت القيلولة » .

« ألم يكن هناك حراس ؟ » .

« للأسف الشديد لم يتوقع أحد الهجوم » .

« ومركز التليفونات ؟ » .

« انه عديم الأهمية فلابد أن فخامتكم قد لمستم سوء الخدمة فيه ! » .

«كلاب حقراء. لو كانت بارات أو بيوت دعارة لاهتموا بالدفاع عنها اهتماما أكبر ؟! ما هى الخسارة فى قواتنا ؟ » .

« الخسارة لحسن الحظ حتى الآن بسيطة جدا » .

« أغلبهم من المدنيين ؟ » .

« كلهم من المدنيين حتى الآن يا فخامة الرئيس . لم يطع الشعب اطاعة تامة أمر منع التجول ! » .

ساد الصمت الغرفة لفترة سمع فيها صوت اطلاق الرصاص من بعد ثم صراخ تلاه ضحكات مخيفة » .

« هل تأذن لى يا فخامة الرئيس أن أوجه لكم سؤالا دقيقا ؟ » .

« يمكنك أن تتبول على أدبك وكياستك . أظن أنك تريد أن تعرف ماذا سأصنع اذا فر الباقى من الجنود ؟ » .

« أليس من الحكمة أن يكون لدينا ما يسميه الأمريكيون خطة طوارىء ؟ » .

« طظ فى الأمريكيين ! ان هذا الخنزير بيتويك قادم لمقابلتى هذا المساء وطبعا سيتكلم عن العالم الحر ويطلب منى الصمود ويقدم الوعود بالمال والأسلحة ثم سيسأل اذا كان فى امكانه ابلاغ واشنجطتون بأننى سأقاتل حتى آخر رجل » .

« ألا يمكنك أن تطلب منه تدخل رجال مشاة الأسطول لاخماد هذا التمرد الأحمق ! » .

« لقد فكرت فى ذلك ولقد سبق وأخبرت بيتويك أن الشيوعيين وراء ميرو وأن زعيم الحركة هو أراجون وأظن أن ذلك أفزعه ، ولكن اذا نزلت قواتهم هنا فسأتلقى الأوامر من أحد قولدهم

الشبان قصار الشعر : شاب رياضي يتوهم أن أمه ما زالت عذراء ! ثم يكررون لى اسطوانة الديموقراطية وحرية الانتخابات ناسين اننى ما كنت لأنجح مرة واحدة لو كانت هناك انتخابات حرة فشعبنا لا يفهم الديموقراطية » .

« انك على صواب يا فخامة الرئيس . هل لى أن أسأل مرة ثانية عن خطة الطوارىء ؟ » .

« انى أعتقد أنه قد فات الأوان الآن . لقد أبلغت بيثويك أن ما أريده هو أسلحة وبعض المال وبذلك يمكن السيطرة على الموقف وغالبا أنه أبلغ واشنجطتون بهـذا . وعلى العموم لقـد بلغت من العمر مايجعلنى لا أهتم بشىء الآن. قد أذهب الى ميامى أو أسبانيا. وأتركهم يجربون الديموقراطيــة لفترة من الزمن . فهؤلاء الكلاب يستحقون ذلك » .

« لابد أن فخامتكم قد أدركتم أن المطار قد سقط فى أيدى ميرو » .

« اذن سأذهب الى سفارة الأرجنتين وانتظر هناك فالمبنى كبير والسفير لايتكلم عن الديموقراطية بعكس السفير البرازيلى فهو يتكلم البرتغالية وزوجته ثرثارة لا تكف عن الحديث لقد حان الوقت لتعود لجنودك أخبرهم أنهم اذا ظلوا على ولائهم سيرقى كل واحد منهم وان هنـاك أموالا من الأمريكان . أخبر رجال الحرس فى القصر أننى موجود بداخله أدير عمليات الدفاع وسوف ينقلون الخبر الى ميرو فيركز هجومه هناك . لابد من الدهاء فى استعمال التكتيك . أخبر لوبيز وسانتايانا وميجول أن يكونوا فى انتظار بيثويك عند وصوله الى القصر وسأتصل ببثويك فيما بعد ليقابلنى هنا .

عاود الرئيس حماسه السابق وهو يعطى أوامره وتعليماته

للجنرال ولكن سرعان ما ارتخى لغده وازدادت قبحا الغضون تحت عينيه حين سمع رد الجنرال ٠

« فخامة الرئيس ٠ انى آسف أن أنهى اليكم أن الجميع قد فروا ولم يبق أحد من هؤلاء الناس » ٠

ما زالت ماريا هناك ٠ لم يكن الرئيس ممن يتأملون فضلا عن أن حالته الآن لم تكن تسمح بالتفكير العميق ٠ ولكن مر بخاطره أن النساء على الأقل عندهم ولاء ٠ عرف ذلك لأنه عرف المئات من النساء خلال حكمه الطويل ٠ تطوع البعض لقضاء الليل معه ودفع بعض الآباء المتلهفين اليه ببناتهم بعد أن رآهن فى حفل أو مأدبة أو مرقص بغية ترقية فى الجيش أو عقد أو بعثة الى واشنجطتون أو لمجرد كسب الرضا ــ كان ذلك هو الثمن المعتاد والقليل منهن الذى تمنع وأرسل البوليس لاحضارهن ٠ على أنه مهما قيل فى طريقة وصولهن فان مغادرتهن كانت دائما على كره منهن ٠ ولقد حرص دائما على أن يجنب نفسه بكاءهن وصراعهن وابعادهن ٠ فازاء هذا الولاء على الرجل أن يظهر قدرا من رقة المشاعر ٠ على أنه منذ سنوات لم يبق هناك غير ماريا ٠

عندما تتقدم السن يتغير مزاج الرجل ــ يقل اهتمامه بالنهود الرخصة الشامخة والأفخاد البضة الناعمة ٠ ولعل من الخير ألا يهتم٠

دفع الباب المؤدى لحجرة استقبال ماريا ودخل عليها دون استئذان ٠

فى تاريخ بورتو دى لوس سانتوس الطويل عرفت لحظات فوز ولحظات نكسة وكان تقدير هذه اللحظات يعتمد كثيرا على وجهة النظر٠ يقال ان كولومبوس قد مر بساحلها فى رحلته الثانية بل يبالغ البعض فيدعون انه أرسى أسطوله فى الخليج الذى أصبح فيما بعد

عاصمة للاقليم لفترة وجيزة والذى أصبح الآن الميناء الرئيسى للدولة ·

ولكن الأمر الأكيد أن مؤسس هذه الأمة هو النجل الأكبر لشريف أسبانى أفرط يوما فى الشراب بالقرب من بلدة «فالادوليدا» فى أسبانيا وشاء سوء حظه أن يشتبك فى عراك مع ابن عم الملكة ايزابللا · لم تستغرق المعركة طويلا فقد اخترق بسيفه جسد ابن‌عم الملكة وكمظهر فريد لشهوة المنتصر انطلق بقطيع أذنيه وأصابع قدميه ثم خصيتيه وقد اعتبرت التقاليد الأسبانية أن هذا العمل الأخير مناف للآداب والذوق مما اضطر أسرته الى الاسراع بترحيله الى ايطاليا وترضية للملكة اشترت العائلة حصة كبيرة من قرض كان قد طرح على الشعب · ثم أعدت له رحلة استكشافية للعالم الجديد ورأت أن ترسل معه قسيس العائلة وهو شاب فى مقتبل العمر وجدوا أن خير وسيلة لحثه على مصاحبة ولدهم هى أن يخيفوه وهو المسيحى المتنصر حديثا والذى ما يزال عمه حاخاما مرموقا ـ يخيفوه من محاكم التفتيش التى كانت تشتد قبضتها فى كاستيل · وقبل القسيس العرض ليهيىء للابن سلامة روحه وأيضا لكى يكون على يديه الخلاص الروحى لمن وجد من السكان الأصليين فى الممتلك الجديد ثم يقدم النصح والرأى السديد للابن ·

كون دون فرانسكو جوزى فرانسسكو وقسيسه فريقا فذا فى نوعه فالأول لا يقف أمام شجاعته واندفاعه عقبة والثانى يلتقط ليصلح ما تبقى من آثار كل معركة يشترك فيها الأول ·

عبرا الأطلنطى فى جو صيفى مشمس جميل ومساء يوم قبل أن تغيب الشمس وهما فى البحر الكاريبى لاح لهما ساحل بورتوسانتوس · وقضيا عدة أيام فى معاينة الساحل بحثا عن ميناء للرسو وأخيرا أرادت العناية الالهية لهما النجاح فقد أنذرت السماء

بعاصفة هوجاء قادمة من الجنوب وفى نفس المساء ظهر لهما خليج أطلقا عليه تيمنا اسم « ميناء القديسين » « بورتوديلوسسانتوس » كان الوقت خريفا • ويعتقد المؤرخون أن هذه العاصفة كانت بداية لاعصار استوائى بالغ الشدة وأنهما لو كانا بعيدين عن الشاطىء لهلكا • واستطاعا فى الخليج المغلق أن يجتازا الاعصار بأمان رغم قربه الشديد •

نزلا الى الشاطىء فى صباح اليوم التالى للاستكشاف وراجع القسيس ما عنده من وثائق وخرائط وتأكد أن هذه أرض جديدة فأعلنا الاستيلاء عليها باسم ملكى اسبانيا الكاثوليكين وتليت الصلاة شكرا على النجاة من الاعصار • وبعد ذلك بيومين طاردت حفنة الفرسان الأسبان الهنود أصحاب البلاد وعددهم يتراوح بين سبعة وعشرة آلاف لأنهم حاولوا محاسبة المعتدى على عدوانه أو على الأقل حاولوا التفاهم على اتفاق فقتل من قتل وفر من فر وهكذا تم استسلام البلاد وانحصرت العمليات الحربية فى محاصرة الهنود واجبارهم على العمل كعبيد وهى خدمة لم يقو عليها أشدهم احتمالا •

عانت القلة البيضاء من قسوة الجو فى أول موسم للأمطار مما دفعهم الى الرحيل الى المرتفعات حيث كان الجو أنسب وأصح • وعقب موسم الأمطار ازدهرت البقعة التى استقروا فيها بزهور برية صفراء وحمراء ومن هنا جاء اسم العاصمة الجديدة •

ووصلت رسالة لدون فرانسسكو من اسبانيا وفيها تهنئة على اكتشافه الجديد وعفو شامل عنه ثم أمر ملكى بتعيينه حاكما عاما للاقليم الجديد مذكرة اياه فى النهاية بحق العرش فى نصف قيمة أى معدن يكتشف فى الاقليم أو يصادر من الهنود •

لم يعد دون فرانسسكو مطلقا الى اسبانيا وعندما اتضح أن

بورتوسانتوس لا تحتوى على أية معادن فقد الاقليم أهميته لدى الاسكوريال واشبيليه ·

ثم بدأت الحياة تدب فى الدولة الجديدة فزرعت الوديان قصبا والمرتفعات بنا أما أعالى الجبال فقد حولت الى مراع للماشية · وزاد رخاء الناس وتكدست الأموال من الزراعة والتجـــارة فى الماشية وأصبحت اسبانيا التى كانت ربما عن حكمة تفضل الذهب ذكرى تاريخية جميلة · وأتت حكومات وذهبت حكومات · كانت هناك لحظات مليئة بالسعادة وأخرى مليئة بالأسى · يأتى اعصار يدمر ثم يمر ويبـــدأ البنـــاء مرة أخرى وعرفت الدولة الجـديدة الأزمات الاقتصادية التى خربت أسواق السكر والبن ولكن الحدث الفريد البشع الذى لم يحدث له نظير فى تاريخ بورتوسانتوس كان استيلاء مارتينيز على السلطة بمحض الصدفة ·

الفصل الرابع

فى ذات يوم من عام ١٩٤٩ كانت احدى طائرات «بان أمريكا» تستعد للسفر الى سان جوان متجهة جنوبا وفى نفس الوقت كانت طائرة أخرى لنفس الشركة على أهبة السفر الى جاندر ـ نيوفوندلاند ـ شانون ـ لندن ٠

ووصل رجل الى بوابة الخروج وأبرز تذكرته ولكنه أخطأ وركب طائرة غير طائرته ٠ ولما سألته المضيفة عن البلد الذى يقصده اعتقد لعـــدم المامه بالانجليزية أنها تسأله عن اسمه فأجاب بكل اعتزاز « مارتينيز » ولـما كانت المضيفة حـديثة الخدمة وقد أتمت دورتها التدريبية فى مركز تدريب الشركة فى ميـامى وألمت تماما بواجباتهـا نحو الركاب فانهـا أسرعت وأحضرت له كأسـا من ال « مارتينى » وكلما سألته المضيفة عن وجهته أجاب اسمه فتسرع بمارتينى جديد !

كان الرجل هو الأخ الأصغر للرئيس مارتينيز وقد وصل الى لندن فى حالة سكر شديد فى الوقت الذى كان مفروضا أن يكون فيه فى فلوريس ! وقد أثار هذا الحادث موجة من التهكم والسخرية فى الصحف ٠ ولما وصلت الأخبار للرئيس مارتينيز لم يعر الأمر اهتماما كبيرا ٠ فالقصة ليست فريدة فى تاريخ أسرة مارتينيز ،

فالأقدار لعبت دورا كبيرا فى حيـــاتهم كما أن أمورا كثيرة وقعت لأفراد الأسرة وهم تحت تأثير الكحول .

ولعل التاريخ لا يسدل ستارا كثيفا على شيء قدر اسداله على تأثير الخمر فى حرفة الســـياسة العصرية . فالمتفق عليه أن الخمر أثرت على تصرفات الاسكندر الأكبر الأخيرة وكذلك على الكثير من أباطرة الرومان وعلى الجنرال جرانت وفى أواخر الحـرب العـــالمية الثانية كان عديد من معاونى هتلر مثل ريبنتروب - وليبى وفونك ومن ضباط أركان الحرب فى حالة ســكر مستمر وبذلك طمســوا التفكير فى الكارثة الوشـيكة الوقوع للرايخ الثـالث والتى كانت واضحة لكل ألمانى فى وعيه .

والتاريخ الحديث لا يفسر قرارا عسكريا أو سياسيا هاما مهما بلغ فكره بأنه اتخذ تحت تأثير الخمر . التاريخ هنا يكتنفه الصمت حتى بالنسبة للنازيين . هـذا الصمت بلا شـك جزء من مؤامرة يشــترك فيها الجميع خوفا من أن يجيء اليـوم لواحد منهم تجبره الظروف على اتخاذ قرار أو وضع خطة وهو نشوان ببنت الكرم .

بدأت ديكتاتورية مارتينيز نتيجة لحفلة سكر وعربدة استغرقت طوال الليل . ففى ذروة الكساد الاقتصادى العالمى فى عام ١٩٣٢ كان يرأس بورتوسانتوس محام يدعى « روبرتو باجال » وقد وصل للرئاســة بانتخـــابات تكاد تكون حرة نظيفــة . لم يكن روبرتو بالسياسى البارع ولكنه كان رجـلا مناســبا لمنصــبه ، وسرعان ما واجهته مشاكل تتطلب المعجزات لحلها . فالمساحات الكبيرة التى زرعت قصبا قل دخلها الى أدنى حد كما أن أسعار البن هبطت هبوطا شديدا رغم محاولة البرازيل المساعدة فى تثبيت الأسعار بتخزينها الكثير من فائض البن . أما الماشــية فقد أغلقت غالبية أسواقها وهبطت بالتالى أسعار اللحوم فى مجازر بورتوسانتوس .

ورغم ذلك فقد حرم الكثير من السكان منها لعدم وجود نقود لديهم. وكثيرا ما قام المتعطلون فى فلوريس بمظاهرات يطلبون الأرز والخبز ولم يكن ذلك بدافع الجوع بقدر ما هو بدافع الرغبة فى التظاهر والمطالبة بالخبز . وارتفعت أصوات مزارعى القصب والبن مطالبين بالمطلب الأزلى ألا وهو توزيع الأراضى عليهم . وتساءل أصحاب المزارع ومن بينهم شركات السكر الكبرى عمن سيستولى على أراضيهم أهم الدائنون أم العمال أهم المزارعون الذين يستغلونهم أو أصحاب الديون الذين أصبحوا هم فى قبضتهم الآن ؟ .

وزاد الطين بله انكماش سوق الموز ، فمنذ بدأت شركة الفواكه المتحدة الأمريكية فى اغلاق مصانعها وانهاء تجارتها مع بورتوسانتوس وحل عام ١٩٣٣ اختفت تلك البواخر البيضاء الجميلة التى كانت تصل مليئة بالسياح وتعود محملة بالموز .

اجتمع الماجور لويس ميجول مارتينيز أوبرجون وهو فى الثلاثين من عمره مع تسعة من زملائه الضباط لتناول الخمر وفى نهاية الليلة انقلب الشراب الى حفلة عربدة شديدة وفى الصباح التالى المبكر وكانوا لا يزالون تحت تأثير الخمر اتجهوا فى عربة الى القصر الجمهورى حيث أصدر أحد رفقائهم وهو قائد الحرس أوامره بسد جميع منافذ القصر ومنع الدخول ثم استولى كل واحد من الضباط على مدفع رشاش من مخازن القصر واتجهوا الى غرفة الطعام حيث كان رئيس الجمهورية يتناول افطاره وألقوا القبض عليه وأجبروه على كتابة استقالته التى استهلت :

« من أجل النظام والقانون وتثبيتا لقيمة العملة فى البلاد ودفاعا عن مصالح الدولة وتأمينا للجمهورية وضمانا لمرتبات العمال ولاتاحة فرص العمل للجميع ولاحلال العدالة الاجتماعية لمعدمى الأرض وتأمين حقوق الملكية الفردية والحريات الشخصية » ...

وبسرعة بديهة ، أو لأن الماجور مارتينيز كان قد أفاق من تأثير الخمر أسرع الى محطة الاذاعة الجديدة وقرأ تلك العبارات الرنانة . وفى نهاية البيان نصب نفسه رئيسا مؤقتا للجمهورية ، معلنا ايقاف العمل بالدستور وحل الكونجرس ثم حذر من أن أية مقاومة اضطرابات فى أى مكان ستقابل بمنتهى الشدة والقسوة .

وفى عصر نفس اليوم عين قائد الحرس وزيرا للحربية ونائبا للقائد العام للجيش واحتفظ لنفسه بمنصب القائد العام ثم ذكر وزير الحربية الجديد بأن أية محاولة للخيانة أو طموح أحمق سيكون ثمنه فادحا وطلب منه أن لا ينسى بالذات والديه وزوجته الحسناء وولديه وممتلكاته الواسعة .

وفى صباح اليوم التالى قدم الوزير الأمريكى لمقابلته وكان رئيس الجمهورية المؤقت قد استرد وعيه تماما . وقد تأثر الوزير من مظهره وكلماته الرقيقة حين صرح له دون مواربة أنه لن يسمح بهذه التغييرات الجذرية التى نادت بها وشجعتها الحكومة السابقة . كما أن حكومته حكومة مؤقتة مهمتها اخماد الشغب واعادة الأمور الى حالتها الطبيعية ثم تجرى بعد ذلك انتخابات حرة فى الحال .

وأعلن وزير خارجية الولايات المتحدة المستر ستمسون أن حكومته قررت الاعتراف بالنظام الجديد وأن الرئيس هوفر قد أرسل برقية شخصية ملئت بعبارات الود والتشجيع للرئيس مارتينيز وأنه يعتقد أن أيام الرغد والهناء على الأبواب . وقد طلب من الوزير الأمريكى عند تسليمه البرقية أن يعبر بصفة خاصة عن نصح حكومته بأن لا تقوم حكومة الرئيس مارتينيز بأى تجارب اقتصادية دون دراسة كافية من المختصين .

وبدأت فعلا سنين الصفاء والرخاء . تحسنت الأسعار تدريجيا وبالتالى زادت ايرادات الدولة الأمر الهام جدا بالنسبة لديكتاتور

لاتنتهى مطالبه وأتت الحرب العالمية الثانية وتحول الدخل القومى الى فيضان من المال • ورغم اشتباك واشنجطتون فى حرب حياة أو موت مع ديكتاتورى ألمانيا وايطاليا واليابان الا أنها أظهرت رفقا ورأفة وعطفا على الأقربين وهم صغار ديكتاتوريى أمريكا اللاتينية وأعلن مارتينيز الدستور الجديد الذى سمح باعادة انتخاب رئيس الجمهورية • ولو أن مشرعى الدستور وجدوا ذلك ممكنا لأوصوا به وبذلك كان يتم اعادة انتخابه تلقائيا كل أربع سنوات دون معارضة أو منافسة • وكثيرا ما تندر الرئيس مارتينيز بما يتبعه تريخيليو من اسناد منصبه فى بعض الأحوال لأخ له أو شخص يحكم من ورائه ويقول : « أليس ذلك تغفيلا فالكل يعرف من هو الحاكم الحقيقى فلماذا هذا التهريج والغش ! » •

وكثرت الحفلات والسهرات التى كان لبعضها أثره الخطير • فلقد هوى عند أعضاء الكونجرس والشيوخ القادمين من الولايات المتحدة بمن فيهم من أصحاب الاقطاعيات الكبيرة فى الجنوب وأصحاب النفوذ الضخم الذين كبحوا فى قلوبهم جماح العاطفة الديموقراطية وكانت النتيجة تقارير فى سجل الكونجرس تقطر مبالغة وسرفا عن حكومة لويس ميجويل مارتينيز أو بريجون وعن صداقتها وكفايتها واحسانها ومناهضتها التى لا تنى للشيوعية • وهيأت هذه الزيارات الجو المناسب للاتفاق على حصص السكر - وهى مسألة حيوية لبورتوسانتوس وفى الولايات المتحدة احتفظ أعضاء لجنة الزراعة فى مجلس النواب بالكلمة المطلقة فيها ومن ثم استحقوا الشكران وغير ذلك فيما يفترض من حسن الجزاء الذى يصاحب القرارات المجزية •

كانت الحفلات والسهرات مصدر سرور للرئيس ولكنه لم يغفل الجانب العملى فيها • فيحكى أن مشرعا أمريكيا معروفا بتطرف آرائه وصلابته دعى الى القصر حيث نظمت له حفلة رائعة وجد نفسه فى

نهايتها مع فتاتين من فتيات الليل استأجرا خصيصا لهذا الغرض فى غرفة علوية فى القصر ·

وحان الوقت لعودته الى فندقه وأخذ يبحث دون جـدوى عن سراويله الداخلية والخارجية وظهر كثير من موظفى القصر ليساعدوه ولكن تعذر العثور على بديل ليغطى تلك الكمية الضخمة من اللحم وساد هرج ومرج وكلام كثير باللغتين تبين فيه عضـــو الكونجرس فجأة أن هناك شخصا يصور فيلما سينمائيا له من أعلى الشرفة ·

وكان لوجود الفيلم أثر بعيد فى مستقبل الســياسى الأمريكى فخوفا من الفضيحة وخصوصا أمام ناخبيهفقراء وأميينولكن يخافون الله انقلب منذ هذه الزيارة الى مشروع واسع الآفاق بعد أن كان ضيق النظرة بل ومن دعاة العزلة · الحق أنه لم يكن فى واشنجطتون كلها من هو أوفى ومن هو أفصح منه لسانا وأكثر كلاما لمناصرة الرئيس مارتينيز ·

كانت حكومة مارتينيز تؤمن أن الحياة جميلة تستحق الاستمتاع بها الا أن هذا المذهب ميز مارتينيز وأسرته بأحقية الاستمتاع بصورة أقوى وأفعل · لذلك عمد الديكتاتور منذ البداية الى أن يتملك هو وأسرته كل العناصر اللازمة للاستمتاع بالحياة · وساعدته ظروف الحـرب العـــالمية الثانية والفترة التى تلتهـا فقد امتـلأت خزائن بورتوسانتوس بالأموال ومنها اغترف مارتينيز ماشاء حتى تضخمت حصيلته الخاصة · فى وسع أى ديكتاتور بشتى الطرق أن يستولى على أية ممتلكات يطمع فيها ويحدد الثمن الذى يروق له · والا فمن الممكن أن تشتعل الحرائق فىالمزارع أو يهاجمها اللصوص دون تعرض لهم أو يمنع اصلاح الطرق أو لاتشق الترع أولا يتعاون العمال·أو تفرض القوانين المشروعة أو تجبىء الضرائب المشروعة أشياء ما كان لأحد أن يظنها ممكنة ·

« انك لا شك مدرك يا سنيور أن القانون يفرض عليك ثمانية أمتار مربعة تفرد لكل عامل من عمالك كسكن لهم ؟ » .

« انك لا تعنى ما تقول ان ذلك فيه خرابى ! » .

« هذا أقل ما ينبغى للعامل . ثم لابد من دورة مياه ودوش » .

« هذا مستحيل ! هذا ابتزاز ! » .

« لاتنس ياسيدى انك اذا خالفت القانون فستوقع عليك غرامة كبيرة . وسيأتى الخبراء يطالبون بالضرائب المتأخرة . ودفع الضرائب واجب وطنى على كل موطن صالح ! » .

« سأفلس » .

« لماذا لا تتخلص من كل هذه المشاكل وتقبل قليلا من المال نظير ما تمتلكه ! » .

وهكذا يتحول العين من ملكية سنيور جوزيه الى الرئيس مارتينيز نظير المبلغ الذى تراءى له دون اكراه أو استغلال أو اعتداء على القانون بل محافظة على حرية الملكية الفردية للبيع والشراء !

وفى السنوات بين ١٩٤٠ ، ١٩٦٠ انتقلت ملكية معظم أجود مزارع القصب الى عائلة مارتينيز كما استولى على المصانع الخمسة الخاصة بعصير وتكرير القصب ثم امتدت يده الى مزارع البن وأراضى المراعى ومناجم الشب والألمونيوم التى منح امتيازها فيما بعد للكنديين ومصنع الأسمنت ومعظم أراضى الاسكان والبناء وشركات النقل والطيران وخط الأوتوبيس ثم استولى على تراخيص استيراد نحو عشرين أو أكثر من الموديلات المطلوبة من السيارات الأمريكية والأوربية وسيارات النقل والدخان والوسكى وأفلام التصوير والمنسوجات والكولا والراديوهات والأدوات ومواد البناء . لم يبق شيئا ولم يذر .

وتقدمت احدى شركات البترول الأمريكية ذات السمعة السيئة تطلب المشاركة فى تسويق انتاج البترول الذى تمتلكه عائلة مارتينيز وبالاسم جيم مارتينيز ذلك الذى ركب الطائرة الخطأ وتسهيلا لحصولها على العقد قدمت رشوة مقنعة فى صورة منحة دراسية فى جامعة ميتشجان لجوان مارتينيز الابن المفضل للديكتاتور وأعقل أولاده وأكثرهم جدية واحساسا بالمسئولية. وسافر جوان الى جامعة ميتشجان لينخرط فى دراسات غير مألوفة عن الاجتماع وفى سبيل الحصول على الثروة تعلم الرئيس مارتينيز الكثير من معاصريه الجنرال تروخيللو والجنرال سوموزا ولكنهما على جشعهما وحبهما فى تكديس الأموال كان يمكن أن يتعلما منه بعض الشىء .

وكما لعبت الأموال التى كدسها الديكتاتور واستولى عليها دورا كبيرا فى استمتاعه بالحياة فانها كانت عاملا هاما فى تقريب الوقت للاطاحة بحكمه .

***

كانت ثروة مارتينيز التى جمعها بوسائله المختلفة موضوع الحديث فى نادى سانتوس ـ المسمى خطأ نادى القديسين ـ فى هذه الليلة التى أطبق فيها أعداء مارتينيز عليه .

يعتقد الكثيرون أن مبنى النادى الذى يقع فى الميدان فى مواجهة الكاتدرائية هو أجمل مباني فلوريس فالمبنى الأصلى يرجع الى أيام الاستعمار الأسباني وقد تناوله التحسين والتوسيع فى أوائل القرن الحالى عندما كان كبار زراع القصب والبن فى حاجة الى مكان يرتاحون فيه من عناء ليلة مضنية فى المزارع أو يوم عصيب فى البنوك . وفى هذا الوقت لم يكن مسموحا للسياسيين أو ضباط قوات الجيش بدخول النادى . ولما تولى مارتينيز الحكم كان مفهوما انه اذا أبدى الديكتاتور رغبة فى قبول شخص فقد جرت العادة أن

لا تقاوم هذه الرغبة ورغم ذلك فلم يكن النادى مكان محببا لأنصار مارتينيز ·

ولو أن الناظر العادى لمبنى النادى يتصوره طرازا أسبانيا ولكن الحقيقة أنه متأثر بفن البندقية ، فالجدران البسيطة العالية بحاشيتها المروحية على طول متينة صمدت للأمطار وكذلك الباب الضخم المزين بالمسامير الكبيرة النحاسية رغم أن معدنه لم تمر به يد التلميع منذ سنوات · فغطته طبقة سميكة من اللون الأخضر · وفى الداخل دكت الأرضيات جيدا وغطيت ببلاط أحمر اللون مازال منتظم السطح نظيفا لطيفا · ولكن جمال النادى يظهر فى الفناء الرئيسى الذى يحيط به مبنى النادى كله · والكراسى متينة ذوات زوايا ومقاعدها من الجلد وموائد قاعة الأكل ثقيلة كتلك التى يستخدمها الرهبان · والقاعات الأخرى وخصوصا قاعة الطعام وان كان ظاهرا عليها أثر الزمن الا أن صورة العظمة والأبهة مازالت باقية ·

والمقصف يمتد حوالى ٥٠ قدما وما زال ساقى المقصف يردد وهو يشير الى مكان رصاصة قصة اطلاقها فقد اندفع صاحب مزرعة بن وهو فى حالة هياج وغضب شديدين عندما عرف بأمر شاب اغتصب ابنته · وفى حالة ثورته هذه قتل الصيدلى الوحيد فى فلوريس بدلا من الشاب المطلوب · وهناك المائدة التى وقف عليها الوزير المفوض الأمريكى فى أواخر العشرينيات يحتسى الخمر حتى قضى نحبه فى مكانه وهو رئيس مجلس ولاية جمهورى سابق من ساوث ماكوتا ويقال أن شغفه بالخمر كان ردا لفعل قانون منع الخمر فى الولايات المتحدة الذى وجد لذة لا حصر لها فى الفرار منه · ويحكى أنه صعد فوق البار مرة فأعلن عن عزمه فى ركوبه طول الطريق وهو عائد الى سيوفولز · وحكايات نشوته الأخيرة ليست لطيفة لتروى عن أن أرملته أهدت نافذة من الزجاج الملون للكنيسة البروتستانية ترحما على زوجها · ولا يحب الأعضاء أن يذكروا عن

اقتحام رجال مباحث الشرطة للبحث عن شخص اتهم بالعمل ضد الديكتاتورية وسواء كانت التهمة صحيحة أو ملفقة فاختفاء الشخص السريع كان دائما نذيرا للغير · وقد قلت هذه الاعتقالات فى الفترة الأخيرة لقلة عدد المترددين على النادى من الأغنياء بعد أن قضى مارتينيز على غالبيتهم واستولى على أملاكهم كما أن الكثير هاجروا من بورتوسانتوس ـ ومن فضل البقاء ورأى أن ينافق الحاكم فقد رأى من الحكمة الابتعاد عن النادى ·

وقد تدهورت حالة النادى والخدمة فيه بعد توقف زيارة أعضائه الأغنياء · فلم يعد البار عامرا كما كان بالمشروبات ولا الطعام جيدا · والقليل من مرتاديه فى الوقت الحاضر مواطنون لا يقل سن كل منهم عن ٦٠ عاما ولكنهم يمثلون رغم ذلك حلقة أخيرة من الماضى السعيد الزاهر · وكثيرا ما يحسون بالأسى عندما يفكرون أن النادى كما يعلمون جميعا سوف يغلق فى النهاية أبوابه ·

فى هذه الليلة لم يبد من قبح النادى أو جماله الكثير ذلك لأن الكهرباء كانت معطلة وعلى ضوء القمر الخافت الصاعد فى السماء كان فى الامكان تبين شخصين متقدمين فى العمر احتلا مائدة منعزلة فى حوش النادى وقد ارتدى أحدهما حلة قاتمة اللون من قماش صيفى أما الآخر فقد ارتدى حلة بيضاء كان هناك أصوات حركة من ناحية البار أو المطبخ وفيما عدا هذا كانا وحيدين وجلسا صامتين لفترة قطعها الرجل ذو الحلة القاتمة قائلا :

« يلوح أن اطلاق النيران قد انتهى !

ورد رفيقه :

« انى ما زلت أعتقد أن مارتينيز مسيطر تماما على الموقف · وسنعرف على العموم الحقيقة بعد برهة · ولكن يلوح لى أنك لاتتفق معى فى الرأى ! » ·

« هذه هى الحقيقة فانى لا أتفق معك فى الرأى · لقد انتهى مارتينيز · العجيب فقط أن الشعب استغرق وقتا طويلا ليدرك هذه الحقيقة المسلية والهامة » ·

« لابد من اقناعى بهذه الحقيقة · فان عنـده الجيش والشرطة وأنا أعـرف قدرهما ولذلك تجـدنى أعترف بأسفى بقبولى دعـوتك والحضور معك للنادى هذه الليلة فضلا عن أنه لا شىء يرى هنا » ·

« لا تدع الخوف يعتريك ففى السن لنا أمان كبير · الرجال عادة لا تحترم السن ولكن فى داخل نفوسهم يتمسكون بالصـبر شاعرين أن العقاب المناسب سوف يأتى من جهة عليا أكثر سلطانا· لماذا يستنفذون قواهم ويتعرضون لأخطار لا لزوم لها بينما يتولى الاله تخليصهم من ضحاياهم بعد بضعة سنين ؟ هذا هو السبب فى الابقاء علينا » ·

وتناول الرجل ذو الحلة القاتمة رشفة من كوب وأخذ ينصت الى الأصـوات الكثيرة والصرخات خارج الأسوار ولكن لا صـوت لاطلاق النيران ·

واستمر فى حديثه كأنه مرب يلقى درسا :

« انك لتكون أشد حماسة لو عرفت طبيعة السلطة · بل العجيب من خبرتى الطويلة أنه حتى أولئك الذين يملكون السلطة لا يعرفون أو يلمون بطبيعتها · هناك بالطبع سلطة الحب وهـذه تستطيع ابعادها فى حالة مارتينيز · وبالنسبة للباقين فهى مسألة عطاء أو عقاب ليس الا · عن مبدأ الجزاء والجزاء · فالذى فى يده السلطة يمكنه أن يدفع للناس لتقبل حكمه أو يرهبهم بالعقـوبة والتعذيب اذا لم يقبلوا حكمه · هذه هى مصادر السلطة والعجيب جدا أنه متى زالت القدرة على المكافأة أو سلطة العطاء زالت معها القدرة على العقاب · لقد فقد مارتينيز كلا القدرتين ولذلك فسيختفى ويزول وفى اعتقادى أن هذا سيتم الليلة ! » ·

« انك قادر دائما على الكلام والاقناع يا عزيزى . ولكن كيف لى أن أتصور أن يضعف مارتينيز فجأة بهذا الشكل ؟ » .

« ليس فجأة يا صديقى . انه كان يعيش فى الآونة الأخيرة على وقت مستعار ولو كانت هناك أية معارضة جدية لقضت عليه بالتأكيد . ألا تذكر يوما أن أعضاء هذا النادى كانوا أغنياء عديدين وأغلبهم كانوا لا يكفون عن طلب المزيد من الثروة . وكان ثراؤهم وطمعهم منبع سلطة مارتينيز بالعطاء والعقاب . ولقد انصاعوا له خيفة أن يأخذ أموالهم أو يمنعهم من عمل المزيد . هذه هى السلطة بالعقاب . واستطاع أن يأخذ منهم ما يكفى ليمنح الآخرين فرص العمل والغنائم والرحلات الى الولايات المتحدة . هذه هى السلطة بالعطاء . والآن وقد ذهبت الثروة وذهب الناس وذهبت الضرائب، ألا زلت تعجب أن سلطته قد ذهبت أيضا ؟ » .

« كيف تقول : « أن الثروة قد ذهبت » انها لم تذهب بل لقد سرقها مارتينيز وأنت تعرف ذلك » .

« ذلك أعرفه لأسباب شخصية . دعنا من المشاحنات الليلة فلن يغنيه ذلك . ان الرجل الذى يعتمد على رجال العصابات وحملة السلاح والسفلة لحماية شخصه لن يجد من يدير له ممتلكاته من الشرفاء . أن الذين يديرون مزارعه وشركاته بلا استثنـــاء أوغاد أخساء فهم لا يغلون وان ربحوا لا يشاركهم أحد فى الربح .

أتظن أن الكابتن كيد عنــــدما شرف شواطئنا أعاد شــيئا لمموليه ؟

« ان مارتينيز يملك الشرطة » .

« ان ذلك أيضا مثل حى . انك قادر فقط على العقاب مادمت قادرا على العطاء . فحتى ادخال ابرة تطريز ، خرجت لتوها حمراء من النار ، فى ذكر الرجل ليست عند كل الناس مسألة مسـلية

يضيع بها الانسان وقته . فالذين يقومون بهذه المهارات لابد أن يجزل لهم العطاء وأن يوعدوا بالترقيات وأن يشعروا أنهم جزء من نظام ثابت مستقر . والا فالكفاية تتأثر . وذلك لا ينفى أن هناك من الشــواذ من يؤدون هـذه الأعمال حبـا فيها ولغير كسب مالى ولكنهم لحسن الحظ قلة » .

« ان عنده أموالا من الولايات المتحدة » .

« انى أعترف أن الأمريكيين يسببون مشكلة . انهم يدافعون عن الحرية ويحاربون الشيوعية وانها لكارثة كبرى أن يحدث هذا فى دولة صغيرة كدولتنا وفى ظل طاغية كمارتينيز اننا لسنا أول من قاسى وعاني من ذلك ولكنى متـأكد أنه قد فات الأوان حتى بالنسبة للأموال الأمريكية اعذرنى فانى أعتقد أن الثورة قد بلغت أبواب النادى » .

ووقف الرجل العجوز وأخذ ينصت مرة أخرى . لم تســمع أصــوات الرصاص ولكن كانت هناك حركة غير عادية فى الخارج وأصوات أقدام كثيرة وأوامر . وبعـد فترة سمع طرق شديد على بوابة النادى .

« أرجو المعذرة فقد دبرت الأمر لأصدقائى باستعمال النادى كمقر لقيادتهم ومعتقلا اذا لزم الأمر . اننى أشكرك على صحبتك . أرجو أن تكون تنبـؤاتى سليمة وأنهم ليســوا قادمين للالتجــاء بالنادى » .

واختفى الرجل العجوز فى اتجاه البوابة وسرعان ما ظهرت أضواء البطاريات ثم اخترق مصباح الظلام .

الفصل الخامس

بعد ظهر نفس اليوم فى جامعة ميتشجان فى آن بوركان أوجست شملتز شارلس سورنس الأستاذ المرموق فى العلوم السياسية وفى ميدان الخدمة العامة قد انتهى لتوه من محاضرة عن التقدم السياسى والدستورى • والاستاذ معروف لدى طلبة الدراسات العليا بأنه أحد معتنقى طريقة سقراط فى التعليم ، الا فيما يخص الكلام عن نفسه • ففى محاضرة اليوم التى استغرقت ساعتين تكلم طويلا عن دوره فى صياغة دستور ولاية وورتنبرج بادن حين كان يعمل فى ألمانيا ضمن ادارة جون ماكلوى بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية كما تكلم عن نصائحه السياسية الكثيرة التى قدمها بعد ذلك ببضع سنوات للرئيس كوامى نكروما رئيس غانا والتى لم يأخذ للأسف الشديد بأى شىء منها •

ولم يلحظ الاستاذ ملل الطلبة فأخذ يناقش تأثير الثورة ذات الأمانى الصاعدة وبعض الثورات الأخرى على استقرار الحكومات الدستورية وذكر أن الحريات الفردية مكفولة فقط فى ظل نظام من العدالة الاجتماعية ، وأكد أنه لم يحدث قط أن وصل الشيوعيون الى الحكم عن طريق انتخابات حرة • واستمر ملال الطلبة ، وتوقف الاستاذ شمولتز برهة وهنا رفع طالب يده طالبا

السؤال . نظر الآخرون عبر المقاعد المغلفة بقشرة خشبية بيضاء والتي خلا الكثير منها من أصحابها بشيء من الاهتمام .

كان السائل جوان سيزار مارتينيز ابن دكتاتور بورتوسانتوس المأزوم ذلك الطالب المنطوى على نفسه والذى يجهـــل اسمه غالبية زملائه من الطلبة . ربمـــا وصلت الى علمه بطريقة ما الأنباء التى تسرب القليل منها فى صحف ديترويت عن الصراع الدائر فى بلده الأمر الذى دعاه الى الكلام . لم يسبق طول دراسته أن تكلم أو وجه سؤالا لذلك أحس الطلبة ببعض الحماس انتظارا لسؤاله وفرارا ولو للحظة من الملل .

« هل تعتقد يا سيدى الاستاذ أن اليسار الجديد قد ينجح فيما فشل فيه اليسار القديم ؟ »

وتركز الاهتمام على شمولتر لبرهة فقــط فبقدر ما كان غنيا قويا فى معلوماته عن الماضى فهو بعيد تمـــاما عن الحاضر فاليسار الجديد والسياسة الحديثة وأحيـــاء حركة ماو والطلاب المنتسبون لجمعيات ديموقراطية وغيرها كل ذلك بالنسبة له أمور لا تســـتحق الدراسة أو الاهتمام والحقيقة أنه كان لا يعرف عنها شيئا .

« نظر الى الطلبة فى سماحة وإلى السائل ثم قال » :

« فى التحليل النهـــائى للأمور أعتقد أن الفوز سيكون دائما للروح الحرة . وسأشرح لكم لماذا .. »

وقبل أن يتم حديثه كان الطلاب قد توقفوا عن الاصغاء .

بينما الثــورة على أشـــدها فى بورتوسانتوس كانت سلسلة الاجتــماعات لدراسة الموقف فى واشنجطون لا تنتهى . وقد بدأت هذه الاجتماعات عصر يوم وصول برقية بيثــويك التى أفصحت عن انتظار تطورات خطيرة والحاح عن عمل شيء لانقاذ مارتينيز .

أولا كان هناك اجتماع هام جمع العسكريين ورجال المخابرات لدراسة خطة طوارىء فيما لو حدث هجوم سافر لاستيلاء الشيوعيين على السلطة ٠

وعقد اجتماع آخر فى مكتب وورث كامبل جمع رجال المعونة الخارجية ووكالة الاستعلامات وممثلى الخزانة والميزانية والزراعة لدراسة وتحديد مشروع متكامل عاجل لانقاذ نظام مارتينيز ٠

وفى الساعة الخامسة وصلت اشارة بأن رئيس الولايات المتحدة مستعد لمقابلة المختصين فى المساء ٠ كما سمح كامبل بارسال برقية عاجلة الى بيثويك ليؤكد لمارتينيز أن واشنجطتون فى طريقها لاتخاذ خطوات عاجلة لمساندته وأن هناك مشروعا متكاملا سيبلغ اليه فيما بين الاثنتى عشرة ساعة والأربع والعشرين ساعة القادمة ٠ كما طلبت البرقية من بيثويك أن لا يفصح عن نوع المعونة وعليه فقط أن يعد بها ٠ لم يكن الفرق بينهما حيويا ٠

ولضرورة وجوده فى مكتبه فى حالة الطوارىء هذه اتصل كامبل بزوجته ليعتذر لها انه لن يعود للمنزل لتناول العشاء وقد انتهزت الفرصة كعادتها وأخذت تحدثه عن متاعبها ومخاوفها على ابنهما ولكنه كان يعرف أنها سواء كانت فى فرح أو ترح فستذهب الى الفراش بعد العشاء مباشرة ٠ ان بعض زوجات الرجال الذين يعملون كثيرا أو ينالون شهرة دائما يجدن أنفسهن مضطرات لأن يبقين فى حالة من التوتر والاشفاق على أزواجهن أما لوريتا مارى كامبل فقد حلت هذا المشكل بالنوم والحصول على المزيد منه ٠

وفى الساعة السابعة ترك كامبل مكتبه المكيف الى حرارة جو العاصمة الذى لا يعتاده الانسان فى الخارج وكأنما يأخذ الانسان فعلا بالأحضان وبعد مسيرة بسيطة استقل سيارة أجرة الى مطعم « الاوكسيدنتال » أحسن المطاعم القريبة من البيت الأبيض ٠

جرت العادة دائما فى مطاعم العالم الكبرى أن لفتة سريعة من رئيس الخدم للداخلين كافية ليتبين الاشخاص ذوى الاهمية . ولو أن الواقع أن بعض ذوى الاهمية يضيعون فى الزحام ولا يعيرهم أحد اهتماما وينتهون بتناول وجبتهم على مائدة بالقرب من دورة المياه وعلى صوت المياه الجارية .

وورث كامبل ينتمى الى الفئة الاخيرة ربما بسبب نظاراته غير ذات الاطار أو ربما لأنه يبدو مهما طالما جلس على مكتبه الفاخر فى وزارة الخارجية . لقد نفى هذه المرة الى مائدة خلفية فى القاعة الداخلية تحت صورة لعضو شيوخ كانساس آرثر كابر جلس تحتها مباشرة .

وأخذ الساقى طلبه . لقد اهتز رأيه بعدم أهمية الضيف عندما أعرب عن عدم رغبته فى تناول شراب . الغرابة فى واشنجطتون توحى أغلب الاحيان بالأهمية . وان الوحدة لا تضايق وورث كامبل ولكنه اليوم للمرة الثانية وبنفس الضيق أحس أن اجراءات غذائه ليست كما ينبغى . صحيح أنه فى هذا اليوم المشحون بالاجتماعات الخاصة بالأزمة من الأسلم أن يكون بعيدا عن الناس ولكن ليس الى حد أن يكون منفردا بنفسه على مائدة منعزلة فى صالة داخلية . ثم أدرك أن آرثر كابر صاحب الصورة على الحائط معه .

أخذ يجول ببصره بين مئات صور رجال السياسة المعلقة على الجدران كان معظمهم من رجال التشريع فصور المشرعين بعكس رجال التنفيذ أو القضاء تلائم صالات الطعام .

ما مقياس اختيار هذه الصور أهى الفصاحة ؟ أم الزعامة ؟ .. أم رداءة السمعة ؟ أم طول البقاء فى المنصب ؟ أم قدرة صاحب الصورة على كتابة اسمه ؟

واذا قدر لهذا المبنى أن يستمر بعد اعادة تخطيط واسنجطتون

فسيأتي يوم لا يبقى محل على الجدران لمزيد من الصور ولا بد من أن يخلي البعض مكانه • سينتصر فيما يحتمل أصحاب السخاء البراق وكبار الأوغاد على أصحاب الفضيلة وصغار المذنبين • ستبقى صور جورج نورس وجو ماكارتي وتختفي صور فاجنر الكبير وستيلز بريدج • لم يكن ورث كامبل بالرجل الذى تعنيه هذه الأمور فعاد ببصره الى صورة كاير فانتقل بذهنه من عاداته فى الغذاء الى موضوع المشرعين بصفة عامة ثم الى حوادث بعد ظهر هذا اليوم •

ويعتبر رجال التشريع بالنسبة لقلة من رجال وزارة الخارجية العدو الثانى بعد الشيوعية وهذا الاعتبار بقدر ما هو نتيجة الجهل فهو ينبعث أيضا عن الخوف • فقد عرف وورث كامبل رجالا من الخارجية واجهوا برباطة جاش وشجاعة الغوغاء فى مظاهرات صاخبة يحطمون السفارات ويحرقون المكتبات الا أنهم يذوبون خوفا لمجرد فكرة مواجهة لجنة من الكونجرس حتى ولو كانت وديه • فاما أنهم ينتابهم الصمت التام أو ينزلقوا الى اعترافات تصور ضعفا شديدا فى الشخصية بل قد يصل الأمر الى حد الاعتراف الغير الحقيقى بتقصير أبعد احتمالا للوقوع وكل ذلك بقصد التخلص من شعورهم بالخوف أمام أعضاء اللجنة عن طريق تجريدهم من سلاحهم •

وفى عقيدة وورث كامبل وهو الذى عركته التجارب ولديه الخبرة فى مهنته أن رجال الكونجرس وهم فئة منذ ولادتهم هواة لا خبرة لديهم لا يعرفون الطريق لمعالجة المشاكل ، هذه المشاكل التى يجدها الخبير المحترف فى بعض الحالات شديدة التعقيد •

ورغم هذه الأفكار فان عدم رضائه هذا المساء قد ركز على السلطة التنفيذية وخصوصا بعض الرجال الذين احتك بهم بعد ظهر اليوم •

فالاجتماع مع العسكريين قد مر على مايرام فقد حددوا منذ

وقت طويل عدوهم ثم هم ليسوا ممن تساورهم الشكوك · وقد تبدو بعض خططهم بالضرورة بدائية ولكن واجب العسكريين أن يتقدموا بمقترحات وعلى المدنيين أن يهذبوها ويصدروا القرارات المناسبة ·· وعموما فهم أعقل مما يظن كثير من المدنيين · وهم أميل لأن يسترشدوا بالتجربة الشاقة ·

ولكن مشاكله بدأت في الاجتماع الثانى عندما تبين بين الحاضرين رجلا فى منتصف العمر من وكالة المعونة ومن أسلوبه ولهجته قدر وورث كامبل أنه لابد جند حديثا للعمل فى الوكالة من احدى جامعات الغرب الأوسط · وقد أثاره طريقة مناقشة هذا الرجل لمشروع مساعدة مارتينيز ·

« اننى لست خبيرا بالنسبة لهذه الدولة ولكن يلوح لى أننا لا نربح شيئا فى مقابل استثماراتنا هناك · هل تعتقد حقيقة أن فى مارتينيز نفعا لنا ؟ »

وبدأ وورث كامبل يتبين فى الرجل شخصية متحررة تخفى آراء يسارية يعبر عنها فى قالب من الجمل والألفاظ التى يستخدمها رجال الأعمال ومرة أخرى أكد كامبل لنفسه أن استنتاجاته عن الرجل ستحقق سؤاله التالى :

« اذا كان هناك أى برنامج حقيقى لمصلحة الفرد العادى فى هذه الدولة أى شىء يعكس الأغراض الاجتماعية ، فاننى لم أعثر عليه · وللتاريخ أود أن أسجل هنا تحذيرا للخطر الماثل أمامنا ·

ولاح على بيل أودنيل دلائل السرور لكلمات الرجل · وقبل أن يحاول وورث كامبل الرد اندفع رجل من ادارة الاستعلامات الامريكية معقبا مباشرة ·

« كيف نكون جادين بمساعدتنا لرجل مثل مارتينيز · ان ذلك يهدم كل وعد وكلمة نقولها عن الحرية فى أمريكا اللاتينية · بل أننا

ندمر مبادىء الحكم الشريف . واذا كانت هذه سياستنا فانني لا أرى مانعا أن ندافع أيضا عن ستالين » .

كان المتكلم شابا أنيقا حسن المظهر يتكلم بطـلاقة كأنه يذيع اخبارية جلس بجواره أحد المحامين من الادارة القـانونيـة والموجود لابداء رأيه في حصص السكر ليس الا وبجانب أودنيل فقد أظهر هذا المحامي بهز رأسه استحسانه لكلمات الشاب .

وراودت وورث كامبل فكرة أنه ربما يكون هناك بعض التواطؤ بين الحاضرين ، ولـكنه عاد فاستبعد الفـكرة لأنه لم يتيسر وجود وقت كاف قبل الاجتماع للتآمر . وهنا تحرك بسرعة وحزم لينهي هذه المهزلة .

« هناك لاشك رجال أصلح للحـكم من مارتينيز في بورتو سانتوس وانني لا أقل كرها عن أي منكم لطريقة حكمه في البلاد . فقد ولدت وربيت مثلكم على مبدأ التمسك بالحرية والديموقراطية .. وفي هذه النقطة فانني أشعر أنه لا خلاف بيننا في هذا الأمر . ولكن يجب أن نكون عمليين . فمارتينيز في الحكم . وأولئك الذين قـد يخدمون مصالحنا بصورة أحسن خارج الحكم بل أننا لا ندرى من هم .

وجال مساعد وزير الخارجية بنظرة في الحـاضرين فردا فردا قبل أن يتم كلمته .

« انني لا أعرف من هم ولا أعتقد أن أحدا في هذه الحجرة في استطاعته اخباري عن اسم شخص واحد نؤازره واثقين من امـكانه تولي السلطة ويضمن لنا تصرفاته بعد استلامه الحكم انني أعرف فقط أي طراز من الناس أولئك الذين يودون الاستيلاء على الحكم .

وفي هذه الظروف فانني أتساءل ماذا يطلب منا أن نفعله ؟.. مرة أخرى أيها السادة أكرر أنه لابد لنا أن نكون علميين . ان علينا أن نساند مارتينيز واننا على ثقة من ذلك .

كانت خطبة جيدة • صحيح أنها لم تكن السبب المؤثر فى قرارات المؤتمر فى النهاية غير أن الذى يفوز دائما فى البيروقراطيات المنصب الأعلى وخصوصا اذا عززته الثقة والعزم ، وهى أمور يملكها وورث كامبل • أما المحاجة والفصاحة فهى النبرات الرقيقة التى تضفى شيئا من الكياسة على الأمر ، والا لاح كأنه استعمال مجرد للسلطة •

عندما أنهى وورث كامبل حديثه بدأ الحاضرون فورا فى الدراسة والعمل • ورغم النتيجة التى وصل اليها فلم يعجبه ظاهرة العصيان هذه • فهى ظاهرة لمشكلة كثيرا ما أقلقته فى الفترة الأخيرة وهى عدم قدرة شبان هذا الجيل على الاستفادة من الخبرة التى نتجت عن دروس أليمة كان هو أحد المكتوين بها • بل لقد شعر أن بعض هؤلاء الشبان لا يحسون مطلقا أن هناك دروسا يمكن الاستفادة منها •

لم يكن كامبل ممن يتركون شعور الحنين لأى شىء يسيطر عليه ولكنه رغما منه أخذ يذكر الأيام الخوالى حين كان الناس أكثر تفهما •

وتذكر بالذات السنوات التى قضاها فى العمل فى باريس عقب الحرب العالمية الثانية ، لقد حصل فى هذه السنوات الكثير •• أما فى واشنجطتون فالمعروف أن عظمة الرجل تأتى نتيجة لجهد وعمل رجال أقل درجة أولئك الذين يحملون عبء مكونات هذه العظمة • فالعظمة تتطلب خطبا تكتب ومادة للتحضير ولاجتماعات الكونجرس وعليهم أن يلقنوا قبل الاجتماعات الكبرى وأن يحاطوا علما بالاحتياجات العاجلة قبل زيارة البيت الأبيض وأن يعدوا بأقل القليل قبل الذهاب لأى مؤتمر صحفى • لابد أن يبلغ العظماء عما يثير أعضاء الكونجرس أو زعماء العمال أو رجال الأعمال أو الادارة فما من عظيم يستطيع أن يأخذ الحيطة بفطنته فى كل هذه الأمور •

والرجل العظيم يضطر لمغادرة مكتبه لحضور حفل استقبال أو عشاء أو كوكتيل أو لقضاء عطلة نهاية الأسبوع لراحة ضرورية

وهو يذهب مطمئنا أن هناك من سيراجع مسودة مذكرة أو يحصل على توقيعات أو يتصل بالمشرع أو يهـــدىء بين الادارات المتنافسة أو يحدد مواعيد النشر لبيانات مختلفة فى الصحف . باختصار يجهز المئات من المواضيع التى تشكل فى مجموعها ادارة سـياسـة أمور الدولة . وعظماء الرجال كثيرا ما يكون لهم عشيقات أو عليهم ديون أو لهم نقط ضعف خاصة ولابد من شخص أو أشخاص يكتمون هذه الصورة عن الجمهور ليظل مظهر الرجل العظيم قائما كمـــا تتطلبه القواعد والتقاليد .

وكانت واشنجطتون مليئة بأمثال هؤلاء العظماء أثنـــاء الحرب ولذلك كان الطلب شديدا على أولئك الذين يحملون أعباء العظماء .

وكان وورث كامبل فى بدء حياته أحد هؤلاء الذين يصنعون عظماء الرجال فقد عمل أثناء الحرب فى لجنة الانتاج الحربى مع رجال مشهورين مثل رونالد نلسون ، شارلس ويلسن وفرديناند ابرشتات لم يكن هناك ما يؤخذ عليهم شخصيا الا أنهم بالاجمـــاع اعتـرفوا بفضل هذا الموظف الممتاز فىعمله وأقروا بجميله عليهم فى مناسبات عديدة بل منحوه أسمى مديح حين كانوا يكررون قولهم .

« لقد أنقذ هذا الشاب الممتاز حيـاتى ومستقبلى فى مناسبات عدة » .

وانتهت الحرب وعاد كامبل الى مهنة التــــدريس ولـكن الملل تملكه ولم يمض وقت طويل حتى دعاه أحد عظـــــام الرجال الذين خدمهم فى واشنجطتون للعمل معه فى برلين فى قيادة قوات الاحتلال تحت امرة جنرال لوسيوس كلاى .

ثم جاء مشروع مارشال وذهب كثير من العظمـــاء الى باريس وأصبحت الحاجة الىمساندى العظماء فىباريس لا تقل عنواشنجطتون وزادت خبرة ومعرفة كامبل بمشاكل أوربا فذهب الى باريس وكغيره

ممن خدموا مؤقتا فى باريس اكتشف أن اقامته فى هذه المدينة هى أسعد فترة فى حياته ٠

كان مقر مركز ادارة التعاون الأوربى هو المبنى التاريخى القاتم بيت تاليران فى شارع ريفولى منذ عهد الامبراطورية الكارولنجية لم يعرف مبنى واحد كمركز أوربا مثل هذا المبنى ٠ وفيه بذل كامبل جهدا كبيرا مع الكثيرين من أنبغ رجال العصر فى أهم عمل فى ذلك الوقت وهو انقاذ العالم الغربى من خطر الشيوعية الدوليـــة التى تمثلت لهم كعدو حقيقى لا يقل بل يفوق خطورة قوات المانيا النازية التى خربت أوربا منذ خمسة أعوام ٠ هذا العـــدو الذى لا يتطلب الدفاع ضده وسائل عسكرية بل مهارة فنيـــة لا تجىء الا من فهم المدنيين الخبراء وكان وورث كامبل أحد هؤلاء الخبراء !

عندما تخرج كامبل من الجامعة فى الثلاثينات عمل مساعدا فى التدريس ومنذ هذا الوقت أظهر تحفظا علميا تجاه الحركاتالسياسية المثيرة اذ ذاك ٠ فالباحث لا يلقى بنفســـه فى أحضان الشيوعيـــة أو الاشتراكية أو الجمهورية الاسبانية ، بل يظل دائما فى مكانه ليسأل ويبحث ٠

وكان لهذا التحفظ أثر كبير فى اعجاب أساتذته به فى وقت ندرت فيه الوظائف ٠ ومن هنا كان أنه أكثر كفاءة وذكاء وان كان أقل منهم وزنا للأمور وتقـــديرا لهـــا ٠ واستمر تحفظه سنى الحرب وما بعدها ٠

وبينما اســـتثمر معاصروه طاقاتهم العـــاطفية والروحية والسياسية فى فكرة اتفاق دائم بين بريطانيا والسوفيت أو نشطوا فى اعداد الخطط من أجل الأمم المتحدة أو اشتركوا فىأعمال الاغاثة مع الصين ٠ وقد ظل منكبا على اعداد المواد والواقع وأوامر الصيانة واعادة التخطيط وانهاض المـانيا من جديد ٠ وكانت النتيجـة أنه

عندما بدأت عمليات تحريات الأمن فى أواخر الأربعينيات وعمليات العسف الرهيبة فيما بعد واجههم وورث كامبل • ليس فقط بسجل طاهر وانما أيضا بضمير طاهر •

ان الحرص الذى فرضه على نفسه وأبعده عن كافة المشاكل العقائدية وغيرها جعله يؤمن بخلاف الكثيرين من معاصريه بعمق نظرته وفهمه لطبيعة المؤامرة الشيوعية •

وفى الخدمة العامة كما فى غيرها من أوجه نشاط الحياة فان العامل الرئيسى فى تقدير الشخص هو التقدير الذى يمنحه لنفسه • لذلك تضاعف اعتقاد كامبل فى نفسه وادراكه العميق كاستراتيجى ثاقب النظرة فى المواجهة الكبرى بين العالم الحر والشيوعية • ومع الوقت اعتنق مبدأه الكثير •

وحان الوقت حين غصت باريس بالكثير من الوزراء والمشرعين والصحفيين ورجال الفكر والتربية والذين كانوا فى الماضى يحاولون أن يجعلوا كامبل يتفهم نوايا الاتحاد السوفيتى انقلب الحال وبدأ هؤلاء يهرعون الآن الى مكتبه ليستمعوا الى تلخيصه وتقديره للموقف الدولى •

وتعددت اجتماعاته بالكبراء فى فنادق الريتز وجورج الخامس والكريون وبالنسبة للأساتذة فى الفنادق الحقيرة فى الضفة اليسرى للسين التى يقول عنها العارفون « انها بسيطة ولكنها جيدة » وكان التعليق دائما على شخصية كامبل : «انه الرجل العالم ببواطن الأمور»

وعاونت عوامل أخرى فى فهمه للعالم وللعدو الذى يناضله • ففى باريس أخضع حياته الاجتماعية لواجباته وكان ذلك غريبا فى وقت استخدام الكثير من زملائه ادارة التعاون الاقتصادى فى باريس كاجازة للترويح عن أنفسهم والفرار من حرفة كاسدة أو حياة نمطية فى جامعة أو فى واشنجطتون • ولكن وورث كامبل ذاته وهو الرجل المخلص فى عمله لم يكن ليغفل مزايا الحياة الرسمية أو شبه الرسمية

التى كان يعيشها زملاؤه فى تلك الأيام الجامحة فى باريس اغفالا تاما • فقد استمتع باجتماعات الغذاء والعشاء الشهى تلك الاجتماعات التى كانت تناقش مستقبل الوحدة الأوربية وبمضى الوقت أصبح وورث كامبل معروفا بأنه الرجل الذى يعتمد عليه فى التقدم بآراء جريئة كسن قوانين تمنع احتكار الشركات كوسيلة لمساعدة الاقتصاد الحر فى أوربا وكتشريع يلزم اتحادات العمال فى أوربا بالتزام قسم ضد الشيوعية وادخال النظم الأمريكية فى التعاون بين الادارة والعمال والطرق الحديثة لتسويق الصناعات الأوربية نادى وورث كامبل بهذه الآراء فى مئات الاجتماعات •

أما حياة باريس الليلية فقد تعفف عنها وحتى كان يحتفل بكبار الزوار ويبدون رغبتهم بعد العشاء فى جولة فى بيجال ومشاهدة البغايا والعرايا فانه كان دائما يعتذر بأعماله الهامة • كان صادقا أحيانا فكان يعود لمكتبه ولكنه كان فى الغالب يعود الى منزله حيث تكون زوجته قد ذهبت للفراش منذ وقت طويل • ولكنه كان يفتح آذانه عندما تروى حكايات هذه المغامرات دون أن يبدو عليه الندم•

والحادث الوحيد أو المغامرة الوحيدة التى كادت تحدث له فى باريس فى صيف عام ١٩٤٩ حين سافرت زوجته وأولاده الى ماريلاند فى الولايات المتحدة لقضاء عطلة الصيف هناك • وكان فى حفل استقبال أقيم بمناسبة زيارة كريستان هيرتر لباريس •• أثناء الحفل وجد نفسه يتحدث مع زوجة أحد زملائه الفرنسيين يعمل مفتشا للمالية وكان قد تعرف عليه فى اجتماع عمل بشأن اتحاد الدفع الأوربى • كانت الزوجة جميلة ممتلئة ذات مظهر جذاب وفيها أنوثة واضحة وقد شاركت زوجها معرفة واسعة بدوائر الحياة السياسية الفرنسية • ومعروف أنه حظى بترقية سريعة أيام حكم حزب الجبهة الشعبية كما كان نشطا فى أعمال المقاومة أثناء الحرب •

وأثناء الحديث أخبرته أنها أيضا أرملة صيف فقد سافر زوجها

فى رحلة طويلة الى هانوى وفجأة وجد نفسه يدعوها للعشاء ودعتـه بعد العشاء لتناول القهوة والكونياك فى منزلها وفى جو دافىء هادىء أخذت تحدثه فى تفصيل دقيق عن مغامراتها فى الحرب ونجاحها فى اغراء كثير من ضباط المخابرات الألمـان ثم تعللت بحاجتها الى مزيد من الراحة والاسترخاء واستأذنت لتعود بعد برهة مرتدية بيجامة من الحرير الأبيض الواسع التى يحضرها الأزواج لزوجاتهم من الهنـد الصينية • وتبادلا رشـــفة من الكونياك ثم التفتت اليه بثبـــات وصراحة تامة طالبة منه البقاء وقضاء الليل معها فى فراشـــها ولم تشك لحظة أن الفكرة كانت تراوده وأن خياله رحب بهــــا وعلقت بمرح على هذه الظاهرة •

وهرب وورث كامبل وهو مجروح الكرامة ولكنه التزم بضبط نفسه التحكم فى مشاعره والتغلب على ضعفه ، هذا الضعف الـذى كان فى اعتقاده أن سروال الرجل قد صمم ليسهله •

ولم يشك لحظة وهو يعتذر لنفسه أنها كانت تضمر شيئا آخر غير مجرد الغرام • وقد حمد قدرته على التحكم فى نفســـه رغم أن حسرة بسيطة مرت فى ذهنه •

ثم عاد العظمـــاء الى بلدهم وكذلك عاد وورث كامبـل وفاز الجمهوريون واحترامه الكثيرون لأنه صوت لايزنهاور • واستمر فى العمل لفترة مع دالاس وان كان ذا شخصية مركزية •وقد وافق على أن يشغل منصب مدير معهد الشئون الدولية فى جامعته القديمـة وفى هذه الفترة أثار انتباهه استيلاء كاسترو على الحكم وابتدأ كامبل يهتم بالنشاط الشيوعى فى أمريكا اللاتينية وبعد سنوات عاد الحزب الديمقراطى للحكم وتذكره بعض أصدقائه القدامى وأن من الممـــكن الاستفادة بخبرته فى وظيفة محددة ، وليس فى الادارات المتحررة •

فالادارات المتحررة تتطلب متحررين (لبراليين) لوظائف الشئون الداخلية عندما تأتى حكومة متحررة للحكم فهناك مناصب لا يصلح لها المحافظون حتى لو كانوا معتدلين مثل وزارة الصحة والتعليم والاحسان · ولكن وزارة كوزارة الخارجية تتطلب رجالا يوحون بالثقة ، وهذا شيء لا ينجح فيه اللبراليون · فما لم يزيلوا الشكوك حولهم بمجرد توليهم مناصبهم وذلك باتخاذ موقف صلب فى الحرب الباردة اتهموا بالميل نحو التساهل مع الشيوعيين · أدنى اشارة للتصالح ستعزز هذا الاتهام ·

لذلك لا تجد الادارات المتحررة بدا من وضع المحافظين فى مناصب الخارجية أو أفضل من ذلك كله تضع فيها الخبراء غير الحزبيين· ومن هنا برزت الحاجة لرجال مثل وورث كامبل الذى أصبح يعتقد اعتقادا لا شعوريا على مدى السنين أن خبراته التى زاولها وصفاته السياسية هى المعيار لصلاحية أى شخص يعمل فى السياسة الخارجية ومن لا يحوز هذه الصلاحيات والصفات فهو متطفل على الوزارة ·

وقطع على كامبل أفكاره ظهور شاب صغير السن أسود الشعر نحيل الوجه فى ثوب لم تصلحه المكواة بجانبه سائلا :

ـ هل ستحضر الاجتماع يا سيدى ؟ ··

لابد أنه كان يتناول غذاءه فى القاعة الأخرى ورأى مساعد الوزير وهو يدخل · عمل هذا الشاب مساعدا لكامبل فى بعض البحوث أيام كان مديرا لمعهد الشئون الدولية · ثم فضل الشاب العمل بالسياسة على الدراسة فاشترك فى المعركة الانتخابية محررا للخطب وهو الآن فى البيت الأبيض ومن مهامه التى يؤديها مسئولية غامضة عن أمريكا اللاتينية ·

لم يكن فى واشنطون رجلا يبغضه كامبل مثل هذا الشاب ولم يكن السبب فارق السن فقد تعود كل من ظل يعمل فى واشنجطتون

على تلقى التعليمات والأوامر من شبان في سن أولادهم بل وأقل منهم عقلا • ولكن كرهه يعود ليوم سبت رجع فيه فجأة الى مكتبه فى المعهد ليفحص بريده اليومى وفى أحد الخطابات التى فتحها كان هناك طلب لشغل مركز عضو فى هيئة تدريس المعهد ومن سطور الخطاب تبين أن الطالب كان صديقا لمساعده ودون تفسير معقول وجد ضمن أوراق طلب الوظيفة وهى تاريخ الحياة ورسائل التوصية خطابا من مساعده يلوح أنه قد أرسله من مدة لطالب الوظيفة وهذا ما جاء فى جزء منه :

« ستجد نوعا من التشدد والتضارب فى مدير المعهد • وعموما فهو رجل ذكى واذا كنت من المهتمين بحلف الأطلنطى واستراتيجية برلين ووحدة أوربا والاتفاقات النووية لمصلحة ألمانيا وغيرها وتاريخ مشروع مارشال فانك لن تجد خيرا منه • ولكن أحذرك أن تتحدث معه فى أى موضوع من الموضوعات العصرية الحديثة فهو لا يود أن يتطور العالم ولا يرغب فى أن يتغير الشيوعيون بل على العكس قد أظهر قلقا من خلافاتهم الأخيرة • اننا ما نزال فى حرب باردة شديدة حولنا هنا •

لم يفصح كامبل لأحد فى يوم من الأيام أنه رأى هذا الخطاب ولكنه لم يغب عن ذهنه قط • وعندما قدم رجال المباحث الفيدرالية يوما لتقصى مسلك وآراء مساعده السابق قبل تعيينه فى منصبه فى البيت الأبيض تملكه الحيرة عما يجب عليه قوله • وأخيرا اكتفى بملاحظة بعدم النضج وضعف في نضوج قدرته على الحكم على الأمور• ربما كان من واجبه أن يقول أكثر من ذلك •

عادت ذكرى هذا الخطاب الى ذهنه الآن وهو يدفع الحساب وظلت الكلمات تعاوده وهو يسير بجانبه فى شارع بنسلفانيا ثم عبره أمام الواجهة الكلاسيكية الصارمة لوزارة الخزانة ثم طول السور الحديدى المرتفع الذى يحيط بحدائق البيت الأبيض من الجنوب بل حتى حين وصل الى الحاجز عند النهاية السفلى لطريق وستاخريكوتيف حيث فحص البوليس السرى أوراقه بينما أشار الى رفيقه الشاب بالدخول .

الفصل السادس

يتميز البيت الأبيض عن أى مبنى آخر بآن له شخصيته النى تتغير على حسب البوابة التى يستعملها الداخل • ففى صباح كل يوم من الأسبوع يتدفق الآلاف من السياح مارين بوزارة الخزانة فى طريقهم الى البوابة الشرقية • والبيت الأبيض بالنسبة لهم هو الدور الأسفل الذى يتكون من ممرات واسعة مغطاه ودرج جميل وعدة حجرات خالية بها لوحات كثيرة للنكولن ويقف عدة رجال من البوليس السرى فى زيهم الرسمى الأزرق وشارتهم الذهبية يمنعون أى شخص من العبور الى الأماكن المحرم زيارتها بعد ذلك • والعجيب فى أمرهم أنهم يبدون فى مظهر ثابت مستقر وفى بنيان جثمانى كما لو كان الواحد منهم مديرا لبنك فرعى أو أستاذا فى الخطابة • ويحس كثير من هؤلاء السياح بأهمية الفرصة التى أتيحت لهم ولكن هناك البعض الذى يشعر بخيبة أمل •

أما أولئك الذين ينفذون من الباب الأوسط سواء شمالا أو جنوبا فالمبنى الجميل بالنسبة لهم ليس الا مدخلا خلفيا لحفل يتألق فيه الجميع تعزف فيه الموسيقى فرقة عسكرية خلابة الزى• والحفل عادة اجتماع يحس فيه كل شخص بأهميته • فلن تجد سيدة فى هذه الحفلات الا وقد ظهر عليها المجهود الزائد الذى

يذل فى تصفيف شعرها واعداد زينتها وملبسها بل قد يجاوز هذا المجهود الحد العادى أحيانا مما لا يعطى صورة للجمال أو الحسن ولكن يصبح تصويرا لمهارة الفن الحديث فقط • ومهما تبلغ رقة الحال بزوجين فهما يستشعران بأهميتهما وأنهما من دون الناس جميعا فى الجمهورية دعيا الى هذا الحفل لا أحد ينجح فى اخفاء هذا الاهتمام بالذات •

يحكى أنه فى احدى هذه الحفلات دعى أحد رجال صناعة الغسالات الأثرياء ومعه زوجته التى كان قد عقد عليها من مدة بسيطة • كانت السيدة ترتدى فستانا للسهرة ينخفض الجزء الأمامى منه أكثر من اللازم وأثناء العشاء بينما انهمكت فى حديث مستفيض مع أحد أعضاء مجلس الشيوخ تدلى ثدياها خارج الفستان ولصغر حجم الثديين لم تلاحظ شيئا لا هى ولا عضو الشيوخ ولا أحد من الرجال فيما عدا قلة من النساء • ذلك أنهم جميعا كانوا مشغولين بأنفسهم وبأهميتهم ولا يرون غير ذلك شيئا • وحدث بعد ذلك أن تقدمت احدى سكرتيرات زوجة رئيس الجمهورية وأعادت الثدين الى مكانهما الأمر الذى جلب عليها تأنيبا خفيفا من صاحبة الثديين على فعل غير طبيعى •

أما بالنسبة لوورث كامبل ورفيقه ومن على شاكلتهما فمن يدخلون من البوابة الغربية للبدروم الى الجناح الغربى فالبيت الأبيض لهم محل للعمل الرسمى الشاق • فهذا الجناح يضم مكاتب العمل الرسمى للدولة • والعمل يتم فى الجناح الغربى اما فى الغرفة البيضاوية الفسيحة البهيجة الشكل والخاصة برئيس الولايات المتحدة أو فى القاعة القاتمة والفاخرة الخاصة بمجلس الوزراء • وهنا يحس كل من الحاضرين أن أى كلمة يتفوه بها قد تكون جزءا من التاريخ المعاصر • وأفضل من ذلك أنه اذا ترك عند الرئيس أثرا طيبا بعمق ادراكه ومهارته فى تبديد

الحيرة وفطرته السليمة ومتانة شخصيته فقد يكون له شأن أكبر ونفوذ أعظم ·

أو قد يكون العمل فى غرفة صغيرة فى الدور العلوى بالمبنى الصغير أو فى أحد المكاتب المتواضعة لمساعدى الرئيس التى تصل اليها عن طريق الممرات القـاتمة · وهنا يتكلم الحاضرون بحريـة أكثر وتتحول الآراء الى مقترحات والمقترحات تصبح خططا وقرارات وهذه تنسق وتبرز فى النهاية مكتوبة على صفحات من الورق يعاد دراستها وصياغتها حتى تنتهى فى صورة خطب للرئيس أو رسالة للكونجرس أو مشروعات قوانين أو نشرات للصحف أو أوامر تنفيذ أو رسائل لرؤساء الدول الأخرى أو تعليمات للسفراء و للقواد العاملين فى أراضى بعيدة ·

وفى واشنجطتون قلة من تعرف مقدار النفوذ الذى تتمتع به هذه الحفنة التى تحول الأفكار الى مادة مكتوبة بحضور عشرة أو أكثر من الزملاء الذين يملكون الحماس والقدرة على الافصاح ولكن ينقصـهم قدر من التعليم · وتحرص هـذه الحفنة على أن لا يحس أحـد بنفـوذهم اذ قـد يدفع ذلك دقة أكثر فى الفحص والدراسة لما يكتبون ·

انتهى اجتماع رئيس الجمهورية فى المساء وغادر القاعة ليترك الحاضرين يصوغون ما انتهوا اليه فى رسالة تتضمن عبارات شخصية من الرئيس لتشجيع مارتينيز فى موقفه · وكان فى امكان وزير الخارجية ترك اجتماع بعد خروج الرئيس والذهاب الى منزله ولكن ذلك لايتفق مع ما عرف عن شخصيته فحتى أقسى ناقديه لم يمكنهم اغفال الحقيقة أن الوزير يتمتع بضمير حساس تجاه أعباء منصبه · لذلك ظل فى الاجتماع حتى النهاية وكذلك معظم الآخرين ·

لم يكن اجتماع المساء عصيبا أو معقدا بدرجة غير عادية كحال

الاجتماعات الاالوزراء ورؤساء الوكلاء والمعروف فيهذه الاجتماعات أنه ارتفـع منصب الشخص كلما قلت شهوة الكلام عنده وزادت رغبته في الوصول الى الاتفاق والتقيد ٠

نوقش في بدء الاجتماع احتمـــال انهيار حـكومة مارتينيز واستيلاء الشيوعيين على السلطة ومسايرة لأحداث التاريخ فقـد بدأوا في دراسة الخطط اللازمة لانقاذ مارتينيز ٠ وبينما انهمك رئيس رؤساء أركان الحرب في دراسة القواعد الدفاعية المبعثرة في أطراف الولايات المتحدة على خريطة تكلم مساعده في لغة حرفية رصينة معبرا عن رأى العسكرين ٠

« اذا كان هذا الرجل في ورطة وهو في صفنا فرأيي أن نأخذ قوة كافية وننقذه ٠ في مثل هذه الأوقات أيها السادة لابديل عن استعمال القوة ٠

أنصت الرئيس باهتمام شديدا وكل الدلائل تشيرالى موافقته ولـكنه كرجل مسئول يتطلب منصبه التأنى وابتـلاع التصرف المنطقي قال :

« لا أعتقـــــد أننـــا وصلنا الى هذه المرحلة بعد » وابتسم الجنرال برقة فهو لم يدر بخاطره لحظة أن رأيه سيؤخذ به ولكن كان منبع سروره أن الفرصة سنحت له ليعرب عن هذا الرأى ٠

وظهر من النقاش أن مساعدى الرئيس سبقوا ولقنوه بعض المعلومات والبيانات مما أثار بعض الصعاب فهم يودون الآن معرفة عما اذا كان مارتينيز يستحق الانقاذ فهو ديكتاتور والشعب ضده ثم أنه غير محبوب في أمريكا اللاتينية وهو سبب التأخر الاقتصادى لبلاده ٠ ان اتفاقية الاليانزا وعدت بحكومة ديمقراطية وحياة أفضل لأفراد الشعب ولكن مارتينيز كان مهتما فقط بمارتينيز ٠ الخلاصة أنه يـكون قضية خاسرة من جميع الوجوه ٠ لم ترد هذه المسائل

دفعة واحدة ولكنها جاءت من الرئيس وبطلاقة أكثر من مساعديه انها اعتراضات روتينية ولكن لابد مع ذلك من مواجهتها • تصدى لها وورث كامبل كما فعل فى نفس اليوم ولكن بعنف أقل فهو لاينكر هذه الحقائق بل على العكس يأسف لها واحساسه لايقل عن أحد من الحاضرين ولكنه أكد أن الشيطان الذى نعرفه أقدر كثيرا من وجهة عملية على التعامل معه من سوء الحظ أنه شيطان ولكنه حكم بلاده لمدة طويلة جدا • ومن الخير الابقاء عليه لفترة أخرى بدلا من الوقوع فى المجهول مع مافيه من أخطار غير معروفة • والرئيس قطعا لا يود أن تظهر فى هذه الرقعة من العالم ديـكتاتورية شيوعية أخرى كاسترو آخر • واختتم قائلا : ان واجب وزير الخارجية وواجبه هو وقاية رئيس الولايات المتحدة باطلاعه على الحقائق • وقد سر وورث كامبل لنقطته الأخيرة وأنه صرح بها أمام مستشارى الرئيس • ولكن أحدا منهم لم يفـكر فيها • انتهى الاجتماع وقد اتفق على غالبية مقترحات وورث كامبل مع تخفيض طفيف فى قيمة المعونة المالية •

وهم الرئيس ليغادر قاعة الاجتماع فى طريقـه الى جناحه الخاص وقبل أن يغادر الغرفة التفت الى المجتمعين قائلا :

« يلوح لى أن الأزمات فى نظر السياسة الأمريكية تحل دائما بنفس النمط رسالة قوية منى وبرفقتها شيك بمبلغ كبير ! »

وضحك الجميع ضحكة تقدير •

أما الاجتماع الخاص بصياغة القرار فقد ساده بعض التأزم لقد كان السر فى قـدر كبير من نجاح وورث كامبل فى الغـائه البيروقراطية راجعا الى مهارته فى تولى الأمر بهدوء عند وصوله الى هذه المرحلة • ولكن مساعده السابق كان قد تعلم هو الآخر أشياء مساعده فيها بروتوكول واشنجطتون البيزنطى • ذلك أن

حق صياغة رسائل الرئيس لايقوم بها أكفأ موظف فى الاجتماع أو أعلاهم منصبا بل أن أى مساعد للرئيس تصادف وجوده لهحق تولى هذه المهمة وقد صمم هذا المساعد أن تتضمن الرسالة بعض العبارات التى تدعو حكومة مارتينيز الى مزيد من الحرية والى الاصلاح الزراعى واجراء انتخابات حرة وسرعة محاكمة المعتقلين السياسيين والحد من سلطات البوليس·وبصبر عجيب تمكن كامبل من استبعاد أغلب هذه العبارات موضحا أن ذلك قد يكون ممكنا فى خطبة أو فى بيان تصدره منظمة الدول الأمريكية ولكن ليس من الفطنة أن تتضمن رسالة مقصود بها التشجيع والمساعدة مثل هذه العبارات اذ يجب أن تكون الرسالة قوية وعلية وقد تقلل مثل هذه العبارات من تأثيرها وهنا انبرى الجنرال لمساعدة كامبل قائلا :

« اننى اذا أصدرت أمرا لجنودى بالقتال فاننى لن أتوقف لأسألهم هل هم فى ردائهم الرسمى » ·

وأخيرا تم الاتفاق على صيغة معقولة قوية وغادر وزير الخارجية ومساعده الاجتماع قبل الآخرين مارين بمكتب الخدمة السرية عند باب البدروم ومخترقين بوابة المبنى الغربى الى طريق وست اجزكوتيف الساعة الحادية عشرة مساء ·

حدث هذا فى حين كانت الأحداث تأخذ مجراها فى أماكن أخرى دون تأثر بالاستراتيجية التى كانت تخطط فى عاصمة العالم الحر ·

* * *

وقف الرجلان عند منحنى الطريق يحملقان فى مبنى قاتم أمامهما كان فى يوم من الأيام البريئة السابقة يضم وزارات الخارجية والدفاع والبحرية والآن لايكاد يكفى العديد من ملحقات البيت الأبيض ·

« هل تعتقد أننا سننجح ؟ » وجه السؤال وزير الخارجية كسبيل للحديث مع مساعده • « الواقع أن رسالتنا تتضمن مشروعا متكاملا • وليس أمامنا الآن سوى متابعة الحوار مع مارتينيز محاولين تقوية دفاعاته ورفع روحه المعنوية » •

« اننى أوافق فالمحاورة هامة جدا • يا الهى • بعض هؤلاء الشبان » •

كان هذا أقصى ما ذهب اليه وزير الخارجية نحو زملائه فى الحكومة سواء قصد نقدهم أو امتهانهم • ومع ذلك فقد التفت بحركة لا ارادية فيما وراء ظهره •

« قد يتعلمون يوما أن فى عالمنا قد يكون من الضرورى أن نتعايش مع أناس كريهين » ••

« أرجو ذلك كثيرا ما تتملكنى الحيرة حين أسمع أن شخصا يكتب الخطب فى أثناء الحملة الانتخابية أو كان أستاذا فى القانون أو تاريخ الأدب فى هارفارد أو أى جامعة أخرى يصبح أهلا لأن يكون خبيرا فى شئون السياسة الخارجية » •

«سيدى الوزير • ليس هناك حتى الآن دليل على صحة هذا»

« فهمت أن ذلك الشخص الذى اقترح ارسال التعليمات عن وسائل الاصلاح لمارتينيز كان أحد تلاميذك القدماء ؟ » •

« الواقع أنه كان مساعدا لى فى المعهد • لقد حاولت دائما أن أؤمن للعالم تنوعه » •

لم يكن من عادة وورث كامبل التندر فى المسائل الجدية • ولكنه حتى فى تلك اللحظة شعر بأنه مدفوع نوعا ما •

ثم سأل وزير الخارجية

« هل أنت متأكد أن مارتينيز سيتغلب على هذه الأزمة ؟ »

« كلانا على علم بالأشخاص الذين ينتظرون أن يحدث العكس خلقد نشأنا ياسيدى الوزير فى نفس المدرسة ٠

« الى أى حد تثق فى بيثويك ؟ » وبطريقة اللاشعورية خفض الوزير من صوته ٠ ففى واشنجطتون يولع الناس بالتحدث عن كفاءة شخص ثالث ٠ اما فى وزارة الخارجية فقد جرى تقليد أن يعامل السفراء عند التعرض لهم باحترام خاص ٠ وهذا هو الذى فعله الوزير الآن عندما وجه السؤال فهو دائما المثل الذى يجب أن يحتذى به ٠

« انه ليس من الهواه وهو صلب وقد عركته الأيام فهو يعرف نوع الرجال الذين نكافحهم وسنقدر من الليلة هذه الصفات فاننا لانرسل أى شخص لدول مثل بورتوسانتوس ! » ٠

« عموما لندعو الله أن يتم كل شىء على مايرام ٠ يدور بخلدى أحيانا أننى اتقاضى مرتبى فى مقابل الدعاء ٠ أمعـك سيارتك ياروث ؟ » ٠

لقد طلبوا لى سيارة من البيت الأبيض فالموظفون فى انتظارى فى المكتب ولابد أن أتأكد أن مذكرة الليلة سيتم ارسالها لبيثويك»

« ألا يمكنك الاتصال تلفونيا بفلوريس ؟ » ٠

« يا الهى ! ان جميع الخطوط الخارجية تمر بقصر مارتينيز واذا كانت لغته قد تحسنت أخيرا فمن المؤكد أنه سينصت بنفسه الى كل كلمة »

« لقد وصـــل الى علمى أن هناك تصنتا على بعض الخطوط التليفونية فى ديموقراطيتنا !

الى اللقاء فى الصباح ·

وأشار الوزير الى سـائقه الذى فتح باب السيارة ثم حيى مساعده باليد · راقب كامبل السيارة الكاديلاك وهى تبتعد بصوت خافت فى الشارع القصير ثم تتوقف بشكل غير محسوس عند حاجز طريق بنسلفانيا ثم تكشف أنوارها عن متنزه لافايت وتخترق الأشجار ثم تدور وتبتعد عن الآنظار وظهرت سيارة البيت الأبيض وهى سيارة سوداء من طراز ميركيورى فتوقفت أمامه بينما كان الآخرون يخرجون من الباب ·

* * *

فى الغرفة الخارجية لمكتب مساعد الوزير كان فى انتظاره أودنيل وسيمس جونز وشاب صغير أنيق لم يستطع لفوره تحديد صفته وسأل بمجرد دخوله الحجرة ·

« هل هناك أية رسالة جديدة من بيثويك ؟ » ·

ورد بيل أودنيل ·

« أشعار بوصول رسـالتك الأخيرة التى ذكرنا له فيها أن يترقب تعليمات جديدة باكر كما وصل لوكالة المخابرات برقية من عميلها الذى أرسلوه أخيرا بأن اطلاق النيران قد توقف وأن الهدوء يسود المدينة · واعتقد أنه فى هـذه اللحظة يتجول فى فلوريس محاولا التعرف على ماحدث بالضبط · كيف تم الاجتماع ؟ »

« وصلنا الى ربطته » وكأنما تمنى بالربطة بمعناها الحرفى اذ قذف بالمظروف البنى الذى كان يحمله على المائدة · انه نفس المشروع الذى وضعناه من قبل مع بعض التعديلات الطفيفة و ١٠ مليون دولار لتغطية العجز فى الميزانية الجديدة · ونفس المبلغ للأسلحة الجديدة كالأسلحة الصغيرة ومعدات مقاومة الشغب وبعض

المهمات الأخرى وكذلك خبراء عسكريون لتكثيف تدريب الجنود على مقاومة المظاهرات • كذلك بعض طائرات الهليوكبتر لزيادة تحرك القوات • مع رسالة قوية شخصية من الرئيس تعد بمساعدة مارتينيز • هذا والبنتاجون يعد خطة طوارىء جديدة » •

وتكلم سميس جونز كمن يدرب نفسه على استعمال الألفاظ الرسمية الدقيقة •

« هل لك ياسيدى أن تفصح لنا عن رد فعل الرئيس ؟ »

« لايمكنني أن أقرر أنه كان سعيدا »

« ماهى فى رأيك تحفظات الرئيس ؟ »

« المال • المال • كما أن مساعديه قد وصموا مارتينيز بصفات كثيرة فى رأيى أنه يستحقها وطبيعى أنه ود أن يعرف لماذا لم تكن لدينا معلومات مبكرة عن الأزمة ولقد ذكرت له أنك يابيل قد وصلتك معلومات منذ بضعة أيام عن الموقف لقد خبر مساعد الوزير أعمال الحكومة سنين طويلة فلم تكن تزعجه مثل هذه التقولات التى لم تثبت والتى لم يكن لها قيمة • وتذكر مساعد الوزيرمادار فى الاجتماع حين وجه الرئيس الحديث لوزير الخارجية قائلا :

« ان هذه الأزمات تأتى دائما كمفاجأة لنا ! »

فالتفت وزير الخارجية لكامبل ليجيب على سؤال الرئيس وكان من الممكن أو يوجه السؤال الى رئيس وكالة المخابرات المركزية الذى كان فى الاجتماع ولكن هذا الرجل الذى كان يتبوأ مركزا هاما فى شركات الدعاية والآن يرأس وكالة المخابرات لم يتصور أنه يعتقد أو يفكر أن ذلك من اختصاصه • بل الأعجب من ذلك أنه التفت باهتمام ليسمع لرد كامبل •

« أعتقد أن من الانصاف أن أقول ياسيدى الرئيس أننا تبينا الضعف هناك من حوالى أسبوع سابق لاندلاع الثورة • وهـذه ليست أول مرة يواجه مارتينيز ثورة ضده ولكن الحقيقة أن التمرد الحالى يتطلب مزيدا من العناية • وحتى أمس لم تكن بورتوسانتوس داخل نطاق نشاط وكالة المخابرات وبالأمس فقط أحس رجالنـا هناك بقلق وأن هناك خطرا محتملا » •

وكان هذا الجواب تجنيا على بيل أودنيل والمعلومات التى أفضى بها لكامبل منذ خمسة أيام والتى أنهاها بقوله « ان الرجل العجوز فى طريقه للزوال هذه المرة » •

أما أن بورتوسانتوس لم تكن هدفا للمخابرات فهذا يخالف الترتيب الذى يعمل به عادة منذ سنوات فى وزارة الخارجية والذى اتبعه بيل أودنيل فى تبادله المعلومات والحقائق مع جوهورد عن طريق البريد العادى الذى يوفر السرعة وعدم التحفظ فى الكتابة الذى تقتضيه المكاتبات الرسمية التى هى فى هذه الحالة تقارير السفير بيثويك ومع ادراك كامبل من وجود هذا الاتصال من تأكيدات بيل أودنيل عن حقيقة الموقف فى بورتوسانتوس الا أنه ظل دائما بعيدا عن الخوض فيها وتلك طبيعة الادارى المحنك فان مجرد اعترافه بوجود هذه المخالفة للعرف معناها الموافقة الضمنية على قيامها لذلك لاذ بالصمت تاركا الأمور تسير فى طريقها المعتاد •

ومرة أخرى سأل سميس جونز

« اننى لا أفهم جيدا ما المقصود بخطة طوارىء جديدة ؟ »

« لقد تقدم السلاح الجوى بمذكرة بعد الاجتماع بأنه لو تبين أن الشيوعيين سيستولى على الحكم فان السلاح الجوى سيقوم فى الحال بقصف الطرق ووسائل تموين الثوار •

وقد وافق رؤساء أركان حرب مبدئيا على المذكرة على أن يعاد دراسة الخطة مرة أخرى » ٠

وتدخل بيل أودنيل قائلا :

« ليس معقولا أن يكون السلاح الجوى جادا فى توصيته هذه ! يا الهى ! كيف يتسنى لهم التفرقة بين الثوار وبقية المواطنين من الجو ؟ »

« ان السلاح لجوى يعيد دراسة دوره فى عمليات مقاومة الشغب ويوافق رجاله أن القصف بالقنابل قد يكون له بعض التأثير العكسى ولكن معظمهم يتفقون مع مبدأ روستو بأن القصف يجب أن يكون مصحوبا بمجهود قوى لكسب الرأى العام وعواطف الجماهير » ٠

وختم مساعد الوزير كلمته بطريقة حازمه كمن يرغب فى انهاء المناقشة وخصوصا وأن الوقت كان متأخرا ٠

ومضت فترة عاد صوته فأصبح هادئا ٠

« لنبدأ الآن اعداد هذا البرنامج لارساله لبيثويك ٠ واننى لا أشك أن مارتينيز وقد عرف أن مشروعا متكاملا سيبلغ لبيثويك فانه سيحدد له موعدا مبكرا لمقابلته » ٠

ووقع مساعدا الوزير على مذكرة البيت الأبيض ولم تمض ساعة حتى كانت البرقية قد تم كتابتها وقورنت بمذكرة البيت الأبيض واستبعد منها بعض الكلمات وأعيد صياغة البعض وحذفت بعض حروف الجر حتى « لا تكلف خطوط مواصلاتنا فوق طاقتها » وأخيرا أعدت البرقية في صيغتها النهائية ووقع عليها الموظفون الثلاثة ثم ارسلت الى مركز مواصلات وزارة الخارجية وبرفقتها

الرسالة الشخصية من رئيس الولايات المتحدة الى رئيس جمهورية بورتوسانتوس .

في تمام منتصف الليل والدقيقة العاشرة اطفأت أنوار مكتب مساعد وزير الخارجية وخيم الظلام والهدوء بعد نشاط غير عادى طوال اليوم .

تسبق واشنجتون فلوريس بساعة فى التوقيت الصيفى .

الفاصل الأول

ازداد الطرق على باب غرفة ماريا وعلا صوت ينادر

« فخامة الرئيس ! أرجوك أتسمح لى بكلمة عاجلة ! »

ونظر الرئيس الى ماريا التى كانت تغط فى سبات عميق فقد تعودت تناول الخمر بشراهة فى الأيام الأخيرة . ورغم ذلك فهى بالنسبة له سيدة حميدة مخلصة وقد ساعدته فى محنته الحالية بالبقاء بجانبه . لبس الرئيس حذاءه ثم أخذ يبحث عن سترته .

« فخامة الرئيس ! فخامة الرئيس ! »

ودلت نبرات صوت الجنرال بيريز على الالحاح ونفاد الصبر ووضع الرئيس أصابعه فى ياقته وتقدم الى باب الغرفة الأخرى مارا بمائدة الطعام وقد امتلأت بالمناشف والأطباق والزجاجات وفتح الباب .

« فخامة الرئيس . انى آسف فلم يبق لدينا وقت كاف لاضاعته . فهم قادمون للقبض عليك فى أية لحظة » .

« وأين رجال الحرس ؟ »

« لقد عقد اتفاق للهدنة ولذلك أوقف القتال منذ ساعة وكان أحد شروط الاتفاق أن يدلوهم على مكانك » .

ولم يجب الرئيس ففى عقله الباطن قد أحس أن الوقت قد حان لهذه النهاية ورغم ذلك فلم يشعر بأن الموقف بهذه الدرجة من السوء .

« سأذهب الى سفارة الأرجنتين »

« هذا محال يافخامة الرئيس . فلا يمكن المخاطرة بركوب سيارة . والفرصة الوحيدة ياسيدى هى سفارة بارجواى . ننفذ من الطريق الخلفى الى حديقة السفارة الصغيرة »

« ان السفير خنزير ! »

« هذا صحيح ولكن ليس لنا حيلة فى ذلك » .

وحاول الرئيس ارتداء سترته العسكرية ونظر اليه الجنرال قائلا :

« انى أعتقد ياسيادة الرئيس أن الزى الرسمى ليس مناسبا فى هذا الوقت . هل لديك نقود ؟ »

« نعم لدى نقود »

وبدت بدانة الرجلين وتقدمهما فى العمر حين سارا فى حجرات القصر مارين بمكتب الياور وقد خلا من صاحبه الذى هرب على عجلٍ تاركا سيجارة على المكتب ودلفا الى المطبخ ومنه الى منفذصغير فى الحديقة التى بدت موحشة بعد أن تركها رجال الحرس منـــذ ساعات ..

وبعد مسيرة قصيرة دخل الرجلان حديقة منزل صغير متداع . وأسرعا بالدق على الباب وما لبثا أن سمعا صريرا فى الداخل .

« فخامة الرئيس ! اذا سمحت فلن أذهب معك الى أبعد من هنا . فواجبى يحتم على البقاء فى وطنى كما أن هناك حركة لجـوء ضخمة للسفارات . ويقال أن بسفارة باراجواى سريرا واحدا »

وفتح الباب ووقف الرجل الذى حكم هذه الدولة الصغيرة والذى حاول مرة أن ينشر بين الناس حين يتحدثون عن هذه الفترة من حكمه « عهد مارتينيز » غير أن هذه التسمية الفخيمة لم تجد لها صدى لدى أحد سوى المتزلقين والمنافقين والمنتفعين . أيا تكن التسمية فقد انتهى الآن حكمه فى تمام الساعة العاشرة والدقيقة الرابعة والأربعين . كان ذهن رئيس الجمهورية السابق مشغولا بأمر آخر فعندما ذكره الجنرال بكلمة سرير تملكه الأسى والأسف لأنه لم يخبر ماريا المخلصة عن نيته بالرحيل . .

بدت السماء الاستوائية قاتمة ينيرها ضوء القمر تدريجيا كلما ارتفع فى السماء وألقى نفس الضوء من خلال أشجار النخيل ظلالا على شوارع فلوريس وبخلاف ذلك فقد غمر المدينة ظلام تام بسبب انقطاع الكهرباء عن مصابيح المشارع الصفراء الخافتة التى لايعول عليها . كذلك لم يبد نور فى المنازل ومرت سيارة سوداء طويلة هابطة من التـــل المشرف على المدينة يقودها سائقها بحذر وحيطة اجتازت الطريق الكبير الدائرى ثم استمرت فى شوارع المدينة القديمة . وسمع صوت الزجاج تحت العجلات مرة أو مرتين وانحرفت مرة بعنف لتفادى عربة مقلوبة . وكشفت الأنوار مرة عن رجلين يسرعان فى اتجـــاه زقاق جانبى ومرة أخرى عن حزمة متثنية تحت حائط قديم . ربما كانت ملابس قديمة ملقاه أو حزمة غسيل ألقيت على عجل ولم تقف العربة . ثم اندفعت السيارة فى شارع أوسع يؤدى الى ميـدان القصر . وظهر فى السيارة هيكل السائق خلف عجلة القيادة . وفى المقعد الخلفى جلس شخص منفرد القامة مليىء الوجه ، ذقنه مدفوعة الى الأمام وعلى رأسه قبعة سوداء

متينة • مضت السيارة فى الشوارع الساكنة التى تتناثر فيها الغمامة يرفرف على جانبيها علم الولايات المتحدة الأمريكية •

كان السفير بيثويك فى طريقه لمقابلة الرئيس مارتينيز !

الفاصل الثانى

اذا استثنينا بضعة شبان يجوبون الطرقات بحثا عن أى شيء مثير فقد بدت فلوريس مدينة هادئة فى هذه الليلة ماعدا نادى القديسين الذى أصبح المركز النابض بالحياة •

أما فى واشنجتون فبينما اكتنف الظلام والهدوء البيت الأبيض وقف حارس واحد فى مدخل وزارة الخارجية يسجل أسماء الموظفين وهم يغادرون الوزارة فى هذا الوقت المتأخر من الليل • وزادت الآن المدة بين داخل وآخر • وبدأت عاملات النظافة يظهرن فى مختلف القاعات والمكاتب ويضئن الأنوار وأخذت صوت مكانسهن الكهربائية يرن صداه فى الغرف المهجورة • اذا استثنيا مكانا وحيدا ينبض بالحياة دائما • هذا هو مركز مواصلات وزارة الخارجية الأمريكية • يدور العمل فيه متواصلا دون انقطاع تحت أضواء ساطعة •

وتصل اليه طول الوقت الرسائل والبرقيات التى تشكل عمل الوزارة فى الغد • رسائل عن فرص الحرب والسلم ، عن مسار الحرية ، عن أخطار التخريب ، عن التقدم الاقتصادى وتأخره ، عن ضرورة اتخاذ قرارات ، تصديقات على السفر وعلى طلب أجازات وعلى طلب أثاث جديد وطلب التخفيف من زائرين غير مرغوب فيهم وغير ذلك من الرسائل المتدفقة من المراكز الأمريكية فى كل جزء من أجزاء المعمورة • يحس الرجال الذين يعملون فى المركز

يديرون آلاته بخطورة وعظم أهمية الكلمات التى تمر بين أيديهم فمثلا لو كتب للعالم التدمير الشامل فى وقت ما فسيكون لهم حظ التفكير فى هذا المصير قبل حدوثه بلحظات ٠

واذا استثنينا درجة الأهمية المسجلة فى البرقية الرمزية التى وصلت للتو من فلوريس بورتوسانتوس والتى تحتم ابلاغ مساعد وزير الخارجية المختص بمحتوياتها فى الحال وارسالها له فى منزله بطريقة مأمونة فانها لم تثر اهتمام هؤلاء الرجال الأمنــاء المطلعين دائما على كافة الأسرار ٠

كانت برقية بيثويك رمزية وبدأ فى حلها فى الحال ؛ على أن هناك فنا أدق فى تفهم المعنى الذى تحويه رسالة من بيثويك ٠

فلوريس ــ بورتوسانتوس

سرى

عاجل ــ يحدد التوزيع

وزير الخارجية

واشنجتون

فى تقديرى أن الموقف هنا قد ازداد تدهورا وأصبح غير واضح ٠ توجهت لمقابلة مارتينيز بناء على موعد ــ سابق حدده لى فى الحادية عشرة مساء بالتوقيت المحلى لأحذره أن أمنه يتطلب مزيدا من العناية ٠ ولكنه لم يحافظ أكرر ٠ لم يحافظ على الموعد لم أقابل أحدا من الموظفين لعدم وجودهم وفى حالة الهرج الكبير التى تسود القصر لم أتمكن من معرفة مكان الرئيس ولاسبب عدم مقابلته لى ٠

أثناء العودة حاصر الســــيارة بضعة شبان من الغوغاء استولوا على علم السيارة ثم قذفوها بالطوب والخضار وأخـذوا يدقون على جوانبهـا ويقذفونها بالزجاجات والعلب الفارغة • رجال الشرطة اختفوا من الشوارع وقد انضم بعض الجنود للغوغاء •

حدثت خسائر بالسيارة فى الدهان والجوانب والجزء العلوى • أعتقد أنه فى الامكان اصلاحها محليا • أنوى أن أتقدم باحتجاج شديد باكر • أن توقف القتال قد يعنى أن القوات الموالية قد سيطرت على الموقف • وهذا لايعنى أن تطورات مضادة مفاجئة قد تحدث • أعتقد أن الاضطرابات التى سردتها هى نتيجة لعدم استقرار الأمن لذلك ألح فى الحاجة العاجلة لبرنامج لمساندة مارتينيز فى أقرب فرصة ممكنة • مازلت أتابع الموقف عن كثب •

بيثويك

الفصل السابع

لما كان جون كنيدى رئيسا أبدى ملاحظة بأن النجاح فى تصريف أمور الدولة له أبوان ينسبانه اليهما بفخار أما الفشل فهو دائما يتيم ولا يعنى ذلك أن هذا اليتم يمكن تجاهله كأيتام شارلس ديكنز .

وسقوط مارتينيز لم يكن نجاحا كبيرا للسياسة الخارجية الأمريكية ولكن عندما بدأت أنباؤه تذاع فى واشنجطتون فى اليوم التالى لم يترك وشأنه .

ففى التلخيص الذى قدمه ظهرا للصحف ويليام هنرى ماك ويليامز الصغير المتحدث الصحفى لوزارة الخارجية والمعروف رسميا بمدير ادارة الأنباء ، أثير الموضوع .

والآتى بعد ليس التسجيل الرسمى ولكن ماقيل بالفعل .

« بيل ما هى قصة مارتينيز ؟ »

« كانت الوزارة على اتصال وثيق بالموقف هناك منذ مدة وطبيعى أنها كانت على علم ، بأن حكومة مارتينيز تتعرض للهجوم من بعض العناصر هناك فى الفترة الأخيرة » .

« ما رأيك فى الشخص المسمى ميرو ؟ »

« ليس عندى تعليق فى هذا الوقت »

« هل يمكنك الافصــاح عن بعض المعلومات نعتبرها ليســت للنشر ؟ »

« كل ما يمكننى أن أؤكده بصفة غير رسمية أننا مهتمون بالأشخاص الذى يختفون وراء ميرو »

« ألا يمكن أن ننشر هذا ؟ ألا يمكن أن ننشره دون أن نعزوه اليكم • فالله يعلم أننا لا نحصل على الكثير منكم ! » •

« حســـنا • ولكن أرجو ألا يكون الايعاز من مصـــدر هام في وزارة الخارجية بل لكم أن تقولوا من بعض مصادرنا فى وزارة الخارجية » •

« هل كان هناك اجتماع هذا الصباح فى البيت الأبيض لبحث هذا الموضوع •

« أى بيانات تخص البيت الأبيض عليكم الحصول عليها من هناك » •

« هل كان الاجتماع خاصا بما نقوم به هناك ؟ »

« لايمكننى التعقيب ولكم أن تستنتجوا ما تشاءون عما دار فى الاجتماع »

« هل حقيقى ياسيدى أنه كان هناك اجتماع هام فى البيت الأبيض أمس لمناقشة وسائل مساعدة مارتينيز ؟ »

« أعتقد أنه كان هناك اجتماع لاستعراض الموقف عموما • ولا يمكننى الافصاح عن أكثر من ذلك » •

« هل سنعترف بحكومة ميرو ؟ »

« لايمكننى التعليق على هذا السؤال »

« هل سيستدعى ما اسمه ؟ بيثويك ؟ »

«السفير بيثويك عائد الى واشنجطتون لاجراء بعض المشاورات»

« هل حقيقي أنه أبلغ الوزارة أن في امكان مارتينيز التغلب على هذه الأزمة ؟ »

«أعتقد أنه كان على اتصال وثيق بالموقف وليس لدى ماأزيده»

« باختصار يمكن أن نقول : أنه فوجىء بما حدث ؟ »

« لقد ذكرت لك أنه ليس لدى تعقيب على ذلك »

« بحق الاله لقد كنت أسأل سؤالا فقط ! »

« هل لديكم معلومات عما حدث لمارتينيز ؟ »

« لقد سمعنا أنه لجأ الى سفارة الأرجنتين في فلوريس »

«هل نفهم ياسيدى منك أننا قد نعترف أولا نعترف بميرو؟»

« لقد قلت من قبل ليس لدى تعقيب »

« هل هناك شخص اسمه أراجون وراء ميرو ؟ لقد ذكر ذلك في الصحف أمس ؟ »

« هذه هى معلوماتنا وليس لدى تعقيب عليها »

« في الأخبار أيضا أن شخصا اسمه أوبريجون في الصاعد أيضا من هو أوبريجون هذا ؟ »

« لا تعقيب • لا أعرف أوبريجون هذا ؟ »

« شكرا بيل ! شكرا مستر ويليامز ! شكرا بيل ؟ »

وفي نفس الوقت تقريبا كان هناك حوار آخر في مكتب مساعد وزير الخارجية لشئون الادارة وقد دار بين مساعد الوزير لشئون الادارة ومدير عام الشئون الخارجية الذى وصل الاجتماع دون سابق انذار •

وجه مدير عام الشــئون الخارجية سؤاله لمساعد الوزير

« اننى أسمع أنه تقرر استدعاء بيثويك ؟ »

« نعم »

« انى لا أعتقــد أنه سيعود الى بورتوسانتوس فهــم عادة لايعودون لمناصبهم »

« أظن أنه سود صفحته قليلا بسبب هذه المسألة · فحتى منتصف الليلة وهو يؤكد أن مارتينيز يسيطر على الموقف »

« هذه ليست أول مرة يخطىء فيها · لقد لزم جانب سيجمان رى حتى بعد أن رحل الى هاواى وقضى فيها أسبوعين ثم كان قريب الصلة من رئيس الوزراء الذى أغتيل فى بورما وكادوا يحرقونه معه ·ورغم كل ذلك فلابد من مساندته »

« ألا تظن ياسيدى الوكيل أننا قد بالغنا فى مساعدته · يمكنه الآن أن يطلب الاحالة الى المعاش ويعطى منصبا للتدريس فى الجامعات » ·

« اسمعنى اننا لو لم نعط بيثويك منصبا فى سفارة أخرى فسيعنى ذلك اعترافا ضمنيا أن جميــع أجهزة الوزارة قد أخطأت فى التقدير ونحن لايمكننا أن نسمح بذلك » ·

« هذا صحيح ولكن ألا تعتقد أن الرئيس سيصر على اعطائه منصبا آخر ؟ »

قد يعارض فى مبدأ الأمر ، ولكن لا ننسى أن هذه هى حكومته وقد رأس بالأمس فقط « اجتماعا فى البيت الأبيض لدراسة وسائل مساعدة مارتينيز لقد كنا على استعداد لانزال جنود الأسطول »

« وما رأيك فى مجلس الشيوخ ؟ »

« قد يجد بيثويك صعوبة من فولبريت ولكن السفير بيثويك ليس منجما للمعلومات فسوف يتملكهم التعب عن قريب أو بعيد :

« هل لديك فكرة أين ينقل ؟ » .

« هناك الوفير من الوقت للتفكير فى ذلك . « وبعد لحظة تفكير » لا أظن أنه سوف يذهب الى فورموزا » .

« يقول شلسينجر أن وزارة الخارجية هى الادارة الوحيدة التى يرقى فيها المرء بسبب أخطائه »

« انى أود أن أعتقد أننا لا نسترشد فى هذه المسائل بصديقنا آرثر » .

وعقدت عدة اجتماعات فى مكتب جرانت وورث كامبل مساعد وزير الخارجية . ومن هذه الاجتماعات الجـديدة يمكن القول : أن اجتماعين فقط كان لهما تأثير على مجرى التاريخ . ضم الأول مساعد الوزير ووليام أودنيل وسفير الولايات المتحدة لدى منظمة الدول الأمريكية والسفير لم يكن رجلا هاما ولكن تاريخه السياسى وحياته العامة وثروته المتواضعة أعطته دائما قدرا من الاعتبار . كان يعاب عليه دائما اتخاذه موقف أو رأى سابق لأوانه فقبل أن تأخذ شعبيته أو يألفها الناس ساند مؤتمر المنظمات الصناعية وهجرة العمال وتحديد النسل وجاى تاجويل وهارى هوبكنز وايفريل هاريمـان وهربرت ليمان وفيوريلو لاجوارديا ونورمان توماس ولويس مينوت مارين والتأمين الاجتماعى وهيئة وادى تنيسى والتصوير الحديث وتحديد وجوزى فيجوبريز والحقوق المدنية للملونين فى وقت لم يكن أحد قد سمع عن هذه الموضوعات بل انه حين كان الكل يعتبر كل من خرشوف والمارشال تيتو شخصية خطرة فلم يحاول مرة التشهير بأحدهما .

ورغم تقدمه في العمر فمازال يرفض الآراء المستقرة . كما أن أسلوبه يؤخذ عليه . فهو لم يستطع قط أن يتغلب على ميل بالادلاء بآرائه دون تحفظ ومنطقه رغم كونه سطحيا ليس من السهل تسفيه الأمر الذى كان يثير أعصاب وولث كامبل الذى علمته السنين الطويلة فى حياته للدبلوماسية الأهمية الكبرى لسياسة مستمرة .

ان العالم ملىء بالرجال الذين ينتظرون بدهاء الفرصة ليكسبوا من الأخطاء الأمريكية لذلك كان من الخير الاستمرار فى الخطأ بدلا من التغيير الذى يوجه الأنظار الى هذه الأخطاء ويتبع ذلك أن خير من يمارس الدبلوماسية هم أولئك الأشخاص الذين يقاومون كل جديد دون مرونة فى التفكير لا لزوم لها . واذا كانت هناك صفة تميز سفيرنا هذا فهى استعداده الطبيعى للتغيير فاذا اتضح أن السياسة أخطأت فهو ينصح باعادة النظر فيها بصرف النظر عن العواقب ثم أن هناك دائما ميزة كبيرة فى لعبة الدبلوماسية هى الاحتفاظ بمعلومات لا تكون متوفرة للعدو لذلك يتحتم أن يكون هناك احتياط دائم من المعلومات وعندئذ تكون لدينا دائما ورقة نلعب بها ولا تسمح للعدو بالتكهن بمكنونها . أفصح السفير كعادته دائما عما يدور فى ذهنه لذلك لم يكن من المستطاع أن يعهد اليه بأمور ذات قيمة حيوية .

« اعتقد أننا يجب أن نعترف بمـــيرو فى أقرب فرصة . ان التخلص من مارتينيز هو خير حدث فى الفترة الأخيرة فهو لم يقدم طول حكمه خدمة لأحد الا نفسه وبضع مئات من النساء وانى أظن أن ميرو وصل الى اتفاق مع الجيش واذا لم نسارع الى مساعدته فورا فلن يطول أمد هذا الاتفاق » .

وأنهى السفير كلمته وكأنه قد أفرغ مافى جعبته من حديث ومال وكيل الوزارة فى مقعده للخلف وعقد أصابعه وبريق زجاج نظارته يلمع فى الضوء .

« انى أوافقك على وجود اتفاق . كذلك لا أختلف معك أنه دون مساعدتنا فلن يطول أمد هذا الاتفاق . وأعتقد أيضا أن قرارنا فى الصباح بايقاف ارسال الطائرات والقوات كان قرارا حكيما رغم جميع الضغوط والمخاطر . فالجيش لم يمس ولن يقبل استيلاء الشيوعيين على الحكم . لذلك فى وسعنا أن ننتظر ولكنى لا أوافق على أن نسرع لمساعدة ميرو فعلينا أن نتحقق أولا أى شخص هو ! .

واستباح السفير لنفسه تعليقا آخر « انى أعرف بعض الشىء عن هذا الرجل وعن عائلته وأصله وانى أصدقه فيما أدلى به فى بيانه عن رغبته فى صداقة الولايات المتحدة » .

ومرت أخرى لاح وكأن مساعد وزير الخارجية يوافقه على رأيه هذا ولكنه استدرك قائلا : « يلوح أننى لم أفصح عن نفسى تماما . فاذا استبعدنا مايقوله مارتينيز فليس لدينا أى دليل على أن ميرو شيوعى واذن يمكننا التقليل من شأن ماقاله مارتينيز ولكن لا تنس مهارة الشيوعيين فى استخدام أصدقائهم . هل رأيت هذا ؟ » .

ودفع مساعد الوزير بملف أصفر للسفير الذى رفع ذقنه وراح يقرؤه من خلال النصف السفلى لعدستى منظاره .

تفاصيل تاريخ حياة
جوزى ماريا ميرو سانشيش
سرى للغـاية

ولد هذا الشخص فى بلدة صغيرة اسـمها بوينا فيستا فى بورتوسانتوس فى ١٦مايو سنة ١٩٣٢

والده مزارع يملك مزرعة لتربية المواشى حالته موسرة

اسم الأب روبرتوم . ميرو واسم الأم سانشيث . تعلم

وهو صبى فى مدرسـة كاثوليكية (للجزويت) فى

فلوريس ثم فى الأكاديمية الحربية لم يعرف عنه أى اتصالات بعناصر متطرفة فى الكلية تخرج وخدم فى جيش بورتوسانتوس ثم بدأ نشاطه مع مجموعة الضباط الشبان المعادية للنظام فصل أو استقال من الجيش فى تاريخ غير معروف وترك بلاده متجولا فى فنزويلا ثم كوستاريكا كما يحتمل أنه قام برحلة الى كوبا فى ذلك الوقت درس سنة فى جامعة بورتوريكو والمعتقد أنه فى هذه الفترة كان على اتصال وثيق بالعناصر المتذمرة من الاشتراكيين والكاثوليك وضباط الجيش السابقين والأحرار واللاجئين السياسيين والشيوعيين بما فيهم أنصار كاسترو · يرجع سبب سخطه الى تجريد والده من أملاكه بواسطة مارتينيز ·

عاد الى بورتوسانتوس فى تاريخ غير معروف وانضم الى الحركة السرية المضادة لمارتينيز ثم تولى زعامة هذه العناصر · صدرت ضده عدة أوامر بالقبض عليه يقال من مصادر موثوق بها انه طموح وذو حيلة على استعداد للتعامل مع جميع معارضى الحكومة · صرح مرارا برغبته فى استخدام القوة للتخلص من مارتينيز يصفه الأخير بأنه شيوعى ·

يعتقد أنه على اتصال بشخص يدعى اراجون (غير معروف اسمه الأول) ثابت أنه عميل شيوعى ·

وضع برنامجا سياسيا كامل يشمل اصلاح نظام توزيع الأراضى واجراء انتخابات والتنمية الاقتصادية والتعليم المجانى وصداقة جميع الشعوب ورفع أسعار السكر والبن والقضاء على البطالة واتاحة فرصة العمل

للجميع ومشروعات لمياه الشرب والمجارى والاسكان ، سياسة التمسك بالسـلام ثم ادخال نظام التعليم التليفزيونى ٠

ملحوظة : المرجو اذا وصلت أى معلومات جديدة لتصحيح أو تعديل أو للاضافة لهذه البيانات أن ترسل لتقويمها والاستفادة منها للغرفة رقم ٢٣٠٦ أ ـ وكالة المخابرات المركزية لانجلى فرجينيا ٠

***

ودفع السفير الملف بعد قراءته الى أودنيل الذى أعاده الى مساعد الوزير « لقد سبق ورأيت هذا الملف بل لقد زودت بعضا من المعلومات التى فيه ، واذا كان هذا الملف هو السبب فى عدم الاعتراف بميرو فهذا تخريف » ٠

وتقلص وجه مساعد الوزير ثم رد قائلا :

« ليس تخريفا ٠ وحتى لو كان ذلك غير صحيح فلابد لنا أن نكون فى منتهى الحذر وغاية التأكد » ثم نظر للسفير مضيفا ٠

« لابد أنك تقدر ماذا يحدث لو أخطأنا وساعدنا نظاما شيوعيا ومايتلو ذلك من عواقب بالنسبة للمتسبب فى هذا الخطأ ٠ وأقصد هنا أن المتسبب سيكون الوزارة ! » ٠

من المحتمل أن كامبل فى هذه اللحظة شدد من موقفه على حد تعبير وزارة الخارجية فاذا كان هذا قد حدث فبعض المسئولية تقع على بيل أودونيل ٠ لم يعد هناك شىء يستحق البحث تجاه ميرو وسأل السفير مساعد الوزير :

« هل هناك بديل لميرو ؟ » ٠

ورد مسـاعد الوزير أنه نتيجـة لخبرته فى شـئون أمريكا

اللاتينية فهناك دائما أكثر من بديل ولو أنه اعترف فى قرارة نفسه أنه لا يعرف اسما لأحد من هؤلاء البدلاء •

كان الاجتماع الثانى مع صحفى مشهور • رجل يكره أن يوصف بأنه صحفي ويفضل وصف نفسه على أنه مخبر صحفي ولذلك فهو يبدأ أعمدته دائما (هذا المخبر الصحفى يرى ••••) وقد عمل على كشف نشاط الشيوعيين فى بلاد عدة منها الصين وسانتا دومينجو وبنما وجواتيمالا والبرازيل وأندونيسيا وغانا وفيتنام الجنوبية وهونج كونج والفليبين وباركلى والكونغو ولاوس والجناح اللبرالى فى الفاتيكان • وقد توقع فى وقت أو آخر استيلاء الشيوعيين على السلطة فى كل هذه البلاد باستثناء الفاتيكان !

ورغم أن هذا التنبؤ لم يحدث الا فى الصين فقط فقد كان لانذاراته المتكررة دورا كبيرا فى عدم حدوث ذلك فى البلاد الأخرى

ان سوء حظ الشخص الذى يتنبأ بكارثة أنه يسهل الدعوة الى اتخاذ خطوات تكون سببا فى منع حدوثها وهو بذلك ينقذ الجنس البشرى مضحيا بسمعته كنبى ان لم تتحقق نبوءته ورغم هذا فهذا الصحفى أو المخبر يسبب قلقا يوميا للرأى العام فى حوالى ١٤٧ صحيفة •

جرى الحديث بين الرجلين وكلاهما ذو تجربة طويلة دون أن يفصح أحدهما عمن يقصد بالتلميح لأن كلاهما من تجربته ليس أمامه الا عدو واحد •

« مامدى توغلهم فى السلطة ؟ »

« لا نعرف بالضبط ولكن يلوح أن بعضا ممن وراء ميرو رجال سيئو للغاية »

« موسكو ، أو كاسترو ؟ »

« لا نعرف بالضبط ولكن يبدو لى أنهم من الجميع »

« اذن ميرو هو واجهة فقط ؟ »

« الأدق أنه أداة • وربما يكون مخلصا وأمينا ولكنك تعرف جيدا كيف يستخدم الشيوعيين أمثال هذا الرجل »

« ماهى معلومات وكالة المخابرات ياسيدى الوكيل ؟ »

قد تعلم المخبر الصحفى منذ مدة طويلة أنه لكى يحصل على معلومات فى واشنجطتون فلا يجب أن يدعى عدم كلفة زائفة بل على العكس عليه أن يضفى على الشخص المكانة والتبجيل التى يستحقها ليشعر بأهميته كمصدر للمعلومات •

« تماما كما سبق وقلته لك • لم تكن بورتوسانتوس ضمن مجال عملهم حتى بضعة أيام مضت • يبدو أنه لا يمكن التجسس فى كل مكان • طبيعى أن ملاحظتى الأخيرة ليست للنشر ! »

« طبيعى • اذن فقد نتوقع استيلاءهم على السلطة ؟ »

« اننى لا أود التنبؤ بشىء • » ثم أكمل مساعد وزير الخارجية حديثه بشىء من التأكيد

« لاشك أننا نواجه موقفا خطيرا • ونحن لا يمكننا أن نجازف بأى مغامرات فى هذه المنطقة ببساطة لا يمكننا أن نجازف بأى مغامرات على الاطلاق •

« ماذا فى استطاعتنا أن نفعله اذا اضطررنا لذلك ؟ »

« هذه ليست مشكلة • السلاح الجوى على استعداد للقصف مع تقديرنا لما سيثيره هذا فى العالم التحررى من تشهير وصراخ • كما أن انزال فرقة من مشاة الأسطول أمر هين بأمل أن تكون جزءا من قوات الخدمة العاملة •

وهناك طريق آخر هو أن ننتظر فادارة بورتوسانتوس لن تكون نزهة هناك نقص في العملة والجيش لم يمس حتى الآن وفي تقديرنا أنه لن يتحمل طويلا أى مغامرة شيوعية ان أسوأ معضلة ستقابلنا ستكون هنا في الداخل من هؤلاء الأشخاص الذين يودون التعامل مع ميرو ومن هم وراء هذا التعاون الذى قد ينفعهم في مغامرتهم .

« لاشك أن هذا ضعف في التفكير » .

« نعم هم ضعفاء في التفكير . ولكن لا تنس أننا دائما نواجه مثل هؤلاء بل انني في بعض الأوقات أتخيل أن عددهم يزداد كل عام » .

« الواقع أنني لا أعتقد أن الشعب الأمريكي سيسمح « بكوبا » أخرى ؟ »

ورد مساعد الوزير :

« لقد حاولت طول اليوم أن أقنع الجميع بهذا »

« سيدى الوكيل قد يكون في استطاعتي أن أمد لك قليلا من يد المساعدة »

وخرج الصحفي متجها الى المصعد حيث استقله الى باب الوزارة وهناك كان سائقه وعربته في انتظاره . انطلقت العربة تحمل المخبر الكبير وفي عينيه بريق .

* * *

كثيرا ما يقول الصحفيون المفكرون أنفسهم : أن الصحافة الأمريكية تؤدى دورا هاما في حكومة ديموقراطية ولتعزيز ذلك الدور تحدث موظفان آخران على الأقل في نفس اليوم مع من

ندعوهم بشيء من الغموض الصحافة العاملة · كان حديث الموظف الأول بيل أودنيل مع صحفي اعتزم زيارة فلوريس في اليوم التالي وفلوريس عاصمة لم تحظ في الأوقات العادية بمندوب صحفي مقيم لأية صحيفة أمريكية · فوكالات الأنباء تعتمد على مراسلين محليين وذلك بالنسبة للأخبار العادية كشغل المناصب الكبرى أو الانتخابات وافتتاح الدورات الجديدة وهي أمور سارت طوال الثلاثين عاما الماضية دون أدنى قدر من عنصر المفاجأة · وكذلك بالنسبة لأخبار الأزمات الحكومية وتلك تعرفها بورتوسانتوس في هذه الفترة · وأيضا من أجل أخبار الأعاصير وحوادث الطيران ولما كان ضحاياها غالبا غير معروفين وفقراء لذلك لم يكن هناك اهتمام عالمي كبير بها ·

أما أخبار المؤامرات ضد النظام وما يتبعها من اعتقالات وتعذيب والاختفاء الغامض لبعض الأشخاص أو نفيهم فمع أهميتها البالغة بالنسبة لأهالي بورتوسانتوس الا أن السلطات المحلية لا تعترف بأنها أخبار شرعية يجوز نشرها · لذلك كان الطريق الوحيد لاذاعتها عن طريق الفم والعجيب أن هذه الطريقة نجحت تماما داخل بورتوسانتوس ولكن لم يكن من الميسور نقلها عبر البرق الى واشنجطتون أو نيويورك ·

وعندما نقلت وكالات الانباء نبأ تزعزع حكومة مارتينيز سارعت كل من جريدة « واشنجتون بوست ونيويورك تايمس » بارسال مندوب متواضع الى فلوريس ظل فيها عدة أيام يتابع الموقف ·

فلما انتشرت في واشنجتون أنباء سقوط مارتينيز تحرك فريق المطافي وهو مجموعة من مندوبي الصحف والاذاعة والتليفزيون مستعدة دائما للطيران الى مايعبر عنه بعض فصحائهم

« بجبهة أخبار العالم » تحركوا كرجل واحد قاصدين جميعا فندق « دالاس والصداقة » في فلوريس · هذا الفندق الكبير الواقع على التل الذى يشرف على العاصمة والذى لم يستقبل مثل هذا العدد منذ الزواج الأول لابنة مارتينيز الكبرى لونيل ميجويل مارتينيز أو بريجون من أمير مراكشي لم تلبث أن ضجت منه لفظاعة ميوله · لم يكن الفندق على استعداد لهذا العدد الكبير كما كانت امكانيات مكتب تلغراف فلوريس غاية فى السوء ولكن لحسن الحظ كما يحدث فى أغلب الأحيان أن فريق المطافىء يصل بعد انفراج الأزمة ·

كانت بيانات أودونيل ردا على مكالمة تليفونية واردة · ورغم أنه كان يكره أن يوصف بالحذر كما أنه ليست هناك تعليمات تمنع موظفى وزارة الخارجية من التحدث بصراحة الى الصحفيين · الا أن حديثه التليفونى كان متحفظا بل حريصا · قال :

« سيكون جوهورد القائم بالأعمال وهو رجل على علم ببواطن الأمور ويتميز بحاسته السياسية الممتازة الأمر الذى لم يكن متوافرا لرئيسه السابق أعنى السفير ستجد جوهورد نافعا جدا وانى على يقين من ذلك لأنه كان مصدر معلوماتى هناك أرجو ابلاغه أطيب وأخلص تمنياتى · وقد عانى هورد المسكين كثيرا فى العامين الماضيين زيادة عن قرحة تنزف أغلب الوقت وفى مهنتنا اللعينة هذه يمرض الأكفاء بالقرحة أما الأغبياء فهم دائما فى صحة جيدة · لا يعتقد جو أن ميرو شيوعى وهذا يعنى أن تقاريره ستقرأ هنا بغاية التحفظ لذلك أترك لك التقدير عما اذا كنتم ستسمحون بذلك فى مهنتكم ! »

« لا تشكرنى · كم كنت أود أن أرافقك فى هذه الرحلة !

الى اللقاء وانتهى الحديث ·

أما الاتصال الثانى فجرى بين جنرال من هيئة أركان الحرب

فى وزارة الدفاع عين أخيرا مساعدا للمساعد الخاص لجهاز «مقاومة الثورات والنشاط الخاص» وبين محرر المجلة الاسبوعية التى يعتمد عليها أعلى الطبقات قدرة على الشراء أكثر من أى صحيفة أخرى لتقريرها الموجز الموثوق ؟ المتضمن تنبؤاتهـــا عمــا سيحدث فى المستقبل فى عاصمة الأمة ٠

المعروف فى وزارة الدفاع أن الضباط الموجودين بالخدمة عليهم أن يطلعوا ويوقعوا من حين لآخر على منشور لادارة الدفاع يذكر أن الادارة وان كانت ترغب فى تجنب ماقد يشتم منه بأنه رقابة الا أنها تحذر من الفوضى التى لابد أن تحدث اذا قام أفراد القوات المسلحة بالادلاء بتصريحات لمندوبى الصحافة أو التحدث معهم فى حرية عن أية أمور تتعلق بالخطط المقبلة أو مسائل الأمن ٠ وبناء على ذلك فالمفروض أن الاتصال الذى تم بين الجنرال والمحرر كان بالقطع غير مشروع ٠ والجنرال عادة يطيع الأوامر غير أن الجنرال وله أصدقاء فى الصحافة لم يكن ليزعجه كالكثيرين موضوع الفوضى٠ فهو كأحد أنصار التيارات الثقافية المعاصرية سمع مرة تعليقا لأحد كبار أساتذة جامعة شيكاغو يفيض فى شرح مزاياها : فالفوضى فى رأيه على عكس التخطيط أنسب للاقتصاد الحر ٠

ثم انه لم يبلغ عن أى أخبار محددة وانما هو مجرد ارشاد للمخاطر التى لا يقدرها الشعب الأمريكى تقديرا كافيا والتى يرى من واجبه كمواطن صالح أن ينبه اليها وهاك ملخصا لما نشره الصحفى ٠

« يقول العسكريون الأمريكيون أن أسخن نقطة فى أفق الحرب الباردة الآن هى بورتوسانتوس٠ الشيوعيون يعبثون قواهم الآن وراء جوزى ميرو الذى سيضطر الى التسليم فى حالة مواجهة جديدة معهم ٠ هناك خوف كبير من كوبا أخرى ٠ المعتقد أن اجراء حاسما سيتخذ »

يقال ان التاريخ لا يصنع دائما في العواصم • فبينما وقعت أنباء سقوط مارتينيز في واشنجتون كصدمة من الدرجة الأولى كان لهـــا وقع آخر فى أماكن أخرى • فقد وصلت الأنبـــاء الى المهاجرين من بورتوسانتوس الذين قابلوها بسرور حقيقي • وقد فكر البعض منهم فى العودة الى بلادهم ولكن سرعان ما استبعدوا الفكرة اذ أن التضحية ستكون جسيمة وهذا أحد الأسباب أن غالبية حركات المهـــاجرين فى الولايات المتحدة سرعان ماتتقلص ويبقى بعض كبار السن المحترفين الذين يحاولون باظهار سخطهم مقابلة فقدان شعور العدد الكبير من اللاجئين الذين وجدوا فى المهجر الأمريكى فرصة طيبة لعمل أحسن ومرتب أكبر مما كانوا يحلمون به فى بلادهم •

وفكر البعض فى اســترجاع أملاكهم مرة ثانية ومرة أخرى استبعدوا الفكرة فهم يعرفون جيدا أنهم وقعوا عقود بيع قانونية لهذه الممتلكات ولو أن ذلك تم تحت الاجبار وكانت سعادتهم حينئذ لا حد لها أنهم استطاعوا الهرب بأنفسهم •

ولقد سمعت الأنباء أيضا بقليـــل من السرور فى القنصليات العامة لبورتوسانتوس فى نيويورك وميامى ، لاس فيجاس ، لوس انجلس ، نيو أورلينز حيث يعمل فيها الأقارب والأصدقاء أو حتى الأعداء الذين سمح لهم الدكتاتور وشجعهم على العيش بعيدا عن البلاد والذين أقلقتهم الآن فكرة حاولوا استبعادها من تفكيرهم وهى أنهم مضطرين الآن للبحث عن عمل يعيشون منه ؟

وقد وصلت الأنباء أيضا الى آن أربر فى متشجان وقد استمع اليها فى الراديو جوان سيزار مارتينيز وهو فى طريقه الى محاضرة عن « النواحى الاجتماعية فى النمو الاقتصادى » ورغم ذلك لم تمنعه هذه الأخبار عن المحاضرة •

وفى الظهر تناول غذاءه بمفرده فى أحد المطاعم القريبة من الجامعة وأخذ يفكر فى الأنباء ثم ذهب الى حلقة دراسية فى مركز البحوث موضوعها طرق البحث المختلفة ومـــرة أخرى شغل باله موضوع سقوط والده ولكن هذا الانشغال لم يكن بالدرجة التى تصورها بل الحق يقال أنه لفترة مضت كان يتوقع هذه النهـــاية ورغم أنه عود نفسه منذ أمد طويل أن وجوده فى أى مكان لا يثير اهتمام أحد الا أنه أحس الآن أن طالبين يحملقان فيه بفضول ولكنه لم يكن متأكدا ٠

يحكى أن أستاذا عائدا من منحة رودس بجامعــة أكسفورد قص الحكاية التالية : أن أميرا من البيت الامبراطورى فى اليابان وصل ليلتحق كطالب بكلية ماجدلين فى جامعة أوكسفورد وتصور عميد الكلية وهو رجل يعتز بنفسه أن المنـــاسبة تتطلب مراسم خاصة لاستقبال الأمير ٠ وأثناء الحفل رجا العميد الأمير أن يخبره بلقبه الرسمى وهنا أجاب الأمير أنه فى بلاده يدعونه « ابن السماء » فالتفت اليه العميد مزيلا مخـــاوفه « ستجد هنا طلابا آخرين مشهورين » ٠

لم يكن الأمر مختلفا هنا فى جامعة ميتشجان فمحرر الديلى وأفراد فريق الكرة مثلا متزعمى حركات التمرد بالجامعة ، وطالبات وثلاث من العبقريات المعتمدة وابن نائب رئيس مجلس ادارة جنرال موتورز وطالب ينتمى الى عائلة فورد وبعض الطلبة المدافعين عن تعاطى المخدرات أى من هؤلاء له منزلة فى الجامعة تفوق منزلة ابن ديكتاتور من بلد بعيد ٠

خرج من المناقشة واذا بفتاة تنضم اليه ، فتاة ذات وجه باسم وان كان ممتلئا تلمع عيناها ببريق من الذكاء ، شعرها ناعم داكن وقوامها عادى وان كان يثير اغراء كافيا ٠

« لقد سمعت ما حدث لوالدك • هل تشعر بأسى ؟ ما أعنيه هل على أن أواسيك ؟ » •

« لا فغالبا هو فى أمان الآن ولقد كان لابد من وقوع هذا • عموما لقد ذكرت الاذاعة أنه لجأ الى السفارة البرازيلية •

« ماذا تعني أنه لم يكن هناك بد من وقوع ذلك ؟ »

« أحد الأسباب أن أبى تقدم فى العمر بجانب أنه ينتمى الى الماضى •

« ماذا تعنى بالماضى ؟ هل يفهم من هذا أن كل ديكتاتور قد انتهى أمره ؟ »

« نعم كل من يشابه أبى • لا أظنك تودين أن يتملك جورج رومنى الولاية بأكملها وأن يظل حاكما مدى الحياة أو سوبى ويليامز ؟ »

« ليس رومنى • هل ستعود الى بلادك ؟ »

« لا أعتقد ذلك فى الوقت الحاضر فلابد أن الكثيرين سيهاجمون والدى الآن ولبعضهم كل العذر ولاشك ستكون معاملتهم لنا جميعا قاسية • الخير أن أنتظر فترة » •

« هل لديك أموال كافية لتعيش هنا ؟ »

« بل أكثر من اللازم فقد اتخذ الرجل العجوز احتياطاته • هل سمعت عن الحساب الرقمى ؟ »

« فى زيورخ ؟ »

« أعتقد أن حسابنا فى جنيف فنحن نحن الى اللمسة اللاتينية أظن أن شركة البترول الآن ستفقد اهتمامها بأمرى »

« انى سعيدة ، اننى لن أضطر الى مواساتك فعطفى عليك لن يكون مقنعا فى حالتك هذه »

واخترق الاثنان ميدان الجامعة وكان اليوم حارا جافا وصوت أوراق الشجر كحفيف ورق جاف فى مهب ريح خفيفة · ومر بهما كثير من الطلبة فى ملابس الصيف الخفيفة دون أن يتعرف عليهما أحد فكلاهما قصير نوعا وأحدهما أسمر وهما بصفة عامة لا يلفتان النظر مرة واحدة تلقيا تحية رداها · ثم مرا بالملاعب الرياضية الفسيحة وقد تحولت خضرتها الى لون داكن اللهم الا حيث تعمل رشاشات الماء · وانحرفا الى شارع جانبى يؤدى الى شقته ·

« هل لك أن تصعدى معى لبرهة ؟ » لم يكن دعوة بقدر ماكان سؤالا ·

« هل نواياك شريفة ؟ »

« لابد أن أكون أمينا لثقافتى التى نشأت عليها »

« هذا حسن انى أعجب دائما بالرجل الأمين · لقد قرأت شيئا عن والدك وأنه كان هو الآخر أمينا فوق العادة لثقافته »

« انهم يبالغون قليلا ولكن ليس كثيرا · لقد كان معروفا عنه فى عنفوانه أنه ينام مع فتاة جديدة كل ليلة أو بعد الظهر لا أتذكر الآن ! »

« يا الهى كيف تتعرف على أمك اذا ؟ »

وأجاب بصوت جاف قليلا :

« أن حياتنا العائلية مسألة منفصلة تماما أؤكد لك ذلك »

« انى أسفة لم يكن يجدر بى أن أتندر فى مثل هذا الموضوع وخاصة موضوع الأم »

« لا تزعجى نفسك . لقد ذكر مرة محرر جريدة نيوريببليك أن أبى أراد أن يكون أبا للشعب وقد ذهب لتحقيق ذلك بالطريقة الوحيدة التى يعرفها . وأعتقد أنه نجح الى حد ما .

« هل ستذهب الى الاجتماع الخاص بفيتنام الليلة ؟ »

« أعتقد أنه يجب على أن أخفف من حماستى للديمقراطية فى فيتنام حتى أستبين ماذا سيحدث لديموقراطية مارتينيز فانى أخشى أن يحاول أحد أن يربط بين الاثنين والليلة بالذات اذا ذهبت فكأننى أدعو الى ذلك »

« انك تغالى فى مدى ادراك زملائك الديموقراطيين »

« ياللسماء ! انى آسفة ؟ » .

صرخت الفتاة بالكلمتين الأخيرتين حين اقتربا من مدخل العمارة وقد ظهر فجأة أمامهما مصور التقط صورتهما على غفلة وفى أعقابه اندفع صحفى وفى يده نوتة مذكرات كأن تورط الصحافة فى موضوع بورتوسانتوس لم ينته بعد .

« أود أن أعرف عما اذا كان لديك تصريح عن تعطل حكم والدك مستر مارتينيز ؟ »

« آسف ليس لدى أى تصريح »

« لاشك أنك أصبت بخيبة أمل ؟ »

« ليس لدى ما أقوله »

« هل لك أن تخبرنى متى سمعت بما حدث ؟ »

« فى الاذاعة صباح اليوم »

« هل صدمت بالاخبار ؟ »

« ليس لدى ما أقوله »

« هل كنت تنتظر ماحدث ؟ »

« لا »

« هل تعتقد أن بلادك ستصبح شيوعية الآن ؟ »

« لا »

وتدخل المصور سائلا « هل لك أن تخبرنى باسم الفتاة التى معك ؟ »

« لا »

« اذا لم تذكر اســـمها فسننشر الصورة ويذكر أنك كنت برفقة فتاة لم يعرف اسمها »

« هذا أقرب الى الحقيقة »

« ولكن كثيرا من الناس لن يصـــدقوا ذلك بل سيسيئون فهمك ؟ »

وتركهم الشاب وتقدم مع الفتاة الى المصعد وضغط على الزر بشىء من الشدة كأنما أراد أن يؤلم ·

« لماذا لم تذكر لهم اسمى ؟ »

لم أتصور أنك تروين ذلك يا عزيزتى

الفصل الثامن

منذ عام ١٩٤٥ ورياح التغيير تهب على أمريكا اللاتينية أما فى بورتوسانتوس فتخف هذه الرياح لتصبح نسيما خفيفا ورغم ذلك فقد أحس بها الجميع • فالطلبة والسياح ورجال الأعمال العائدون الى فلوريس من نيــويورك وواشنجتون والمكسيك وأســبانيا قد وجدوا البلاد كئيبة ، فليس هناك صحف تستحق اسمها أو جامعة تستحق اسم جامعة وكل الأحاديث يغلب عليها الحذر وهى مملوءة بالمدح والنفاق لمارتينيز •

يحس الناس فى أمريكا اللاتينية أنه ليس من الكرامة أن نعيش فى ظل أى ديكتاتورية وخصوصا اذا كانت من نوع ديكتاتورية أمريكا اللاتينية فالفرد فيها يقل قدره وينزل الى مواطن من الدرجة الثانية هكذا كانت الحال حتى فى بورتوسانتوس • وبجانب ذلك كانت هناك مؤثرات أخرى فمنذ خمسين عاما كان الأغنياء من أصحاب مزارع السكر والبن يعيشون عيشة رغدة فى بورتوسانتوس وفى نيويورك أو جنوب فرنســا كان الثرى القادم من أمريكا اللاتينية مرموقا معظما وبصرف النظر عن قيمة الشخص فما دام غنيا فان أبواب المتعة تفتح له وأصبحت هــذه مزايا يتحتم حمايتهــا لذلك ســاند هؤلاء جميع الحكومات التى حافظت على الابقــاء على هذه المزايا • ولكن مارتينيز صفى هذه الطبقة وكان تفســيره الخاص

لنظرية كارل ماركس في تركيز رأس المـال هو أن يكون في يـد عائلة مارتينيز • ومن هنا لم يعد لأغنياء أمريكا اللاتينية مكانة في العالم • فغيرهم من الأغنيـاء كثيرون • ونتيجة لذلك قل اهتمام وحماس هؤلاء الأغنياء تدريجيا في الدفاع عن امتيازاتهم ومن ثم تضاءل نصحهم الدائب للفقراء بالقناعة والرضاء عما قسم لهم •

وساعدت واشنجتون في ابراز هذا القلق اذ يذكر كبار السن وعود الولايات المتحدة أثناء الحرب العالمية الثانية عن مستقبل زاهر جميل وكانت هـذه الوعود ضرورية لمنـع أودلف هتلر من التمتع بأى مسـاعدة أو عون في أمريكا اللاتينية ويتذكر الناس فضل زيارات نيلسـون روكفلر في هذا السبيل ولعل ذلك راجع لاخلاصه الصـــبياني في ترديد هـذه الوعود كذلك أثارت زيارة ميلتون ايزنهاور اهتماما على اعتبار أنه شـــقيق رئيس جمهورية الولايات المتـحدة • أما زيارة نائب الرئيس نيكسـون فالنـاس لا يذكرونها بالخير فقد تركزت زيارته على مدح الرئيس مارتينيز وكيف يقف في وجه الشيوعيه ويدافع عن العالم الحر دون أدنى اهتمام ببورتوســانتوس (وحتى في بورتوســانتوس ورغم ديكتاتورية مارتينيز فقد حدثت بعض المشـــاغبات أثنـاء زيارة نيكسون ولم يكن الغرض منهـا اظهـار حب لنائب الرئيس ولكن لحسن الحظ لم تكن بالعنف الكافي لتسبب أزمة سابعة في حياة نيكسون !) أما وعود الرئيس كيندى بضمان حياة أفضل لأهالى أمريكا اللاتينية عامة ولشعب بورتوسانتوس خاصة فقد قوبلت باهتمام شديد كما أن الناس اظهروا اهتماما بكلمات أخيه روبرت• بل أن الخطب التي جهزت بعناية وكان يلقيها وورث كامبل مساعد وزير الخارجية والمسـئول عن تنســيق معاهدة التقدم لم تذهب سدى فقد قال : أنه يعتقد أنه يجب على مواطنى أمريكا اللاتينية أن ينتجوا أكثر لينالوا أجرا أعلى يستطيعون الحصول به على طعام أفضل ولباس أحسن ويوفرون مدارس لائقة لتعليم أولادهم •

وقد ذكرت ملاحظته عن الانتاج الكثيرين بنفس المعنى الذى كان يطالب به أصحاب المزارع فيما مضى عن ضرورة مضاعفة العمل لزيادة الانتاج لذلك لم تثر كثيرا من حماستهم أما مسألة الطعام والكساء والمدارس فقد أظهروا سرورا فى تقبلها ويصمم وورث كامبل أن هذا النمو والارتقاء يجب أن يتم فى رعاية نظام ديموقراطى ومرة أخرى سر الناس من سماع ذلك حتى بدأ يتحدث عن كاسترو والشيوعيين وعلى أنهم الأعداء الوحيدون للديمقراطية فقد أحسوا أنه على ضوء ما يحدث فى بلادهم فان هذا رأى لا يقبله العقل كذلك تشكك الناس فيما يعنيه بقوله (الاعتماد الكلى على القوى التقدمية فى المشروعات الانتاجية الخاصة) اذ لم يسبق أن خبروا فى هذه الجمهورية ٠

وكانت هذه الرغبة فى التغيير عامة فقد أحس بها المدرسون فى العدد المحدود من المدارس أو قسيس تجاوب مع الصراع الجديد فى الفاتيكان أو هؤلاء الذين يدعوهم عملهم للاحتكاك بالسياح أو رجال الأعمال القادمين من الخارج أو سائقو الأتوبيس الذين يكثرون التنقل ومن ثم يلقنون زملائهم فى البارات بالليل حتى العمال العاديون أحسوا بهذا التغيير ٠

بل أن الحديث عن التغيير كان أكثر مما يتصور الانسان فى الأكواخ الفقيرة فى مزارع السكر والبن فى أقاصى البلاد ويبدأ الحديث دائما بالتساؤل لماذا يوجد أناس أغنياء جدا فى أنحاء متفرقة من العالم بينما يكاد يكون كل سكان بورتوسانتوس فقراء معدمين ؟ ٠ فقد أصبحت حالة الكآبة هذه معروفة للجميع ٠

« اننا دائما تعساء فى هذا الوطن لابد أن هذه ارادة الله ! »

« هل هذا ما تعلمته امرأتك من هذا الغراب الأسود الذى تعترف أمامه عن خطاياه ؟ »

« هل يقول لها أيضا ان سكان أمريكا الشمالية أغنياء لأنهم شعب الله المختار ؟ » .

« لا أنت على حق فليس من المعقول أن يختار الله جميعا فحتى مس اليزابث تايلور كما أبلغت أصبحت غنية جدا » .

« اذا لابد أن السبب هو عدم خصوبة أرضنا ؟ »

« لا . لقد قيل لى أن تربتنا تفوق خصوبة الأراضى التى تزرع السكر في كوبا »

« هل السبب اذا أننا جميعا كسالى وأغبياء » .

« لا . ان شعبنا يعمل بجد اذ توفرت له الظروف وكانت هناك رقابة من ملاحظى العمال طول الوقت . كما أنه لو توافرت المدارس لما كنا أغبياء »

« اذا ما السبب أننا فقراء ؟ »

« لقد ذكرت لى السبب بنفسك مرارا . انهم أولئك اللصوص الذين يحكمون البلاد ويملكون الأرض . فهم لا يفكرون الا في أنفسهم . ولكن ما العمل ؟ »

ولعل الأغرب من ذلك أن الأمل فى التغيير قد وصل الجيش أيضا ففى طبقة شباب الضباط توجد فئة لا تعترف أن الخدمة فى الجيش هى وظيفة مجزية بالنسبة لعملها مدى الحياة وأنها الطريق للتمييز السياسى والكسب بل على العكس يرون بطريقة لا تزال غامضة مفككة أن القوات المسلحة هى القوة التى يجب أن تعمل على تطوير بورتوسانتوس . ان هؤلاء يمثلون أقلية وأن ما يشعرون به قد لا يزيد عن أن يكون وهما من أوهام الشباب سرعان ما يتبدد .

ومع ذلك فاذا قمنا بزيارة [illegible] فستجد الكثير من صور [illegible] كنيدي [illegible] بعض الأكواخ فقد تجد [illegible] صور لفيدل كاسترو [illegible]

[illegible]

ففي بورتوريكو [illegible] ليس هناك إجماع مطلق بأن الولايات المتحدة هي أحسن مثال يحتذى فهنا تختلف الآراء وتتعدد [illegible]

[illegible]

أصبح للشعب هدف يعمل له »

« [illegible] رأيت [illegible] كوبا [illegible] »

« من يدري ربما تتحسن الأحوال هناك يوما ما »

« [illegible] الأمريكيين [illegible] يقبلوا [illegible] الثورة [illegible] »

« [illegible] كوبا والمكسيك [illegible] أقرب الى الولايات المتحدة [illegible] وهما البلدان التي حدثت فيهما ثورة كبيرة [illegible] السبب في ذلك هو قربهما من الولايات المتحدة ؟

أنك لا تعني ما تقول »

« [illegible] هناك بعض الأغنياء [illegible] ينظر الناس [illegible] المكسيك وكوبا [illegible] الولايات [illegible] بلادهم [illegible] الولايات المتحدة »

« من يدري [illegible] أن الأمريكيين [illegible] كوبا والمكسيك [illegible] فهم لا [illegible] هذا الفقر [illegible] بلادهم ؟ »

« [illegible] »

أما فى الدوائر الأكثر تقدما فيدور النقاش أن هناك علاقة وثيقة اضطرارية بين الولايات المتحدة وبورتوسانتوس منذ مائة عام ولكنها تفيد الولايات المتحدة أكثر مما تفيد بورتوسانتوس فقد قيل انه ولو أن الولايات المتحدة تتفوق على الدول اللاتينية فى كثرة الوعود فان ذلك لا يعنى أنها تتفوق عليهم فى انجازها وعموما فان ذلك لم يكن له تأثير على الشخص العادى . ومع عدم وجود احصائيات ربما لحسن الحظ حتى لا تثبت الحجة فمما لا شك فيه أن سكان بورتوسانتوس هم الآن أشد فقرا عما كانوا عليه أيام الأسبان .

ومن ناحية أخرى لم تعترف حكومة مارتينيز بالصين الشيوعية أو الاتحاد السوفيتي أو حكومة كاسترو كما حرمت قراءة أعمال ماركس ولينين وماوتسى تونج رغم قلة المتعلمين الذين يفضلون عموما قراءة الجنس أو القصص . ولابد قد زار بورتوسانتوس بعض عملاء الشيوعيين خفية وحتى هؤلاء لابد أنهم وجدوا فيها أمة لا يرجى منها الكثير رغم أن التربة خصبة ومن الممكن استغلالها . ويعود الحديث مرة أخرى الى كوبا والمكسيك فيوما ما أثارت المكسيك غضب الولايات المتحدة والآن هى أكثر بلاد أمريكا اللاتينية تقدما أو هذا ما يصرح به جميع رؤساء الولايات المتحدة فى كل حفل رسمى . وكوبا تثير الآن غضب الولايات المتحدة وسيأتى اليوم الذى يمتدحونها فيه . ولذلك يجب أن تحاول بورتوسانتوس عن طريق الثورة أن تحصلُ على مديح الولايات المتحدة يوما ما .

هذا الرأى فى نظر وورث كامبل هو خطأ شنيع بنى على وهم مفزع ورغم خبرة الرجل التى اكتسبها من رجال ذوى أهمية خدم معهم فان هذه الخبرة يتخللها بعض النقص فهو لم يعش فى المزارع أو الأكواخ الفقيرة أو حتى فى الأحياء الراقية فى فلوريس وعظماء

الرجال الذين عرفهم ليس بينهم حجة معصوم عن الخطأ فى الفكر الاجتماعى الذى يتصل بهذا الموضوع .

كان على جوزى ماريا ميرو رئيس الجمهورية المؤقت للحكومة الثورية الجديدة لبورتوسانتوس أن يعتمد فى تشـــكيل حكومته الجديدة على هذه القوى المتعارضـــة التى حركتهـــا رياح التغيير الشاردة .

ولكن مشـــكلته كانت أكبر من ذلك . يقول المطلعون أن الهدنة التى أنهت القتال ساعة أو ساعتين قبل لجوء الديكتاتور الى سفارة بارجواى كانت نتيجة لتسوية لم تقم على اخلاص لمبدأ أو ولاء لأشخاص ولكن بسبب طمع مشـــترك وليس من الضرورى أن يكون أمرا مؤسفا فأكبر الظن أن ذلك هو الذى جعل قيام الحكومة أمرا ممكنا .

وعد ميرو جنرالات مارتينيز أنه سيحترم مرتباتهم الأصلية والاضافية وانهم سيستمرون فى مناصبهم . ولاظهار حسن نيته نانه سيحتفظ ببعض المناصب الرئيسية فى حكومته لهم وكان البديل لهؤلاء أن يتعلقوا بنظام مارتينيز المنحل الى نهاية مجهولة .

ورغم ذلك أحس بعض أعوان مارتينيز بالخوف فمهما كانت النيات طيبة فليس من يضمن رد الفعل والحساب اذا ما فتحت أبواب السجون وخرج منها المعتقلون . ان ظل الباستيل وغوغاء باريس بعد نحو قرنين من الزمان خيم بثقل فوق مدينة فلوريس . ومن هنا كانت موجة اللجوء الى سفارات أمريكا اللاتينية الأخرى . غير أن غالبية العسكريين ظلوا فى بلدهم .

وكان على ميرو أن يواجه الى جانب مطـالب المصـلحين من أنصاره مطالب الجيش أيضا كان الجيش فى وضع يمكنه من تأييد مطالبه بالعتاد الوفير والأســـلحة الممتازة التى حصل عليها من

[illegible] الولايات [illegible] طويلة [illegible]
الامريكية طويل حقا .

ثم [illegible] في اليوم الثاني [illegible] من الابتهاج والسرور وخرجت الجماهير الى الشوارع حاملة شعارات [illegible] وحاملة نعوش [illegible] أكتافها بعضها ذوي الضحايا من المعتقلين الذين أفرج عنهم توا ورفعت شعارات تندد وتتوعد الولايات المتحدة [illegible] بيتوبك . وفي وسط هياج الشعب حاول جرامي مارتينيز شقيق الديكتاتور السابق اللجوء الى احدى السفارات ولكنه أخطأ أو وجد نفسه بحكم العادة في بيت للدعارة وعندما قبض عليه هناك كان مخمورا كالعادة وأغلب الظن أنه لم يحس بنفسه والجماهير تطوف به المدينة داخل عربة قمامة للبلدية لم يظهر منها من فتحتها الخلفية غير رأسه وجذعه الضخم وما كان له على أية حال أن يظنها علامة من علامات التحية .

وبخلاف ذلك كان تصرف الجماهير طيبا فبين حين وآخر تندفع الجموع الى القصر الأبيض في ميدان العاصمة طالبين رؤية ميرو وكان عليه أن يخرج من حين لآخر في شرفة القصر لتحيتها أو لالقاء كلمة لم يكن في استطاعة أحد سماعها .

وعاد بعد ذلك قوي اليد بسبب هذا السند الشعبي الى حجرة جوها خانق (اذ ما زالت الكهرباء مقطوعة وأجهزة التكييف بالتالي معطلة) واستأنف الأخذ والرد مع الأحزاب والقواد في توزيع مناصب الحكومة وقبيل الغروب اذاع تشكيل الوزارة الجديدة وحين أعلن أن الجنرال بيدرو كاستيلو عين وزيرا للدفاع أحس الكثير من الأهالي بخيبة أمل . وأعطيت للجنرالات أيضا وزارة الأشغال العمومية [illegible] أنها [illegible] عن طريق المقاولين الأمريكيين [illegible] الأمريكية [illegible] كذلك [illegible]

ووزارة الارشاد والدين ومركزان أو ثلاثة من المراكز المجزية ٠ وتمكن ميرو بعد نضال شديد من انقاذ وزارة الداخلية منهم فهى التى تسيطر على الشرطة والمحاكم وعهد بها الى أكفأ وأبلغ أصدقائه وهو لويس كارلوس ماديرا ٠ وهو شخص فى الثلاثين من عمره من أسرة كبيرة من بورتوسانتوس تمكنت بطريقة ما من انقاذ جزء من ثروتها ٠ وقد تخرج من جامعة ييل وكلية الاقتصاد فى لندن وقام برحلات كثيرة وهو اشتراكى النزعة وكاتب موهوب ولكنه للأسف مفرط فى الشراب ٠ لم يكن كارلوس ماديرا بطبيعة تكوينه معاديا للولايات المتحدة كما يدعى البعض ولكنه كان نقادا عند الضرورة ٠ ففى يوم مشهور على شاشة التليفزيون فى برنامج عن السياسة الأمريكية تجاه أمريكا اللاتينية انبرى السفير بيثويك للدفاع عن مارتينيز وكان تعليق ماديرا فى البرنامج لا يتسم باللباقة وان قارب الحقيقة اذ وصفه بأنه فى عهد بطولى كان يمكن أن يكون فاشستيا أما الآن فخير وصف له انه أحمق كما انه جازف بتصريحه أن معظم أهالى كوبا يحبون كاسترو على الأقل مثل حبهم لباتستا ٠ ولما كانت أسرة بثويك بولاية الليبنوس وعلى علاقة طيبه بالسناتور افريت ماك كينلى فطبيعى أن دفاع ماك كينلى عن بثويك اكسب ماديرا وقد اعتبر ميرو نفسه سعيد الحظ لتوفيقه فى اسناد الشرطة الى ماديرا اذ يستطيع أن يعتمد عليه فى العمل النشط الذى ولده السخط لقلب طرق النظام القديم ٠

وفى البارات والشوارع كان الناس يهزون رؤوسهم دلالة على عدم رضائهم لظهور الجنرال بيربز مرة أخرى ٠

« انه نفس الطقم ٠ صدقنى هذا الشخص ميرو هو كبقية الحكام ٠ فمهما حدث فالسياسيون والجنرالات يهتمون بأنفسهم اما نحن فنصيبنا الركل »

« ولكن تعيين ماديرا سيساعد على تحسين الأحوال فماديرا

رجل شريف وصريح ولسوف يحد من طغيان أولئك الأوغاد ذوى الخوذ البيضاء »

وكان أحد التعيينات الأخرى فى المناصب الوزارية يستحق الاهتمام ٠

ينتمى روبرتو رايان لعائلة من أقدم العائلات فى بورتوسانتوس ولو انها ليست فى ثراء عائلة ميرو أو مادير‌ا ٠ فمنذ وصول أول فرد من عائلته منذ مائة عام وكان أحد الباحثين عن الثروة والهاربين من الجوع ومن نسله تفرعت العائلة فعمل أحدهم ملاحظا لأرصفة الميناء وآخر مصدرا للبن على نطاق ضيق وآخرون عمال بسطاء وساعد الحظ أحدهم فكانت له مزرعة صغيرة وعائلة كبيرة جدا بالقرب من فلوريس وارتقى منهم طبيب مشهور الى منصب مدير جامعة بورتوسانتوس ثم أربعة قسس وبضعة رجال اشتغلوا بالسياسة دون أن يصلوا الى مراكز هامة من هذا التباين فى أفراد العائلة نشأ الاعتقاد بأن روبرتو ريان حفيد صاحب المزرعة الصغيرة قرب فلوريس شيوعى ٠ وانه كما اعتقد بعض العليمين ببواطن الأمور على اتصال بشخصية غامضة اسمها اراجون الذى عاش بضعة سنوات فى بورتوسانتوس وقد نفاه مارتينيز كما نفى ريان وميرو وماديرا ٠ وقد زار ريان بلاد أمريكا الوسطى والجنوبية وراء أهداف غامضة ومريبة وكانت الاضرابات والفوضى تشيع دائما فى أعقاب هذه الزيارات وقد سببت صلة ريان بأراجون فى تردد ميرو فى اختياره ولكن لما كان لريان عند أنصار ميرو الشبان تقديرا خاصا لنقده الشديد للولايات المتحدة ومساندته لمشروع الاصلاح الاجتماعى لمزارع السكر فقد رأى ميرو انه اذا أعطاه منصبا فقد يساعد ذلك على تهدئة أولئك الذين يشاطرونه آراءه وقيمته كمشاكس ٠ وبذلك عهد اليه ميرو بمنصب وزير التعليم واللقب يحمل أهمية زائفة ٠ فالمعروف أن التعليم كان

دائما موضوع اهتمام الشيوعيين • ولكن لما كان نظام التعليم معقدا فالسلطة العملية للوظيفه ليست بالشيء الذى يذكر •

وانتهى اليوم الأول لحكم ميرو فى المشاركة فى الاحتفالات وشغل مناصب الدولة وليثبت العالم الحر اهتمامه بالثورة وصلت فى مساء نفس اليوم طائرة بان أمريكان تحمل رجال الصحافة الأمريكية بعد أن كانت الثورة قد انتهت وحتى مظاهر الابتهاج قد تضاءلت الى بضعة شبان يتجولون فى الشوارع اذ كان التعب قد حل بمعظم الناس • وفى الصباح التالى عاد كل واحد الى عمله وأولئك الذين لم يكن لهم عمل عادوا لطريقتهم فى تضييع الساعات الطويلة الحارة فى بورتوسانتوس •

وبعد ظهر اليوم التالى عقد ميرو أول اجتماع له مع وزير المالية • يعامل المال دائما بالجدية الشديدة التى تتمشى مع السن ودقة الاختيار ولذلك يتطلب منصب وزير المالية الولاء الشخصى بجانب الميل المحافظ الشيىء الذى لم يكن يثيرا اهتمام قادة الجيش • اعاد ميرو الى الحياة العامة الرجل الوحيد فى بورتوسانتوس الذى كان معروفا لدرجة محدودة جدا للدوائر المالية العالمية • كان السنيور اندرير مدينا الفاريز • مديرا لفرع البنك الملكى الكندى فى فلوريس وفى نهاية الحرب العالمية الثانية تطلع مارتينيز الى الاحترام الدولى كما رغب فى اتمام بعض القروض فى نيويورك فاختار الفاريز مديرا لبنك المركزى للجمهورية وهو بنك بورتودى لوس سانتوس • وبصفته هذه حضر اجتماعات البنك الدولى وصندوق النقد الدولى كما تفاوض بخصوص قرض مع بنك التصدير والاستيراد فى واشنجطتون •

وقد نشر له مقال فى مجلة الشئون الخارجية عن مستقبل « سوق مشتركه » لدول أمريكا اللاتينية كتبه اذ ذاك شاب

متحمس من سولت ليك سيتي أعير للعمل معه في البنك طبقا لبرنامج التبادل مع الاحتياطي الاتحادى • ولأن علاقته بمارتينيز لم تكن طيبه في يوم من الأيام فسرعان ما أعفاه بل فصله من منصبه • وفقد بعض ممتلكاته ولكنه استمر يعيش عيشة لا بأس بها في فلوريس على معاشه من البنك الكندى وفى ظل علاقاته مع بيوت المال الدولية في أمريكا الشمالية •

كان في السبعين من عمره ورغم ذلك فمازال معتدل القامة وردى البشرة أبيض الشعر اخلاصه الشخصي لميرو يفوق أى اخلاص محافظ بطبيعته حتى في ملبسه الأنيق غير المريح الذى احتفظ به منذ كان يشغل وظيفة مدير بنك الدولة كان هو الصديق الذى زاره جوهورد من السفارة الأمريكية وهو نفس الشخص الذى احتل نادى سانتوس وبقى به في انتظار وصول ميرو ليلة الثورة •

تكلم الوزير الآن :

« بعد مراجعة سريعة اتضح لى أنه ليس هناك نقد بالمرة »

« ماذا تعنى ؟»

« ما قلته بالضبط فالحسابات في حالة من الفوضى لا مثيل لها ولابد من اعادة تنظيم شاملة تكملها مراجعة حسابات دقيقة ولكن بعد فحص المعلومات التى حصلت عليها بسرعة من المسئولين اتضح لى أن خزينةالدولة خالية تماما • وأود أن أضيف كشخص تتبع حالة البلاد منذ مدة أن ذلك لم يكن مفاجأه اطلاقا »

« أليس هناك ضرائب يجرى تحصيلها ؟ »

« في تاريخ بورتوسانتوس لم يحصل أن دخلت الخزانة ضرائب دخل بكميات تذكر • وطبيعى أنه كلما استولى مارتينيز

على الممتلكات والأراضى المفروضة عليها ضرائب عمل على تحسين مركزه المالى الشـــخصى بعدم دفع الضرائب عنها • وأنا كدارس للاقتصاد السياسى فانى لم أقابل حتى الآن شخصا يجبى ضرائب فرضها على نفسه •

« لماذا لا نستولى على أملاك مارتينيز ونصادر خســاباته فى البنوك ؟ »

« هذا يصور جزاء عادلا فقد سرق هذه الممتلكات واغتصبها فى المقام الأول لذلك فانى لا أمانع فى هذا الاجراء ولكن للأسـف فكل الأموال السائلة قد تسربت الى الخارج وهذه ميزة ســيولة الأموال •

أما الأموال العينية فلا يمكن الاســتفادة بها حاليا فى دفع المرتبات وخلافه ولا أظنك تستخدم مزرعة بن لتدفع مرتب وزيرك المحترم الجنرال بيريث »

« اذاكانت المزرعة كبيرة فانى لا أعتقد أن اللص العجـوز سيمانع • لا أظننا نستطيع أن نقترض ؟ »

« ان بنكى القديم لا يعتقد أن رصـيد الجمهورية كاف فى الوقت الحاضر وهذا يسرى على أى بيت للمال مهما صغر شأنه • بل ان الكثيرين لا يحسبون حسابا لوجود هذا الرصيد •

كما أننا ممنوعون من أى قروض من البنك المركزى بناء على اتفاق مع صندوق النقد الدولى »

« ما معنى هذا ؟ »

« لا أدرى • وقد وصلت الى السن الذى لا يسمح لى بادعاء العلم بما لا أعلم •

« انك لا تقدم لى كثيرا من العون · هل يجب أن أذكرك أنك الآن وزير مالية هذه الدولة اللعينة ! »

« يا سيدى الرئيس لقد تم هذا التعيين تحت الحاحك الشديد وضد رغبتى وانى مقدر تماما أعباء وظيفتى وعموما سأحاول التنقيب والبحث فى ادارة البريد ، بنك الأراضى صندوق تنمية البن ، صندوق معاشات الحكومة · وكل ما آمله أن يكون مارتينيز قد فاته احداها كما أننا قد نستغل عدم استقرار الأحوال ونضغط على شركات البترول لتساعدنا فى هذه الظروف ولابد أن أصحاب مصالح الألمونيوم قلقون على مستقبل امتيازهم فقد يمكن استغلال ذلك لعمل قرض متواضع معهم ولكن يا سيدى الرئيس لن يكفى كل ذلك لدفع مرتبات شهر واحد »

« قد يكون خيرا من ذلك أن ندفع لقواد الجيش مرتباتهم لمدة شهرين ونترك الباقين يموتون من الجوع ! ولكن ماذا نصنع ببقية الشعب وقد سمعتهم بالأمس يهللون عندما وعدتهم بايجاد عمل للجميع وفتح المدارس وانشاء مستشفى كبير هنا فى سانتوس · ثم اصلاح حالة الاسكان والمياه والمجارى ورصف الشوارع هل تعتقد اننى أستطيع أن أخيب أملهم · اذا لم احقق هذه الوعود يحق لهم استدعاء مارتينيز مرة أخرى ! »

« سيدى الرئيس من خبرتى انه يمكننا دائما · توفير المال ولكن ذلك يتطلب وقتا · واذا تيسر لنا الوقت فمن الممكن أن نستفيد من املاك مارتينيز كما يمكننا فرض ضرائب على الصادرات ومزيدا منها على الاستيراد · وانك لتعرف انه فى الأعوام الأخيرة كان عملا وطنيا أن لا يدفع أحد الضرائب ربما لم تدفع أبدا · نستطيع أن نجعل التقصير عن الدفع ان لم يكن عملا غير وطنى فعلى الأقل يلقى شيئا من المضايقة · ولكن هذا كله تخطيط للمستقبل

أما الآن فنحن فى حاجة عاجلة الى معونة مالية . وهذا فى اعتقادى متيسر فى مكان واحد .

« اننى أعتقد أننى أعرف أين . الولايات المتحدة ! »

« سيدى الرئيس . انك على حق تماما . الولايات المتحدة . لذلك اقترح ايفاد مندوب موثوق به تماما وعلى وجه السرعة ليمهد الطريق اذ أن سفيرنا هناك رامريز لا يصلح »

« كلا يا الهى . عموما لقد أرســـلت له برقية اليوم أخطره بفصله . »

« ولا أعقد أنه سيفكر في العودة هنا مرة ثانية »

« ان اختياره سفيرا لنا في واشنجطتون في ذلك الوقت لم يكن أمرا بعيدا عن المنطق اذ أن الحصول على المال والسلاح فى واشنجطتون يتطلب محترفا فى أرفع منصب له نظير وكنا فى حاجة لمورد ولا أظن أنه يبقى الآن فى الولايات المتـحدة دون حصـانة دبلوماسية لمعرفتى بنقط ضعفه الشخصية ؟ »

« سيكون ذلك حماقة منه ، ياترى أين يمكن أن يذهب ؟ »

« ربما المملكة العربية السعودية ! »

« أخبرنى من تقترح أن نوفده لواشنجطون ؟ »

الفصل التاسع

افترق رئيس الجمهورية ووزير المالية بينما كانت الشمس تميل فى السماء وهى تضفى أشعتها على جدران الفندق القرمزية وكان المنظر أخاذا لم تفسده الا الشقوق والفتحات التى أظهرها الضوء فى جدران الفندق وغمرت [illegible] أيضا نباتات البوجانفيليا فى حديقة الفندق . فكانت [illegible] البنفسج والارجوانى . كذلك سقطت على أشجار النخيل بسباطها الغليظ الذى تشبه الأناناس الضخم وعلى أشجار الموز فى طرف الحديقة ثم تلعت عبر العجيلة اليانسة المنسقة الى [illegible] من نوع اللجهورن تنقبان بجهد فى أحد الأركان وسقطت الشمس والظل كذلك عبر ملعب التنس المهجور وحمام السباحة الجاف [illegible] عن [illegible] أوراق الأشجار . والورقة [illegible] بكرسى خشبى طويل مهمل كلها غطت قاع الحمام

وكان قد مضت أربعة وعشرون ساعة على وصول [illegible] الأمريكيين [illegible] فى حالة [illegible] لا [illegible] كانت [illegible] حالة غضب [illegible] الفندق [illegible] أبلغك أن عامل التليفون [illegible]

« ماذا تم بشأن المياه؟»

« اسمع يا هذا اننا لا نشغل حجرات الفندق دون مقابل • »

«هابلا انجلى؟ »

«هل تتكلم الانجليزية؟ »

«متى ستجرى المياه ؟»

« لقد طلبت سيارة لتكون جاهزة هذا الصباح ؟ »

«ألا تدرى اننى مرتبط بموعد الصحيفة ولابد من المحافظة عليه ؟»

«انك لا تدرى رائحة دورات المياه عندكم»

«هل لى أن أقابل •••؟ »

«لقد وعدتمونا بكذا ••• »

ووقف مساعد مدير الفندق والكتبة خلف المكتب يتقبلون الشكاوى بروح طيبة فقد تعودا على مر السنين على سماع الشكاوى الخاصة بالنقص الموجود فى الفندق مع فارق واحد هو انهم اليوم استباحوا لأنفسهم عذرا لم يتوفر لهم فى هذه السنين :

«اننا نمر ياسيدى بوقت عصيب • لا تنس ان هناك ثورة انكم فى نيويورك وواشنجطتون لم تتعودوا بعد على ••• ••• »

وفى الردهة لاح الفندق وكأنه حانوت مخلفات خرجت من المخزن كانت هناك معدات تليفزيون وكاميرات وحاملات للكاميرا وحقائب مربعة عديدة ولفات من السلك وكلها باهتة اللون داكنة تحمل اسم «اذاعة كولومبيا» وقد بقيت فى مكانها الحالى منذ وصول الصحفيين فى الليلة السابقة ولثقلها الأمر الذى لم يسمح بنقلها عن طريق الدرج •

ووقف المخرج والمعلق الصحفى للتلفزيون ينظران الى هـذه الكارثة ثم وجه المعلق سؤالا لزميله وهو فى حالة ضيق شديد ٠

«انى لا أفهم لماذا لم تتمم على الأفراد فى ميامى؟»

« لقد فعلت ذلك وأجاب أربعة عشر شخصا ٠ فلابد أن أحدا رجال الصوت ارتبك وأجاب النداء مرتين »

« ألا يمكننا التصوير مرة بدون المساعد المختص بالسيبية ؟ »

« لا تنس النقابة والاتحاد ٠ فليس مسموحا للفنانين أن يحركوا السيبليه أو حتى المساعدة فى هذا العمل اليدوى »

«ألا يمكننا تأجير شخص محليا؟ »

« لقد استأجرت شخصا هذا الصباح بناء على توصية الفندق أثناء غيابك للتقرير عن الثورة ولما حضر وذكرت له كلمة النقابة عرضا رفض العمل بحجة أن مارتينير ضد النقابات والاتحادات ٠

« ولكن مارتينيز قد ذهب ولابد أن رجلك هذا يعرف ذلك»

وهنا وقف صحفيان بجانبهما يحاولان التصنت فخفض المخرج من صوته حتى كاد يصبح همسا ٠

« فى اعتقادى أنهم لا يودون المخاطرة ٠ أو أن هذا الشخص متأخر ذهنيا الأمر الذى كان سيجعله ناجحا جدافى هذه العملية٠ زعموما فانى اكتشفت أنه لا يعرف كلمة واحدة من الانجليزية »

«سأذيع الليلة أن من المنتظر استيلاء الشيوعيين على كل شىء فى منتصف الليلة ـ وهـذه معلومات أعطاها لى شخصيا الكولونيل الذى كان يعمل ياورا لمارتينيز حتى آخر لحظة والآن كيف يتسنى لنا تغطية هذه العملية ؟ » ٠

[illegible] الأهمية [illegible] ثورة [illegible] بصورة جيدة [illegible] التليفون [illegible]

أمام استراحة [illegible] المتخيل [illegible] على [illegible] للعميق [illegible] السباحة الجاف جلس اثنان من الصحفيين القدامى المحنكين . [illegible] صحفيان يؤخذ بكتاباتهما عن أى مكان تحدث فيه أزمة أو اضطراب .

«هذا جنون !» .

«هذا ما يحدث دائما . ماذا تشرب؟»

«روم [illegible] من [illegible] المشروب [illegible]»

«اننى لا يمكننى تسوغه [illegible]»

[illegible] بخرقة [illegible] اقتراب [illegible]

«روم بانش ياسنيور، روم كولنز، بلا فتور بانش» .

«وماذا أيضا ؟»

«بيكاردى روم سنيور»

«حسنا احضر لى روم بانش» ثم التفت إلى زميله قائلا :

«[illegible]»

«[illegible] الصغيرة مستقبلا محزنا مليئا بالاضطراب والفوضى . ومما لا شك فيه أن المبادأة الآن مع المتطرفين» ، كان الصحفى يقرأ عنوان رسالته التي بعث بها منذ قليل ولاحظ زميله دقته فقال :

«تعبير دقيق تقصد بالمتطرفين اليسار ؟»

« لا شك أنك اطلعت على أسماء الوزراء فالمسئول عن الأمن معاد جدا للولايات المتحدة ومدافع عن كاسترو والمسئول عن التعليم شيوعى معروف ، كما قيل : ان الجنرال بيريز شخص لا يوثق به وقد يكون لهذا مغزاه . أما هذا الأرجوان فهو مازال فى الخفاء وهذا أيضا له مغزى . ان ما يحدث هنا نموذج تكرر حدوثه فى بلدان كثيرة ! نعم انه نموذج يتكرر » .

وكل ذلك تهديد لقناة بنما . هل ستبقى هنا حتى ينزل مشاة الأسطول ؟

« هذا يتوقف على مدة الانتظار . هالو ياعزيزتى ! هل غطيت الثورة من الزاوية النسائية ؟ » اقتربت منهما فتاة فارعة القوام تلبس فستانا من القطن الأبيض دون أكمام وتحمل آلة تصوير يابانية ٣٥ مم .

« ليس تماما . لم يتضح بعد عما اذا كان ميرو متزوجا أم لا . ان الخط مع نيويورك يعمل كالعادة »

«لحسن حظك ياعزيزتى ؟ ومن وجدت أيضا ؟ »

«لقد قابلت عشيقة مارتيز التى قضى معها آخر ليلة وهى بدينة أكثر من اللازم ولكنها شخصية مؤثرة . انها الحب الكبير الوحيد فى حياة الديكتاتور . ولقد طلبت منى أن أدعوها على بعض كؤوس الخمر »

«هل لديها أخبار عنه ؟»

«انها تقول انه التجأ الى السفارة الامريكية وهناك قابله رجال المخابرات ثم أخذوه الى مجزر البلدية حيث قطعوه اربا ووضعوه فى آلة لصنع السجق ! واعفونى من بقية التفاصيل فهى مرعبة »

«أرجو أن لا تصدقى هذه القصة يا عزيزتى»

«شكرا على النصيحة وأرجو أن لا تستعملها أنت! الى اللقاء »

ودارت على نفسها فى حركة بارعة ارتفع فيها فستانها وتأرجحت آلة التصوير من حمالتها تركتهما واستطررا الحديث »

« انشرب كأسا ثالثة للكاميرا »

«فكرة طيبة ولكن صغيرة » ثم اضاف بعد لحظة تفكير :

«مع السفير وهو صديق قديم قابلته من قبل وغطيت أخباره فى كوريا وبورما »

« لقد سمعت أنهم استدعوه الى واشنجطتون بعد ظهر أمس »

وفى هذه اللحظة أنبعثت أصوات من ردهة الفندق سرعان ما تحول الى هدير غاضب تخلله صرخات عالية وبعض السباب . ومن خبرة طويلة سابقة ترك الصحفيان مقعدهما ونهضا ليستفسرا عما يحدث .

فى غرفة كبيرة تتفرع من ردهة الفندق كان مقررا لها يوما أن تخصص للعبة البريدج وحولت الآن الى غرفة للصحافة .وضع فيها ثلاث أو أربع آلات كاتبة باليه معطلة لتعطى صورة زائفة رغم أن الصحفيين قد أحضر كل منهم آلته الخاصة معه .

اجتمع فى الغرفة جميع الصحفيين وهم يتكالبون على لوحة الاعلانات ليطلعوا ويناقشوا نشرة كتبت بالانجليزية ووضعت منذ برهة وجيزة هذا نصها :

«نظرا لضغط ظروف العمل التى تتطلبها مصالح الدولة العليا فان فخامة رئيس الجمهورية المؤقت جوزى ماريا ميرو يعلن عن أسفه انه اعتبارا من اليوم لن يكون فى استطاعته الادلاء بأى حديث شخصى لأى

واحد من الصحفيين ولكن يسره فى نفس الوقت أنه حدد الساعة ١٧٠٠ (الخامسة بعد الظهر بالتوقيت القديم)لمقابلة أصدقائه الصحفيين وللرد على أى أسئلة يودون توجيهها »

أ - سيرفانتس

المتحدث الصحفى الرسمى المؤقت

وانتظر الصحفيان حتى هدأت الحجرة فتقدما لقراءة النشرة ثم انصرفا وأحدهما يتساءل:

«من تظن أنه حصل على حق نشر قصته بالكامل ؟»

«صحفي يدعى أنه يمثل صحيفة من أقدم وأرسخ صحفنا - نيويوك هيرالد تربيون ، واشنجطتون تيمس هيرالد ،بوستون ايفننج ترانسكريت »

هذا رأيى ومن يدرى ٠٠ ربما ديلى ووركر أيضا

« انك تقدر لماذا لم يكن فى استطاعتنا التوجه الى المقر ٠ فقد وصلنى اليوم اثنان وعشرون طلبا لعمل حديث صحفى فى حين لم أتلق فى واشنجطتون على طوال اثنى عشر عاما غير طلب واحد وذلك حين انتخبت رئيسا (أثناء غيابى) للفريق الرياضى فى مدرسة ابنى فى سيلفر سبرنج ٠ وسمعت حينئذ أن الأهالى انتخبونى لأنهم خلطوا بين اسمى واسم مشابه له لأحد سماسرة العقارات ٠ وبعد الانتخاب حضرت فتاة تحرر العمود الاجتماعى المحلى لاجراء حديث معى لمجلة «ستار» وسألتنى عن رأيى فى التعليم الآلى ورأيى فى العلاقة الجنسية بين المراهقين وملاحظاتى عن طريقة الحساب الحديث ٠ وفى الأسبوع التالى نقلت الى سان سلفادور ولم أقدم استقالتى حتى الآن !»

« من قابلت اليوم ؟ »

« بخلافك صديقنا الصحفي الآخر وقد حضر ومعه مذكرة من مكتب وورث كامبل والواقع انها لم تكن مقابلة بالمعنى المفهوم بل رغب فقط أن يحدثنى عن عدم صواب رأيى فى ميرو ، ربان، ماديرا وعدم تقديرى الكافى لخطر الشيوعية · ولذلك لم يضايقنى بأى أسئلة ثم أخبرنى أنه سيعود الليلة على طائرة خاصة ولقد قررت أن لا أرى صحفيا بعد ذلك فالسفير بيثويك لا ينصح بمقابلة الصحفيين وظلت هذه سياسته على طول أربعة وعشرين عاما ·هل تجد الجو هنا حارا ؟ »

جلس جوهورد الذى يشغل الآن وظيفة القائم بالاعمال لسفارة الولايات المتحدة فى بورتودى سونتوس ومعه الصحفى الذى أوصاه بيل أودنيل فى واشنجطتون منذ يومين بزيارة جوهورد·

كان الجو فى الحجرة خانقا اذ تعطل جهاز التكييف نتيجة لانقطاع الكهرباء وزاد من حرارتها مصباح الهاريكان الذى استعاره من مخزن السفارة · جلس الرجلان وقد خلعا سترتيهما ورغم ذلك كانا يتصببان عرقا ·

كان من حق جوهورد كمستشار للسفارة والرجل الثانى بالبعثة الدبلوماسية للولايات المتحدة أن يخصص له ما تعرفه وزارة الخارجية «المسكن المخصص لممثل البعثة» هذا المسكن الذى يسمح لشاغله أن يحتفى بكبار رجال القوم وعظمائهم بالطريقة التى تعبر عن عظمة وهيبة الولايات المتحدة الامريكية ·

ومنذ تركته زوجته غاضبة من حوالى عشرة أعوام وهو راغب عن اقامة أى حفلات أو استقبال أحد هذه الرغبة التى عززتها حالة معدته المريضة لذلك فانه بمجرد وصوله لفلوريس تنازل عن المنزل

المخصص له وهو مبنى ضخم تأثرت هندسته المعمارية بمبانى شركة أسو فى الأربعينيات الى المستشار التجارى وهو أصغر منه سنا ورب عائلة كبيرة وكثير التفاؤل عن فرص الكسب المتزايد للدولارات فى بورتوسانتوس وذلك باقامة علاقات طيبة مع القادرين على الشراء ٠

وشغل هورد شقة من المخصصة لصغار موظفى السفارة فى قلب المدينة تقع فى الحى الواقعة فيه مؤسسات شل وسنجر وباير للأدوية ٠ وباستثناء جهاز تكييف واحد أضيف للشقة لم يكن فيها فى الحقيقة ما يجعلها قابلة للسكنى منظرها وأثاثها رث للغاية ٠

وتذكر فجأة أن حرم السفير بشيويك كانت قد طلبت منه أن يشغل سكن السفير أثناء غيابهما فى واشنجطتون ليرعى حاجياتها الخاصة وأن عليه أن ينتقل الى هناك فى اليوم التالى وابتسم فى نفسه لسببين الأول تخلصه من السفير وزوجته وثانيا انه سيتخلص من جو شقته لفترة ما ٠

ثم أضاف هورد قائلا :

« أتعتقد أنهم يذيعون فى رسائلهم أن ميرو شيوعى ؟ »

«هناك تضارب فى الرأى فالبعض يعتقد أنه شيوعى وأن الشيوعيين قد استولوا فعلا على السلطة وهناك رأى محافظ أوقد تسميه حرا لا يستطيع الجزم فينادى بأن الشيوعيين سيستولون على السلطة !»

«أرجو ألا يكون هذا رأى الجميع »

« هناك القلة منا التى عبر عنها ماثيو ارنولد بقوله البقايا التى تحمل عبء الانقاذ وهم الذين يتفادون الوصول الى النتائج٠ وهؤلاء غالبا لا يقدمون موضوعا شيقا وهم الذين يعبر عن كتاباتهم

رؤساء التحرير بالقوم «ان فى عدم مقامرتهم خسارة» ولحسن الحظ أن جريدتى ليست شديدة التعصب بالنسبة للخطر الشيوعى وليست كمجلة «تايم» مثلا اذ تبحث عن موضوع مثير يغطى صورة الغلاف وهى رأس ميرو تبرز من نجمة حمراء كبيرة !

فمن الناحية الفنية سيكون كسبا صحفيا وسينشر الناشر فى صفحته رسالة ثناء وتقدير للذين قاموا بالتحقيق الصحفى ·

اخبرنى ما رأيك أنت ياهورد ؟

«يمكنك أن تدعونى (جو) وهذا لا يخالف بروتكول وزارة الخارجية فالأسماء الأولى تستعمل عند النجاح الخارق أو الفشل الذريع وانى الى درجة ما ينطبق على الوصف الأخير : معدة تالفة، عدم قدرة على تناول الخمر، عديم المزايا من الناحية الاجتماعية اقترب من نهاية خدمتى وأين ؟ من جميع بلاد العالم فى بورتوسانتوس على أن الكثيرين يعجبون بالطريقة التى أتقبل بها مصيرى ·

رأى البعثة هنا أن مارتينيز على الرغم من اخطائه ونزواته كان صخرة من الاستقرار لذلك حصل على تأييدنا كذلك الرأى أيضا أن أى تغيير يحمل بين طياته مخاطر · ليس لدينا أى دليل على أن ميرو شيوعى ولوأن هناك كثير منالشك بالنسبة لبعض الرجال من حوله » «هل توافق أنت شخصيا ؟ »

« السؤال ليس لبقا · فى مهنتنا هذه للسفير السلطة المطلقة فى البعثة اذ ليس من المعقول أن يكون هناك خليط من الأصوات الأمريكية فى كل عاصمة من عواصم العالم فذلك يسبب بلبلة عند الأجانب وعند واشنجطتون أيضا · لذلك يتحتم وجود ضبط وربط وهذا لا يحرم أيا من أفراد البعثة فى كل المستويات من أن له مطلق الحرية والشجاعة فى أن يعبر عن رأيه الشخصى بصراحة

فى جميع الأوقات فى اجتماعات السفارة الدورية وقد حاولت طيلة خدمتى من أن التزم بهاتين القاعدتين . لقد أخبرت بيل أودنيل بصفة غير رسمية أن ميرو رجل مهذب . وهو يواجه الآن فراغا سياسيا وماليا نتيجة حكم ديكتاتورى فاسد لمدة ٣٠ عاما وحتى لو كان غليظ الحس فلابد أنه سيكتشف أن طريق الخلاص الوحيد أمامه هو الولايات المتحدة فليس لدى موسكو و بكين الوسائل التى تجعله يبقى فى منصبه وطبيعى أن هذا يسرى على فيدل كاسترو . أما الشيوعيون المحليون فلا يزيد عدد من سمع فى الجمهورية كلها باسم ماركس عن مائتى شخص ، ولعلهم جميعا يظنونه اسما لنوع من ملابس الرجال أو لكوكب فلم قديم .

«لا اعتقد أنك تود أن أنسب اليك هذا الرأى ؟»

« لا . فانى أفضل غير ذلك . سبب آخر لرغبتى فى تجنب الصحافة هو أن مقاييس فى الرقابة الذاتية ليست بالدرجة العالية من الشدة ولكن ليس لذلك أية أهمية فيما أود أن تفكر فيه أنت نفسك . فأنت كلما كتبت فى هذا الاتجاه سيقول أهل العلم فى وزارة الخارجية اننى لابد قد زودتك بهذه المعلومات .

أخبرنى هل أنت متأكد ان فى استطاعتك تحمل لهيب هذه الحجرة ؟

الفصل العاشر

تتشابه أزمات أية حكومة مع حفلات التهتك أو السكر والعربدة في الآتى :

ان المشتركين فيها يحسون بمتعة ولو أنهم فى الحقيقة يعرفون أن هذا ليس من حقهم وهى تهد قواهم هذا فاذا ما انتهت كان من المتعسر أن يعقبها أخرى مباشرة ولكن مع مرور الزمن ولأن واحدة حدثت فاحتمال عودتهـا كبير • اذ سرعان ما يزول تعب الرجال وتحلو الذكرى بماض بهيج •

وهكذا كان الحال فى بورتوسانتوس بينما كانت مشغوليـة ميرو هو ماسيحدث فى المستقبل القريب الا أن التهديد الحقيقى نه كان فى حوادث المدى البعيد أو بدقة أكثر المدى المتوسط • فبعد مرور الأسابيع والأشهر الأولى من الثورة أحس النـــاس أن حدثا جديدا ثم هو زوال الديكتاتور البغيض وشغل مناصب الحكومة بشبان أذكياء نفس الشعور الذى يقال أن الانكليز أحسوا به عام ١٨٣٧ حين تخلصوا من الملوك القذرين البدناء وحلت محلهم ملكة صغيرة جميلة • وتمتع الناس أيضا بالحرية هذه الحرية التى اختلف الكثير فى ادراكها ففى الدوائر ذات السمعة الحسنة فى الولايات المتحـدة يسود الشعور بأن الحرية مطلب ضرورى لأولئك الذين يقاومون تبذير الحكومة وفرض ضرائب تعوق المشروعات الخاصة ولذا

فالحرية بالنسبة للفقراء ليست ذات أهمية كبيرة • أما السفير بيثويك فينظر الى الحرية على أنها فكرة نظرية أكاديمية ولكن خبرته الطويلة في السلك السياسي علمته أن يحفظ رأيه ولسانه وأن يلجمهما تماما أما الرأى الرسمي في المسائل الكبرى طالما وجد فكان يدافع عنه بحرارة وفصاحة وكان سعيدا راضيا بموقفه هذا شديد الضيق بأولئك الذين يتكلمون لمجرد حقهم في الكلام والتعبير

ويشاطره رأيه في الحرية مع كثير من الزيف غالبية الحكـــام القدامي في أمريكا اللاتينية فهم يعقبون عن كل ديكتاتور يميل الى قمع الشعب بقولهم •

« نعم • هذا حقيقي ولكن الشعب سعيد ! »

وتطبيقا لذلك كان من عادة السفير بيثويك أن يؤكد في رسالاته دائما رضا شعب بورتوسانتوس وتقبله للوضع القائم •

وعلى الرغم من هذا الرأى المنطوى على الحكمة فان هناك عــددا كبيرا من الناس بجانب العنصر الانجلو ساكسوني الاصيل الثرى يؤمن بمتعة الاعراب عن رأيه والسماح للغير ولو بدرجة أقل من أن يعبروا أيضا عن آرائهم وهؤلاء يقدرون أهمية ما يرتبط بهذه الحرية من حصانة ضد الاعتقال هكذا كان أيضا الحال في بورتوسانتوس

أثبت لويس ماديرا أنه شعلة من النشاط بل انه منذ تقلـــد منصبه لم يثمل مرة واحدة • كان نظام مارتينيز في التجسس على المواطنين يعتمد على المبلغين المحليين الذين كانت تدفع لهم أجورهم بالقطعة حسب كمية المعلومات التي يبلغونها وتوافر الاعتمادات • مثل هذا النظام ما كان ليرضى فريتز كالتنبر نيور • وفي السنين الاخيرة نتيجة لنقص موارد الدولة قلت الاعتمادات المخصصة لهذه العملية ثم انهار النظام كله باعلان الثورة • وقدم ماديرا عددا غير قليل من رجال الادارة المشهورين بأساليب القســـوة والتعذيب

للمحاكمة ونبه على الشرطة أن تحسن معاملة المواطنين كما فصل ضباط الشرطة الذين عرفت عنهم الوحشية · وكانت هناك نكتة قديمة في فلوريس انه اذا كان من الخبل أن تكون فى بلادهم وزارة للبحرية فكذلك من الغباء أن تكون هناك وزارة للعدل · دعا ماديرا جميع قضاه مارتينيز الى تقديم استقالتهم وانطبقت الدعـــوة على السلك القضائى كله ثم لم يعين منهم سوى أولئك الذين على قدر من التعليم والذين عرف عنهم التمييز بين البراءة والاجرام · وقد قابل الناس هذه التغييرات بحماس واضح زاد عن حده أحيانا · فان عميد كلية الحقوق فى جامعة فلوريس وأحد كبار مسانـــدى الديكتاتور السابق مارتينيز لأعوام طويلة انقلب الآن الى المـدافع الاول عن الحريات وصرح فى اجتماع للكلية عقد بعد أيام من الثورة «ان روح الديمقراطية الاساسية تنادى بأنه لخير أن يهرب مائة من المجرمين من أن يسجن برىء واحد» وأضاف أنه سيدعو الاســـتاذ «دانيل اسكوبيدو» ليقضى عاما فى بورتوسانتوس لدراسة القانون الجنائى ذاكرا روابطهما الاسبانية المشتركة وكان العميد قد سمع باسم الاستاذ وتصور خاطئا أنه عميد كلية الحقوق فى جامعـــة هارفارد !

وكانت هناك انجازات أخرى فقد أمرت البلديات أن تجرى انتخابات جديدة لابدال كل الموظفين العموميين من عهد مارتينيز وان كان بعضهم قد هرب من البلاد · كما طلب من بقية الموظفين أن يعاملوا الشعب معاملة حسنة وأصدر ميرو بيانا حذر فيه الموظفين الكسالى كما أعطى تعليمات مشددة لرؤسائهم بعدم التهاون معهم· وكان رد فعل ذلك أن ظهرت فى اليوم التالى مجموعات من العمال تصلح الشوارع والطرقات ورغم مخاوف وزير الثروة الطبيعيـة وهو تابع مخلص للمرحومة مس راشيل كارسون عن اخطار·د·د·ت فقد تم رش المستنقعات المحيطة بسانتوس للمرة الأولى منذ أعوام

طويلة بقصد القضاء على النامـــوس الناقل للملاريا . وتم فتح مصارف المجارى فى العاصمة وأصلحت محطات المياه ومرة أخرى امكن استعمال الحنفيات العمومية وحدد حد أقصى لايجارات الأكواخ الصفيح والمساكن الشعبية ولاثبات الجدية قدم أربعة من الملاك فى فلوريس واثنان فى سانتوس للمحاكمة أمام القضاة الجدد وذلك بعد صدور القانون ببضعة أسابيع فحوكموا وحكم عليهم بغرامات باهظة لانتهاكهم القانون . وكان استياؤهم بالغا لابسبب الغرامة بل بسبب التشهير بهم واعلان ملكيتهم لهذا النوع المهين من العقار. من ذا الذى يستطيع أن يتكهن برد فعل الشعب ؟ وفيما يتعلق بالارض وعد مستأجروها والاجراء فيها بأنها ستكون لهم . وأصلحت محطة الكهرباء وعادت مصاعد الفندق للعمل (وان كان ذلك بعد سفر الصحفيين) وعادت المياه أيضا الى الفندق وأمكن تنظيف دورات المياه . !

والاعجب من كل ذلك أن بدأ ظهور بعض النشاط فى قطاع الاعمال فى فلوريس فلاعوام طويلة كان رجال الاعمال المحليـــين والاجانب على السواء يزاولون مايسمح به من أعمال وعيونهم ترقب طول الوقت عصابة مارتينيز خيفة النهب . وفى هذه الفترة كان الابقاء على أى أموال داخل فلوريس ولو لليلة واحدة يعتبر مخاطرة كبيرة . وبـــدأ الناس الآن يحســـون بقليل من الامان ورغم أن بورتوسانتوس لم تـــكن يوما مطمحا اقتصاديا مغريا بالنســـبة للتجار أو المستوردين محليا أو من الخارج فقد حاول البعض الآن المغامرة وأصبح هناك سباق من يكون الاول قبل أن تذهب الفرصة لآخر فأسرع الالمان والهولنديون ليسبقوا اليابانيين وهذا أثار اهتمام الفرنسيين والايطاليين وأخيرا وصل الى علم رجال الاعمال فى بريطانيا والولايات المتحدة أن هناك حركة غير عادية فى سانتوس

فهب بعضهم للتحقق مما يجرى · كل ذلك كان دلالة على تحسن الاحوال وبدء انتعاشها ·

وكان من المدهش أيضا أن روبرتوريان حالفه النجاح من البداية فالرغبة ألتى لايضارعها رغبة عند أهالى بورتوسانتوس هى تعطشهم للمدارس والتعليم · لم تكن هذه الرغبة وليدة فضول ثقافى أو التزام بضرورة العلم ولكن لسبب بسيط آخر لم يخف على أحد سواء فى سانتوس أو فى أى مكان آخر من العالم هو أن الاشخاص الذين يعرفون القراءة والكتابة يحصلون عادة على الوظائف وانه كلما زادت أعوام تعليمهم حصلوا على الوظائف الأحسن وخصوصا تلك التى تؤدى جلوسا فى مكاتب مريحة !! وكل شخص فى بورتوسانتوس تعرض يوما ما حين تقدم الى الالتحاق بعمل لنفس السؤال «هل تعرف القراءة والكتابة ؟ ولذلك لم تكن هناك بقعة فى الجمهورية مهما بلغ تأخرها لم تدرك أهمية ومزايا المدارس ·

تمكن روبرتوريان من تدبير بضعة آلاف من الدولارات اشترى بها كتبا من ميكسكوسيتى ثم نظم من أولئك الذين يجيدون القراءة والكتابة لجان أسماها « لجان التعليم العام » وكانت فكرته بسيطة للغاية · تنتخب كل مجموعة عضوا فيها ليكون رئيسا · وتحت رئاسته أو رئاستها تتولى المجموعة جمع الاطفال فى كل قرية أو قسم بوليس وتقوم بتعليمهم ·

وطبيعى أن التعليم كان مجانيا ولكن ريان اخترع حافزا سماه « المكافأة المؤجلة » وهى وعد للمجتهدين من المعلمين بأن يمنحوا شهادات تمكنهم فيما بعد من تقلد وظائف دائمة كمدرسين وترك أمر الأشراف والتفتيش على هذه المجموعات الى الفئة

القليلة من موظفي وزارة التعليم الذين يجيدون القراءة والكتابة • والاقل تعليما أرسلوهم أيضا للتعليم •

وكان مارتينيز قد سمح بعدد بسيط من «جيش السلام الامريكى» فى بورتوسانتوس فقد كان العجوز حريصا دائما على اقناع واشنجتون بمثاليته ومبادأته فى الأعمال الطيبة • والآن بدأ نفع هذه الاعداد التى عززت بامدادات من شيلى وكوستاريكا وفنزويلا ووزعت بمجرد وصولها على «لجان التعليم العام» وأخذ الجميع يعمل فى حماس فائق وقدر من الكفاية لا بأس به •

قد يكون نظام التعليم الذى استحدثه ريان هو أسوأ نظام تعليم فى العالم الحر أو غير الحر وقد يعتقد الكثيرون أن ريان استغل هيام الشعب بالتعليم كمطمع سياسى شخصى • ولو أن مثل هذه المطامع فى الماضى لم تعتمد على أى مجهود كان • صحيح أن المعلمين المتطوعين سوف ينتابهم عاجلا أم آجلا الملال به واذا لم تسدد لهم مكافأتهم سيختفون من الميدان كما أنه سيصعب عقد الفصول تحت شجر النخيل فى فصل الأمطار ولكن رغم ذلك كله فقد يسر هذا النظام أول وأحسن فرصة سنحت للشعب فى تاريخه كله •

لم تكن هذه الانجازات قليلة أو أنكرها الناس ولكنها تميزت بأنها تتم بدون مال أو بقليل منه كما أنها جميعا كانت محدودة بسبب النقص العام فى النقد • ووضح بذلك ان الأعمال التى تعتمد على المال لايمكن انجازها قط •

ومضت ستة أشهر على قيام الثورة وجاهد وزير المالية حتى أمكنه تدبير بعض الاعتمادات دفع بها مرتبات الجيش والموظفين ولو أنه أوقف دفع مرتبات شهر نوفمبر بالنسبة للموظفين كنوع من التوفير واعتمادا على أن أحدا منهم لن يعترض لخوفهم ولشعورهم بالندم عما ارتكبوه فى عهد الديكتاتور • كما فصل جميع الموظفين

الذين يشغلون وظائف هيكلية ولا يؤدون أى عمل . ونظم ضريبة الدخل التى بالكاد تغطى مرتبات الموظفين والسياسين ولكنه لم يتمكن من تدبير أى اعتمادات للاسكان أو المستشفيات أو المدارس أو الطرق بل رأى أن على الجيش أن يقتصد فى تموينه وفى الوقود اللازم لمركباته ودباباته وفى المهمات . لم يكن هناك مال لملابس جديدة أو قطع غيار للصيانة اليومية للثكنات أو ميس الضباط أو للمستهلكات المعتادة ولعل أسوأ ما فى الأمر هو أنه لم يكن هناك مال يغترف منه المدافعون عن بورتوسانتوس بغية تحسين روايتهم المتواضعة كما تعودوا فى الماضى . وبعبارة أخرى نضب معين المغانم .

بذل المندوب الخاص الذى أرسل بعد الثورة مباشرة كل جهد على حد قوله لاقناع المسئولين فى واشنجتون باستئناف المعونة المالية اللازمة لدعم الميزانية وللمساعدات العسكرية كما تكرر الرجاء فيما بعد لنفس الغرض ورغم ذلك فحتى الآن لم تظهر أى بادرة على نجاح هذه الجهود . لذلك استعد السنيور مادينا وزير مالية بورتوسانتوس للسفر بنفسه الى واشنجطون لمحاولة جديدة فاجتمع مع رئيس الجمهورية المؤقت الذى افتتح الحديث .

«ان عليك أن تبين لهم بوضوح مدى حاجتنا الملحة الى المعونة فانى اعتمد عليك تماما فى هذا» .

« انهم على علم تام بهذه الحاجة الى المساعدة فقد تحدثت منذ يومين مع صديقنا هورد وكان تعليقه أن المصيبة تكمن فى الحاحنا واعلاننا عن هذه الحاجة» .

« ماذا تعنى ؟ » .

«يحتفظ الامريكيون بمثل قديم فاحش وهو عن رجل تسبب فى وضع مؤخرته فى مفرمة اللحوم!» .

«استمر فانني دائما لا أجد وضوحا فى أمثالك» .

«عندما يتبين الناس أن مثل هذا الرجل قد سبب لنفسه هذا الوضع المخجل الشائن فانهم يقررن لانفسهم وصاية جسمانية وأدبية تجاه تصرفه» .

« أفهم أنك تعنى أن واشنجتون ترغب فى الاحتفاظ بى فى قبضتها؟» .

«انهم يفحصون عن ذلك بمثل هذه الصراحة الخشنة . فمن تجربتى أن كثيرا من أصدقائنا فى الولايات المتحدة لايبتهجون من اظهار القوة والسلطة بصورة عنيفة مهينة بل هناك البعض الذى لايوافق اطلاقا على هذه السلطة . انهم يرغبون فقط أن يتأكدوا انك مؤمن تماما بقضية الديموقراطية وأمن العالم الحر . ولقد قرأت ماكتبته الصحافة الامريكية ووصفت به حكومتنا» .

«ولكن الجميع يعرف اننى لست شيوعيا . بالله ما الذى يمكننى أن أفعله لأطمئنهم ؟! اننى فقط أحاول أن أنجز بعضا من وعودى»

«ان علينا أن نواجه الحقيقة فليس من السـهل اقناع بعض الامريكيين . فانك اذا لم تكن شيوعيا فلابد أنك تماشى الشيوعيين وان لم تكن تماشيهم فلابد انك ذنب من أذنابهم وان لم تكن ذنبا اشتبهوا فى انك مخادع . وحتى اذا اقتنعوا بعدم صحة كل ذلك فانهم سينتهون الى أنك مدخل لليسار » .

ورد الرئيس وهو يتشدد فى كلماته «حسنا عليك اقناعهم . والآن افصح لى عن رأيك بخصوص طلب قرض من البنك الدولى أو الصندوق الخاص بالامم المتحدة أو صندوق النقد الدولى؟» .

« ان وكالات الامم المتحدة كما خبرتها غير راغبـة فى أى عمل

قد تعارضه الولايات المتحـــدة فهى التى تمدهم بأكثر من ثلث ميزانيتهم » ٠

«أرجو أن يكون فى ذهنك أيضا موضوع حصتنا فى السكر ومسألة الســـماح لماشيتنا فى دخول أسواق بورتوريكو ٠ فاننى تحت ضغط شديد بالنسبة لاسعار السكر والماشية » ٠

ان ذلك فى ذهنى دائما ولكن نجاحنا أيضا يتوقف على اقناعنا وزارة الخارجية الامريكية فهى صاحبة الرأى النهائى فى هذه المواضيع وذلك ينطبق على أى اجراء ستتخذه بالنسبة لممتلكات مارتينيز ٠ وعموما فانى أعدك أن أبذل مافى طاقتى ولابد أن تعرف أنه ليس من السهل على رجل مسن مثلى أن يحرك مدينة كواشنجطون بأكملها»

«ياصديقى العزيز ٠ انى أرجو لك النجاح من أعماق قلبى؟»٠

«ان هذا الرجاء لايدهشنى ياسيدى الرئيس فان سمحت بقليل من الحرية لما يسميه الامريكيون واليابانيون سياسى كهل مثلى فانى أود أن أشير الى أن أعماق قلبك من الناحية التشريحية ليست بعيدة تماما من أسنان مفرمة اللحوم تلك » ٠

وفى الساعة الحادية عشرة من نفس المســـاء اجتمع الجنرال بيريز بالرئيس المؤقت بناء على طلبه لمناقشة موضوع المعونة الامريكية وقد دخل الجنرال الى لب الموضوع مباشرة ٠

« لقد سمعت أن مدينا ذاهب الى واشنجطون غدا ؟ » ٠

«صحيح ولكن الواقع انه سافر بعد ظهر اليوم» ٠

« لابد أن تخبره أن عليه أن يستأنف المعونة العسكرية » ٠

«لقد لفتت الملكة اليزابث نظر أحد وزرائها مرة بأن كلمة «لابد» هى لفظ لا يستعمل فى مخاطبة الامراء ٠ وبالتالى فهى كلمة ليس

في استطاعة دولة صغيرة كدولتنا أن تستعملها مع واشنجتون اجلس ياجنرال » .

وجلس الجنرال بجسمه المترهل على حافة الكرسى حتى تظل قدميه ملامسة الارض فقد كان حريصا على حفظ كرامة مظهره .

« اننى لا أخاطب واشنجتون . وانما أخاطبك أنت ! » .

«هل يدور في مخيلتك ياجنرال خوف من هجوم علينـــا من كولومبيا أو بناما أو جواتيمالا أو هوندوراس أو نيكارجوا مثلا ؟».

«ان الامريكان يعطون جاراتنا أسلحة فلابد أن نحصل نحن أيضا عليها وهذا هو نظامهم للامن المتبادل ، فضلا عن أن روح الجنود المعنوية تتدهور اذا لم يحصلوا على أسلحة جديدة » .

وقاطعه الرئيس قائــلا « أولا يربح ضـــباطهم من قطع الغيار والاصلاحات ومن بيع الاسلحة القديمة!» .

«سيادة الرئيس : هذا ليس مجال المزاح . اننى فى غايــة الجدية ويشاركنى فى رأيى الكثير من زملائى . فالجيش فى حاجة الى وقود وقطع غيار وتموين من كافة الانواع ثم انى لاأجد بدا من أن أبين لك أمرا آخر » .

«اخبرنى أرجوك . مدى علمى أن لديكم الكفاية من الطعام !»

واذا كان الجنرال قد سمع هذا التهكم أم لم يسمعه فقد تجاهله تماما واستمر يقول «ان هناك حركة بين الضباط الشبان ولم أعرف بعد المقصود منها ولكنى أعتقد أنها ستكون ضارة جدا بك بـــل بالجميع» .

«هل لاتصلهم حصتهم من العمولة؟» .

«مرة أخرى ياسيادة الرئيس هذا ليس وقت المزاح • ينبغى أن أحذرك والمشكلة ليست مشكلة المال • بل هم يرددون حديثا لاأفهمه فهم يقولون أنه ليس هناك تقدما بالدرجة الكافية ويعتقدون أن حكومتك تنقصها الشجاعة فى معالجة المشاكل الاساسية للجمهورية» •

«اننى على استعداد لتبادل قليل من الشجاعة مع بعض المال!»
ماذا يريدون منى ان أفعل • استولى على ممتلكات مارتينيز ؟
اعلن الحرب على الولايات المتحدة ؟ أعين أراجون محلك ؟ » •

«اننى لاأعرف مايريدون • فقط هناك شائعات كثيرة بل لقد سمعت نقدا موجها لشخصى على اعتقاد اننى على علاقة ودية أكثر من اللازم معك • ان رجالى يحسون بالقلق وهم يرغبون فى حكومة تستطيع الحصول على معونة الولايات المتحدة ولاتنس أنهم يسمعون مايقوله الامريكيون من اننا نتجه نحو الشيوعية • ياسادة الرئيس اننى احذرك كصديق نحن ضباط مخلصون ولكننا لن نسمح بالهياج والتخريب • لذلك يجب أن تكون هناك حكومة ترضى عنها الولايات المتحدة وتمنع هذا التخريب فى الجيش» •

وختم وزير الدفاع أطول كلمة مؤثرة قالها فى حياته وبدأ يلهث ليلتقط أنفاسه وتركه الرئيس المؤقت وهو ينظر اليه لفترة طويلة ليصور له أنه اقتنع بجدية حديثة ثم أجاب عليه وقد تخير كلماته بعناية •

«هناك عدة أنواع من الصداقة ياعزيزى الجنرال وهى تشمل كما يقولون تلك التى تجعل العداوة غير ضرورية • اننى أقدر صداقتك بقدر ما تستحق وطبيعى اننى تأثرت جدا بما قلته الآن اننا نبذل أقصى ما يمكن من جهد فى واشنجطون ويدخل فى ذلك وقودك ومدافعك • والآن اذا سمحت فانى أحب أن أعطيك نصيحة

اخوية أننى لست شيوعيا اننى لا أشجع الشيوعية بين صـــغار ضباطك • كما لا تنسى أنهم فى واشنجتون على مـدى الأعـــوام الأخيرة دأبوا على مؤازرة الحكومات المدنية فى هذا الجزء من العالم • انى أرجو أن تتذكر ذلك » •

ونهض الرئيس وتصافح الرجلان ولاحظ ميرو أن الجنرال قد شدد من الضغط على يده أكثر من اللازم • واضح ان كلماته الأخيرة عن الصداقة قد تركت أثرها فى الجنرال وهو ينصرف •

وأخذ ميرو يعجب لماذا يبدو جنرالات بورتوسانتوس دائـما بمظهر يدعو للسـخرية هل هذا نتيجة لكثرة شرائط النياشـين المدلاة على صدورهم أو كثرة الزخرف والقصب فى زيهم الرسمى ؟ أيناموت به ! هل هم جميعا مجردون من آداب المائدة ؟ •

المفروض أن يكونوا فارعى الطول حليقى الذقن والشعر وأقل بدانة بكثير مما هم عليه ثم استغرب أنه لم يلاحظ هذه الامور أيام كان طالبا فى الكلية الحربية ودق الجرس يطلب سكرتيره الشاب الذى سرعان مادخل الغرفة • «أود ارسال برقية لمدينا فى واشنجطون اذ يلوح أن الجيش يتوزع ناحية اليسار وناحية اليمين • هل يمكنك أن تخمن من سيبقى فى الوسط ؟! •

الفصل الحادى عشر

تشغل سفارة الولايات المتحدة الادوار الثلاثة العليا فى مبنى شركة شل ومن جميع مبانى فلوريس الخرسانية ذات الزجاج القذر يتميز مبنى شركة شل أنه أكثرها كآبة ·

جميع المكاتب من اللون الزيتونى والكراسى والأرائك من الجلد البنى القيم والتى لها نفس المواصفات والطابع ذلك الطابع الذى كان أثيرا لدى مدير التوريدات فى الادارة العامة للحكومة الاتحادية ومن قبله ادارة توريدات الخزانة وباستثناء شعار الولايات المتحدة الذى يعلو باب السفارة وان من الصعب تفرقة مكاتب السفارة من مكاتب ادارة شركة شل فى الأدوار السفلى ·

هذا بعكس سكن السفير الذى يقع على ربوة على ناصية شارع جانبى يتفرع من الشارع الموصل للفندق الكبير · والمسكن عموما جميل ومريح بناه قبل أيام تكييف الهواء تاجر من تجار فلوريس يهودى الأصل ذو ذوق رفيع فحجر الاستقبال بالداخل واسعة وذات أسقف عالية يظلها شرفات عريضة وهذه يحميها من الشمس شرائح من الشيش تتدلى من السقف الى الارض كذلك الشجيرات الاستوائية التى تملأ الحديقة ومكن أن يتمتع الزائر بمنظر جميل للمدينة القديمة وقصر الرخام الابيض من خلال أشجار النخيل ·

وفى الحديقه ملعب للكروكية فى موضع يأمل السفير وزوجته أن يشيدا به حمام سباحة يوما ما · اذ نجحت وزارة الخارجية فى اقناع الكونجرس بالتصديق على الاعتمادات اللازمة لانشاء حمامات سباحة للسفراء فى عدد من عواصم العالم على اعتبار أن الميــــاه المخزونة فى الحمام هى فى الواقع احتياطى من المياه يمكن استعماله فى حالة الحريق فانتفتت بذلك دعوى تبذير الاموال كى يعيش السفراء على مستوى هوليود وأصبح الأمر أمر وقاية من الحريق · وحقيقة الامر فى فلوريس أن مكمن الخطر ليس فى الحرائق ولكن فى التعفن الناتج عن الرطوبة غالبية السنة ، ويشهد على ذلــك حمام سباحة الفندق وحالته السيئة فمحطة توزيع المياه لايعتمد عليها كمصدر لتعويض المياه المتبخرة من الحمام وأخيرا فان أقدمية سفارة بورتوسانتوس تأتى فى المؤخرة بين السفارات الأخرى ·

أما أثاث السكن فحتى وقت قريب كان من البوص والسمار والخيرزان كى يتلاءم مع الجو الحار كما تلاءم اتساع المكان كما أضاف كثرة الزهور والنباتات الاستوائية التى تزين الحجرات والشرفات الضوء واللون المكملين ·

ولكن مدام بيثويك ذات التجربة فى خدمة وزارة الخارجية على طوال ٢٥ عاما كان فخرها دائما انها تنتقل الى العواصم المختلفة ومعها دائما حاجياتها المحببة لها ولم يكن يكلفها ذلك أى تضحية مالية فوزارة الخارجية هى التى تتحمل مصاريف النقل وكانت هذه الأشياء المحببة لها عبارة عن أثاثات ثقيلة من خشب الماهوجنى والجوز شملت مائدة للأكل ودواليب وكراسى ومكاتب وغير ذلك من أثاث خشبى كانت حسب الاسطورة العائلية ضمن أثاث أجدادها عندما رحلوا من فرجينيا مخترقين كانتوكى ليستقروا فى الينوى ولابد أن هذا الاثاث كان عبئا على أجدادها كما هو عبء الآن على هذا المنزل الجميل وعلى الزائر أن يفترض أنها هى أو زوجها أتت بتلك

اللوحات الست الرهيبة لاسلافها أو اسلافه بلونها الثقيل ووجوهها العابسة التى تنظر من فوق الجدران بسخط بادى .

وان كان يقال أن أحد صغار موظفى السفارة البريطانية فى كوريا تعرف على احدى هذه الصور على انها صورة اللورد بيل وقد رسمت له بعد وفاته . كما يقال أيضا ان عند وصول السفير الى فلوريس وأثناء نقل الصور الى داخل المنزل اكتشف أحد موظفى السفارة وريقة صغيرة لم تنزع تحمل اسم محـــل لبيع المخلفات المستعملة فى شيكاغو على ظهر احدى هذه اللوحات . ومهما يكن من أمر حقيقة هؤلاء الاسلاف فمسز بثويك تحب اللوحات الفنيـة كذلك .

فى هذا المقر وبعد أن غادره السفير الى واشنجتون وفى مساء نفس اليوم الذى سافر فيه وزير ماليـــة بورتوســانتوس الى واشنجتون جلس ثلاثة أشخاص على طرف مائدة السفير . وكان اثنان منهما دون سترة أما الثالث وهو جوهورد فقد ارتدى قميصا صيفيا غريبا يخيل لمشاهدته أنه لابد قد صممه بنفسه .

كان أصغر الموجودين الكابتن جونز اليس الذى تخرج من كلية وست بونيت ولتمكنه من اللغة الاسبانية عين مســاعدا للملحق العسكرى فى فلوريس . لم يعرف أحد رأيه فى مارتينيز وان أمثاله يعدون حطا لكرامة من كان من أصل لاتينى . ومنذ قدومه وهو على علاقة وثيقة جدا مع الضباط الشبان فى جيش بورتوسانتوس أما الرجل الثالث فهو أصغر سنا من هورد وهو قادم من الفندق الكبير الذى ينزل فيه . وقد دار الغريب بنظره على الاسلاف معبدا بعد كل نظرة تعبيرا لسخط المرتسم عليها ثم وجه حديثه لهورد .

«هل نحن فى أمان؟» .

وكان جواب هورد تعبيرا بليغا لحرفة الدبلوماسية فى عصرنا هذا» .

«لقد تم تفتيش السفارة في الاسبوع الماضي : ثم أضاف وفى كلماته شبه اعتذار» ٠

« للأسف الشديد لم يحصل أن وضع فى سفارتنا أى أجهزة للتجسس ومع اعترافى أن هذه الاجهزة تمثل اعتداء على حرية الفرد والا أنها دليل على أهمية السفارة أيضا ! » ٠

ولبرهة أخذ الثلاثة يفكرون فىدرجة أهمية السفارة ثم استطرد هورد الحديث وقد استعاد تعبيره الرائق ٠

« عين مارتينيز فى يوم من الايام عاملا ليتصنت على محادثات السفارة التليفونية أثناء ساعات العمل وقد استمع ذات مرة الى حديث دار بين السفير بيثويك ووزير الخارجية فى واشنجطون وقد تضمن الحديث أن السناتور « واين مورس » يثير العراقيل بخصوص مدى المعونة المطلوبة لبورتوسانتوس ولم تكد المحادثة تنتهى حتى اتصل مارتينيز بالسفير طالبا التأكد من اسم السناتور ليحدد ثمنه حتى ينهى معارضته للمعونة ٠ وأظن أن هذه كانت المرة الوحيدة التى رفض فيها السفير طلبا لمارتينيز ٠

وكانت عينا الرجل الثالثمازالتمثبتة على لوحة لاحد الأسلاف ثم تكلم مبتسما «يحسن اهداء كل موظفة تركت الخدمة فى مهنتنا صورة من هذه اللوحات حتى تتعلم أن لاتفضى بكلمة أو سر «ثم أضاف» انى أعتقد ياصديقى انكم رجال السياسة لابد أن تسرعوا وتباركوا ميرو وأن تتضمن البركة بعض المعونة والا فانه لن يبقى طويلا » ٠

والتفت اليه هورد سائلا « افصح لى عن اسرارك ؟ » ٠

« اتركنى أولا أشرح لك القواعد التى تحكم عمل المخابرات طبقا لدالاس وماك كون وبوند والخالدين فى مهنتنا ٠

أولا : انه لايمكنك أن تقدر مستقبل حكومة اذا كانت هذه الحكومة لاتعرف أهدافها ·

ثانيا : في أمريكا اللاتينية لاتوجد اسرار بل هناك نقص عام في المعلومات والآن لقد نمى الى علمي أن كبار الجنرالات متبرمون لان الاسلحة الجديدة قد أوقف ارسالها وبالتالى ليس هناك مغانم ومرتباتهم غير مضمونة بل يقال انها توقفت منذ بضعة أسابيع · ويقال أيضا أن هناك حركة بين صغار الضباط مثل حركة تركيا الفتاة وليس ذلك سرا وان بيريز ينوى الضغط على ميرو · ماذا سمعت ياكابتن عن حركة صغار الضباط ؟» ·

«لاشك أن منهم فئة تشعر أن أملها خاب «توقف الكابتن برهة ثم استطرد بحماس» «انى أعرف أن كثيرين لايعتقدون أن هناك أشخاصا ذوى مثل عليا في جيوش أمريكا اللاتينية ! » ·

ورد هورد قائلا : بل الشباب · فقط انك لاتعرف أين أو متى يفجرون الموقف ماذا يطلبون ؟ » ·

«طبيعى أنهم لايرغبون في الجنرال بيريز · واذا كانوا من أنصار كاسترو فلم يصرح لى أحد منهم بذلك · الامر الثانى أن معظمهم يود من ميرو أن يضاعف من همته · لذلك فانى أوصى بضرورة الوقوف وراء ميرو ومساعدته ·

«أخبرنى ما الذى يمنعنا من ذلك؟» ·

ورد هورد :

«الخوف من الشيوعية ياكابتن · هل تعرف شيئا عن ذلك ؟ لقد أرسلت التوصيات المتكررة بضرورة اعادة العلاقات بالكامل مع بعض المساعدة المالية السريعة ومع أن هناك أشخاصا في واشنجتون يتفقون معى مثل « بيل أودنيل » ورجال البيت الأبيض

كما سمعت وكذلك رجال منظمة الدول الامريكية ولكن حتى الآن لم يتم أى شىء ·

« لماذا ؟ »

« هنا يظهر ضعف الشباب أمثالك·فانك مثلا لاتعرف ماتعنيه نحن المناهضين القدماء للشيوعية بالعيون المغماة بل يمكنني أنأقول مضاعفات متشابكة من العيون المغماة فى واشنجطتون مثلا يعتقدون أن عيون ميرو مغماة تجاه الشـيوعية فاذا جادلت أن ميرو لا غبار عليه فانذلك يعني أن عيونك مغماة تجاه ميرو واذ جادل بيل أودنيل أن رأيي هو الصدق فيتبع ذلك أنعيونه مغماة فيما يتعلق بى بجانب أنه كاثوليكى والمعتقد أن الكاثوليك في الوقت الحـاضر بما فيهم البابا عيونهم مغماة بصفة خاصة تجاه الشيوعية · ورجال البيت الأبيض يعطفون على وجهة نظرى ولكن عيونهم المغـماة سببها عدم خبرتهم وباختصار فأى شخص يعـارض الخط الرسمى يستبعد بسبب عيونه المغماة ويعد معوقا كبيرا »

وتوقف هورد برهة لاح فيها أن الكابتن قـد تملكته الحيرة فتجاسر قائلا وهو يحس بالخجل : « ما زلت أقول انه يجب عليهم أن يثقوا بذوى المعرفة · اذ ما الذى سيخسرونه ؟ »

فاستطرد هورد بحماس

« هذه هى بالضبط المشكلة فسيخسرون الكثير · ولا تأخذنى مثلا فقد قاربت خدمتى الطويلة فى نفس الدرجة على الانتهاء وقريبا سأكون خارج الخدمة وهذا شرف كبير أحس به ولـكن ليس أمثال أودنيل · فلو تخيلنا أنه وجه اليه السؤال عما اذا كان فىاستطاعته أن يؤكد أن ميرو لن يستولى عليه الشيوعيون فغالبا سيتردد قليلا قبل الاجابة وهذا التردد سيلاحظه الجميع · لماذا تردد ؟ لأنه قد سمع عما حدث لأولئك الذين قللوا من خطر ماوتسى أوكاسترو ·

وهنـاك خطيئتان فى وزارة الخـــارجية الامريكية لا تغتفران ولا تنسيان • الاولى أن يعتدى موظف اعتداء فاحشا على آخر من نفس الجنس والثانية أن يقلل أحد من خطر الشـيوعية • ولا تنس أن الأشخاص ذوى المعرفة فى تقديرهم ليسوا فى جانبنا بل ضدنا وفى وزارة الخارجية • ليس مهما المعرفة نفسها ولكن ما يحسب حسابه هو شهرة الشخص على أنه يعرف حتى لو كان جاهلا •

فالسفير بيثويك ضدنا وهو قد عاد لتوه من مسرح الحوادث• وورث كامبل ضدنا وشهرته فيما يتعلق بالشيوعية رنانة ترجع الى أيام القيصر ! ووزير الخارجية ضدنا اذ هو الرجل الذى يلمس يد الشيوعية فى أى هجوم يوجه للولايات المتحدة فى أى مكان من العالم ! هذه هى الصورة يا كابتن •

وتدخل الرجل الغريب قائلا :

« أود أن تعرف أنه حتى وقت مغـادرتى واشـــنجطون فان الصحافة لم تصور ميرو بالصورة السيئة » •

« هذا صحيح ولكن فى أوائل الثورة ذكروا أن تقلد ماديرا لشئون الشرطة وريان لشئون التعـــليم هو نموذج لمـــا يكرره الشيوعيون فى كل مكان • كمـا اذيعت دعاية كبرى عن أراجون دون مبرر • ثم قل اهتمام الناس باخبار بورتوسانتوس ولكن بعد أن تبلورت فى أذهانهم صورة أن ميرو هو واجهة للشيوعية واذا فرضنا أن بعض الصحف مثل « نيويورك تايمس » أو « واشنجطون بوست » كتبت عن ميرو الحقيقة فســـيرد فى واشـــنجطون أنهم صحفيون عديمو الخبرة وانهم لا يتورعون عن شىء من أجل قصـة مختلفة عن الآخرين • كلهم عيونهم مغماة ثم انهم يعتقدون اننى شخصيا قد زودتهم بهذه المعلومات الشرف الوحيد الذى قد يجعلنى أحس انى ذو أهمية » •

« لقد سمعت أن وزير المالية سيسافر الى واشنجطون غـدا لمحاولة جديدة وانى أتمنى أن لا يعتقدوا أنه شيوعى » ٠

« لقد سافر مدينا الليلة ٠ لا ٠ لن يفكروا فيه كشيوعى ٠ أو مماشـيا للشيوعيين أو تنقصـه الخبرة ٠ ولكنهم سيصرفون النظر عنه تماما كرجل كهل انتهت صلاحيته فسنه هنا هو العصابة التى تغمى عينيه ! وعاد الرجل الغريب ليتكلم ٠

ان وكالتى لاتشترك فى وضع السياسة ولكن فى استطاعتى أن أجهز تقريرا قويا أذكر فيه بلباقة أن ميرو رجل طيب يود خدمة وطنه واننا اذا لم نسرع لمساعدته فسينتج عن ذلك نتائج خطيرة ٠ ما أعنيه كتابة تقرير مخابرات صريح وعادل ٠

ورد هورد :

سيقدرك الجميع لوكنت كتوما٠ ولوكتبت فسيعتقد الكثيرون أن هذا حدث لم يسبق من قبل ٠ أتمنى أن ترسل التقرير ٠ أما أنا فيجب أن أعد رسالة من التى يعتبرها زملائى فى السلك انهـا لمصلحة الشيوعية ثم التفت الى الكابتن قائلا :

« لا أظن يا كابتن أن فى مقدورنا أن نشرك الجيش فى هذه المؤامرة ثم أضاف موجها الحديث للرجل الغريب ثانية »

« كيف الحال فى الفندق ؟ »

« ان التعليمات لدينا تتطلب أن نقيم فى أماكن غير معروفة ٠ واعتقد أن اقامتى فى هذا الفندق هى تنفيذ دقيق لهذه التعليمات اذ لا أظن أن المكان صالح من الأصل للسكنى ! » ٠

كان هناك زائر آخر غير معروف ـ خلاف الرجل الغريب ـ قضى الأسبوع الماضى فى بورتوسانتوس ثم عاد أو بالأحرى واصل

سفره لواشنجطتون قبل سفر وزير المالية بيومين وكوجل نشط مثاير أتم كتابة ومراجعة تقريره ثم قدمه لرئاسته • هذا الزائر هو الدكتور ريشارد ويليامز كنت المستشار الخاص بطرق وبرامج التعليم الابتدائي والثانوى في وكالة التنمية الدولية • المعروف أن جنرالات بورتوسانتوس غير مهندمين ـ قصار القامة بدناء كما أنه معروف أن رجال التعليم في أمريكا غالبا نحفاء شاحبو اللون منكمشو الوجه وفي فلوريس كان الجنرال بيريز والدكتور كنت كاريكاتورا حيا لكل من النموذجين

المثالية في بعثات المعرفة للولايات المتحدة » أن يشغل وظائفها شبان من الرجال والنساء وهبوا أنفسهم للخدمة يدفعهم ضميرهم وحبهم للمغامرة ليكرسوا حياتهم في خدمة الانسانية في بلاد نائية • وقد يحدث هذا أحيانا • على أن معظم هؤلاء اما أن لهم أطفالا في مدارس أولهم مستقبل يفكرون فيه أو يعملون في معامل لا يمكنهم تركها أو لهم مراكز في جامعات لاتسمح لهم بأجازة طويلة • أو لهم أقرباء أغنياء ومرضى وفي حاجة الى رعاية زائفة لضمنوا ميراثا منهم أو أن حب المغامرة والضمير توزعا بطريقة غير متكافئة عبر روابط الزواج • أى أن زوجة الرجل تفضل مكانا لطيفا مثل است لانسنج أو ايمز •

لذلك نجد أن معظم العلماء والفنيين الذين يعملون بالخارج هم أشخاص وصلوا سن المعاش في جامعة أو محطة تجارب أو كلية زراعية أو خدمة زراعية ملحقة بها أو شركة هندسية أو معمل بحث صناعي وقد كبر أولادهم واستقلوا وفات الوالدان • ونتيجة لتقاعدهم فقد قل الطلب عليهم داخل البلاد • يزيد على ذلك أن حالتهم المالية غالبا ما تكون متعسرة لذلك نجدهم على استعداد لقضاء بضعة أعوام يخدمون فيها في أرض جديدة طموحة • هؤلاء علماء ذائعو الشهرة والبعض غير معروف ليس من اليسير تصنيفه

بالشهرة التى نالوها داخل البلاد لم يحظوا بها خارج الحدود ·
كان الدكتور ر·و· كنت واحد من تلك الفئة التى يصعب تصنيفها· فهو قد حصل على الدكتوراه من كلية المعلمين جامعة كولومبيا وكان استاذا ناجحا للتعليم ومديرا للبحث التربوى ونائبا للعميد فى المشروعات التعليمية والبحوث فى جامعة ميسورى التى تخرج منها بتقدير متواضع عام ١٩٢١ · انه يقيس تقدم العالم التربوى بدرجة قربه من نظم التعليم المعتمدة فى المدارس الراقية فى ولاية ميسورى · وكان أخيرا ضمن مجموعة كلفت بدراسة نظام التعليم الابتدائى فى اكوادور وأثناء عودته طلب من واشنجطتون السماح له بالتوقف فى بورتوسانتوس لدراسة التجارب التعليمية الجديدة هناك · ورغم أن بعثة المعونة فى فلوريس قد انكمشت الى تمثيل هيكلى فلم ترد واشنجطتون ضررا من الموافقة · فقطعا لن يدور فى خيال ميرو أن موافقة واشنجطتون على زيارة الدكتور كنت هى موافقة ضمنية على استئناف المعونة وسيكون من المفيد أن يعرف رأى الدكتور كنت عن محاولات ريان فى التعليم ·

ولسوء بخت الدكتور كانت رحلته هذه سلسلة من الكوارث· فلو كان الدكتور أكثر خبرة لأخطر من كيتو سفارة فلوريس عن ميعاد وصوله ولكنه اعتمد على واشنجطتون فكانت النتيجة أنه وصل الى مطار فلوريس ولم يجد أحدا فى انتظاره واضطر الى ركوب تاكسى باهظ الأجر حتى السفارة حيث طلب مقابلة السفير دون أن يدرى أن هذا قد استدعى لواشنجطتون وأخيرا انتهى به المطاف فى مكتب جوهورد الذى لم يكن فى حالة نفسية طيبة كما أن القرحة كانت تؤلمه وقد جلس يتناول كوبا من اللبن وفى حالته هذه لم يكن مسموحا له بحكم مركزه أن يصب غضبه على مرءوسيه أو على أحد من شعب بورتوسانتوس لذلك انتهز فرصة دخول الدكتور كنت

وهو بيروقراطى لا لزوم له من ادارة أدنى فى المركز وقرر أن يفرج عن نفسه فيه ٠

وجلس الدكتور كنت أمامه وحيدا غير قادر على النطق بينما تكلم هورد متسائلا لماذا لم تخطره وكالته كما يقتضى العرف والأدب عن زيارة أحد موظفيها ولماذا هذه الدراسات العلمية العديمة الجدوى ولماذا بدلا من التفتيش على هذه المدارس الفقيرة التى فى حالة يرثى لها لا ترسل الوكالة لهؤلاء التعساء قدرا من المال ٠

منذ لحظة وصول الدكتور كنت فلوريس وقد استقرت فى رأسه فكرة سيئة عن بورتوسانتوس زادها سوءا مقابلة هورد الذى كان عذره الوحيد هو تقدمه فى السن ومظهره الخارجي غير السيء والا لضمه الدكتور الى فئة الشبان الأرزال وهم غالبا فى تقديره متخرجون فى جامعة برنستون وبيل والذين كانوا سببا فى جعل حياته جحيما فى فورت لامى ومنروفيا وفى بعض العواصم التى ندب اليها لأداء واجبه التعليمى ٠

عاد الى الفندق بعد أن سمح هورد لاحدى سيارات السفارة بنقله وبدأت متاعب الفندق فرغم أن الحجرة مريحة ورطبة الا انه ماكاد يفتح الحمام حتى اندفع صرصاران فى حجم الضفدعة ثم اختفيا فى أحد الشقوق كما كانت رائحة دورة المياه الكريهة تفوح فى الغرفة اذ ما زالت الرائحة عالقة منذ فترة انقطاع المياه مع كثرة الزبائن ٠

كان اليوم التالى أسوأ من سابقه اذ لم تصل العربة التى طلبها الفندق الا فى الظهر وعندما طلب من السائق المرور على المدارس اتضح انه لا يعرف أن هناك مدارس جديدة ولأن معلوماته عن الانجليزية محدودة جدا فانه ذهب بالدكتور الى أحد بيوت الدعارة فى طريق روزفلت وعندما دخل تصور أن هناك حلقة

دراسية للشابات ثم أدرك فى النهاية أين هو ثم أخذه السائق الى الدور المعروفة باسم كازاس سان لويس وسان ميجويل وعندما ضاق ذرعا طلب فى النهاية المعونة من السفارة ، ولحسن الحظ كان جوهورد فى مزاج حسن ٠

وأخيرا وصل الى بعض المدارس وكان من الصعب عليه أن يقدر نشاطها فبمجرد وجوده توقفت الدراسة ورغم رجاء المشرف للأطفال أن يستمروا فى دروسهم فانهم سرعان ما تركوا المدرسة يزيد على ذلك أن الدكتور لم يكن يفقه كلمة واحدة من الاسبانية ٠

حدد جوهورد للدكتور اجتماعا مع وزير التعليم فى اليوم التالى وكان أيضا اجتماعا فاشلا فعائلة ريان وزير التعليم فقدت سيطرتها على اللغة الانجليزية وقيل منذ عدة أجيال غير أن وزير التعليم لم يقتنع بذلك وليعالج هذا النقص فى الألفاظ أو النطق أو المعنى لجأ الى السرعة والحماس فكان من الصعب متابعة حديثه ٠ ولكن حتى هذه المحادثة المتعثرة كانت كافية ليدرك الدكتور أن الوزير لم يسمع قط عن نظم الأخذ والعطاء ودرجات التحصيل واختبارات الذكاء اللفظية وغير اللفظية ووسائل تقوية الدافع بل لم يسمع عن نسب التاركين (لمرحلة التعليم دون اتمامها) ٠ انصب كل حديثه على حاجته الى المال وعن خسة الولايات المتحدة لمنعها المعونة وقد حاول الدكتور بطرق عدة ودون جدوى أن يبين للوزير أن هذه المسائل خارج اختصاصه ٠

من المحتمل جدا أن الصورة السيئة التى كونها الدكتور عن بورتوسانتوس قد أثرت على تقريره وهذا أمر مؤسف فقد كان يمكن أن يكون أول تقرير لوكالة التنمية الدولية فى شئون التعليم يجد له قراء عديدين فيما عدا أولئك الذين كتبوه والذين راجعوه من زاوية البرنامج ومن زاوية التوصيات السياسية وأيضا الفتاة التى كتبته على الآلة الكاتبة جاء فى بعض أجزاء التقرير ما يلى :

ومن الطبيعى أن نقدر أن هذه الدولة ليس لديها موارد مالية كافية لتنشىء مدارس تماثل النمـــاذج الحديثة من مدارسنا • الا انه ليس هناك أى اهتمام على الاطـلاق فيمـــا يتعلق بالتدرج المنظم فى المبانى التعليمية والأدوات اللازمـة • وبعـد التفتيش الأولى اتضح لى أن التعليم هو عبارة عن قراءة أولية ومحاولة تجميع بعض الأحرف وليس هناك تطلع لآفاق أبعـد كما اتضح لى أن القائمين بهـــذه العملية ليس لديهم الدراية أو عمق الفكرة •

(١٥) وفى حديث طويل مع وزير التعليم تأكد لى عدم عمق ادراكه فهو جاهل تمـاما بطرق التعليم الحديثة ونظمه بل حين ذكرتها له اشـاح بهـا جانبا وتفكيره ينحصر فى أفق ضـيق هو التمويل والمـــال والميزانية • وتميز الاجتماع بالكثير من عبارات العداء الشـــديد للولايات المتحدة • وفى تقديرى أن هـــذه العبارات تفصح عن عقيدة متأصلة معادية لنا •

(١٧) والخلاصـــة أنه رغم الدعاية الكبيرة التى أعطيت لبرنامج التعليم فى بورتوسانتوس فانه قد بولغ فيها مبالغة كبيرة • ولايمكن لأى مرب حديث أن يعطى أى اعتبار جدى لمثل هذا البرنامج • بل يمكن القول : انه دعاية سياسية شخصية لوزير التعليم الحالى •

الفصل الثاني عشر

فى الأسابيع التى تلت الثورة كان نظام توازن القوى الاجتماعى هو الذى حمى ميرو بطريقة غير متوقعة وقد سبب ذلك مضايقة لورث كامبل • أفصح عن ذلك صباح يوم لمساعده سيمس جونز وهو أحد الرجال الذين تعودوا أن يسألوا سؤالا واحدا ثم يصغوا بقية الوقت لذلك كان الكثيرون يحسون بالسعاده لقضاء بضعة ساعات يشرحون الأمور لسيمس جونز ورغم طول هذه الساعات وتعددها فمن المشكوك فيه أن ذلك ساعد فى ثقافته بالقدر الواجب وقد بدأ كامبل يشرح انه بالنسبة لمصالح العالم الحر فى أى أزمة فالخطر لا يكمن فى الأيام الأولى منها • اذ غالبا ما يكون فى مكان الأزمة الكثيرون من رجال الصحافة فى حالة تيقظ تام وبالتالى فالرأى العام مركز اهتمامه بموطن الخطر وهذا يضمن أن الجميع يتابعون الأزمة بجزع ينذر بالخطر اذ قد ينتج من التأثر الزائد عن الحد اتخاذ اجراء عنيف لا لزوم له •

ولكن الخطر يكون فى أشده حين يرحل رجال الصحافة الى مكان أزمة أخرى يتحول اهتمام الرأى العام اليها ثم اضاف •

« هل تذكر عندما تعرض نائب الرئيس نيكسون للاضطرابات العنيفة فى كراكاس ؟ الأمر الذى أزعج أصدقاءه ومحبيه فقد ظنوا أنه سيقع فى قبضة انقلاب شيوعى والحقيقة انه لم يكن هناك خطر

على الاطـلاق فانظار العالم كانت مركزه هنـــاك واذا تذكرت فان الرئيس قد أمر وحدات مشاة الأسطول لتكون على استعداد للتدخل ولابد أنك ستذكر تحذير وزير الخارجية أن المظاهرات التى قامت فى بنما منذ بضعة سنوات للاحتجاج على حمل الأطفال الامريكيين علم الولايات المتحدة أن أساس هذه الحركة هم الشيوعيون وحين حاولوا اعادة «بوش» الى الدومينكان مرة ثانية رغم أنه شخص مشكوك فيه كنا على استعداد لانزال قواتنا هناك • فنحن دائما فى حالة انتباه مستمر بالنسبة لأية أزمة حتى ولو لم يكن للشيوعيين عند تفاقمها أى دخل ولكن كل من هذه المناطق تصبح معرضه لخطر حقيقى فيما بعد حين لا يكون أحد منتبها »

وهز سيمس جونز رأسه مظهرا ذكاءه فى اســتيعاب حديث مساعد الوزير ثم سأل •

«وفى اعتقاد مساعد وزير الخارجية متى ستصبح بورتوسانتوس معرضة للخطر الحقيقى ؟ »

وأجاب كامبل أن ذلك ليس واضحا بعد ولكن الأمور تسير وفق توقعاته فالصحفيون الذين تقاطروا كفرقة المطافى على فلوريس طبيعى أن يبرروا احلال الحركة محل التفكير • فعلى هـــذا يتوقف معاشهم • لذلك لم يقللوا من مدى وعمق الخطر • كذلك فعل رجال التليفزيون داعين لاتخاذ موقف قوى • كما ذكر اسماء ماديرا وريان وأراجون كثيرا فى الأنباء وكان أشار لأراجون بأنه شخص أســمه كارلوس أو واحد أسمه أو كما ذكر أحد المخبرين متسرعا مستخدما خطأ الاسم الاسبانى « انسيان استادو » ومشكلة ورث كامبــل فى تلك المرحلة هى أن يحتفظ بهذا الاهتمام الثمين بما يحدث بحيث لا يؤدى الى تدخل عنيف قبل أوانه •

الا أن استيلاء الشيوعيين على السلطة الذى طالما تنبأوا به لم يقع • ورحل الصـــحفيون ماعدا قلة منهم تحدثت مع ميرو وماديرا

وريان وقد ذكروا بالخير ريان وكونوا فكرة طيبة عما يحاول ميرو ومادير آن يحققوه • ثم جاءت بعد ذلك فئة من علماء الصحفيين المتجولين يمثلون «ذى نيو ريببلك»، «كوفثارى»، «ذى بروجريسف»، «ذى نيوليدر» فى مهمة مبهمة وغير واضحة وكانت مقالاتهم جميعا فى صالح ميرو وانما تراوحت آراؤهم فى فرص نجاحه بين التفاؤل الشاذ والتشاؤم المرير • ولا شك أن جو هورد قد لعب دورا كبيرا أكثر من تصوره فى طمأنتهم من ناحية ميرو ورجاله بدفاعه عنهم • لم ير منهم الكثير ولكنهم جميعا سمعوا رأيه فى ميرو ودفاعه عنه • واذا كان ممثل الولايات المتحدة المقيم فى فلوريس يدافع عن شخص فمن العسير أن تظن بأنه شيوعى أو حتى منفذ لليسار •

ويواجه كامبل الآن مشكلة توقعاته أن الناس بدأوا يستريحون ويفتر اهتمامهم بأزمة بورتوسانتوس رغم وجود الخطر وأن أشد المراقبين قد يغرر به الشيوعيون • ويذكر كامبل لمساعده أنه أيام أن كان فى باريس زاره فى مكتبه أحد كبار الصحفيين ذوى الخبرة الطويلة ممثلا لجريدة « بلتمورسن » فى طريقه من ايطاليا للولايات المتحدة • وقد أخبره أنه تحدث مع تولياتى الذى سحره بصراحته وأنه صدق زعيم الحزب الشيوعى الايطالى حين أخبره أنه كثيرا ما اختلف مع موسكو وأنه لا يعتقد أن ايطاليا ستصبح يوما ما شيوعية ولم ينس كامبل هذا الحديث •

والآن مهما قيل عن بورتوسانتوس فمايزال مادير وريان فى منصبهما •

* * *

بعد بضعة أيام من زوال حكم مارتينيز أدلى وورث كامبل بشهادته فى جلسة مغلقة للجنة الشئون الخارجية بمجلس الشيوخ التى اجتمعت بالكامل وكان قد راجع الخطوط الرئيسية لشهادته

فى اجتماع له مع وزير الخارجية كما أرسلت صورة من نص الشهادة الى البيت الأبيض ٠

وفى الاجتماع لخص وكيل الوزارة سياسة الحكومة بالنسبة لميرو قائلا : انه ولو أن حدة نذر الخطر هذه الأيام ليست بالدرجة التى كانت متوقعه فانه فى حل أن يعبر عن موقف وزارته فى مثل هذه الظروف بالاصطلاح « الانتظار الحذر » ٠

وكان كامبل يفكر فى سنى حياته الطويلة وأن عقيدته كغيره من الكثيرين أن الكونجرس هو الصرح القائم لمحاربة الشيوعية ومن هنا كانت دائما مشكلته فعليه أن يحاول أرشـــاد المشرعين حتى لا يدفعهم حماسهم الى اتخاذ اجراءات فيها مخاطر ودون أن تؤدى الى نتائج ايجابيه لا خوف ممن يعتقدون أنك شخص شديد الصرامة والحدة ٠ فمثل هذا النقد نادر وغالبا ما يكون بطريقة حذرة متكتمة بحيث يمكن تجاهله ٠ ولكن الذى نخشاه هو الشخص الذى يدافع عن سياسة مناسبة صحيحة ويندفع فى ذلك الى درجـة متطرفة فيوصى بايقاف جميـــع العمليات التجارية مع الأوغاد ومنع المعونة بل وقطع العلاقات السياسية وقد يصل تطرفه الى أرســال السلاح الجوى وأسقاط القنبلة واذا ناقشته أو عارضت آراءه اتهمك بالخطورة على الأمن القومى أو على الأقل بالضعف ٠ لكن ذلك قل عما قبل ٠

وقد سأل الأعضاء الشبان فى اللجنة عما اذا كان من الممكن اعطاء ميرو فرصة كما أن أحد الشـــيوخ القدامى والمعروف بآرائه الحره واهتمامه بمشاكل أمريكا اللاتينية هاجم بشدة السفير بيثويك ودفاعه المستمر عن مارتينيز ٠

يعتبر وورث كامبل نفسه رغم تصويته فى الانتخابات لايزنهاور ونيكســون انه ينتمى الى الحزب الديموقراطى ورغم ذلك فانه يرى من وجهة نظره أن احرار الديمقراطيين غير قادرين على تفهم السياسة

الخارجية نتيجة لعدم تقديرهم لحقائق الحياة بالقدر الكافى . لذلك أحس براحة حين انهى السناتور الديمقراطى سؤاله وانتقل السؤال الى الجمهوريين وسأله أحدهم .

« دكتور هل معنى » الانتظار الحذر « ان تجلسوا على مؤخرتكم هناك ـ احذف هذه العبارة ـ أقصد أن تجلسوا فى مكاتبكم حتى يستولى الشيوعيون على السلطة ! هل هذا ما تعنيه ؟ وعلت ابتسامة مشجعة وجه وكيل الوزارة ثم أكد للسناتور أن هذه ليست الحقيقة ثم زاد سروره حين وجه اليه السؤال التالى :

« دكتور من خبرتك الطويلة هل هى احدى الوسائل التنظيمية لأية مؤامرة شيوعيه أن يبدأوا بالسيطرة على نظم التعليم والأمن ؟

ورد كامبل أنه من الصعب التعميم ولكن مما لا شك فيه أن هذه احدى وسائلهم ولا يجب أن يغيب عن البال أن الشيوعيين فى مناوراتهم يحتفظون بمرونة طبقا لكل موقف .

وعندما وجه اليه السؤال التالى كان من واجبه أن يتدخل بالارشاد .

« دكتور انى أقدر حذرك تجاه هذه الأزمة ولكن أليس من المعروف فى هذه البلاد أن ميرو قد قلد اثنين من الشيوعيين المعروفين مهمة التعليم والأمن ؟ » .

ونظر السائل الى زملائه ومرت برهة خيم فيها السكون على اللجنة مما أعطى السؤال أهمية .

«سناتور . اعتقد أن وصفهما بأنهما شيوعيان معروفان هو أمر سابق لآوانه » ثم أضاف وهو يزن كل كلمة » فى وسعى أن اصرح لك اننا نراقب الموقف ، بغاية اليقظة بل يمكننى أن أضيف اننا مهتمون جدا بما يحدث »

كان كامبل حذرا فى اجاباته على غير العادة الأمر الذى أدهش أودنيل الذى رافقه فى الشهادة • وللأسف لم تستدع اللجنة بيل أودنيل للشـــهادة والا لاستمعت الى آراء مخالفة جدا رغم انه قد يكون فيها فائدة كبيرة اذ كانت ستعطى صـورة حقيقية للتطورات فى بورتوسانتوس ولكن اللجنة لم تفكر فى ذلك كما أن أودنيل لم ينتظر منهم ذلك •

يقولون أن الله يوزع الذكاء جزافا ولكن فى حكومة الولايات المتحدة سواء كان الشخص مؤمنا بالله أو كافرا فمعروف للجميع أن الذكاء يوزع بالتناسب مع درجة المنصب !!

* * *

فى الأسابيع التى مضت بعد اســـتماع اللجنة فى مجلس الشيوخ حسب ما توقع كامبل بدأت أخبار بورتوسانتوس تقل أو تنعدم من الصحف وهذا زاد من مخاوفه بنسبة ضعف الأخبار •

دعى السفير بثويك ليتحدث أمام «مجلس العلاقات الخارجية» فى نيويورك وتمشيا مع سياسة وزارة الخارجية باخفاء بيثويك بعيدا عن الجمهور فى الوقت الحاضر نظرا لعلاقاته السابقة بمارتينيز الأمر الذى قد يثير الكثير من الأسئلة تود الوزارة أن ينساها الناس ثم ان اجاباته مهما حسنت فهى ليست مضمونة لذلك طلب كامبل أن توجه الدعوة له شخصيا بدلا من بيثويك وبذلك تسنح له فرصة ذهبية لينذر بالخطر الكامن فضلا عن أنه يحب حضور اجتماعات المجلس •

« يقع المجلس فى بارك افينو فى نيويورك ويشـــغل القصر الذى كان يملكه « هارولدبرات » ولعل آل برات هم آخـــر رجال البترول المستقلين الذين استسـلموا لاحتكـارات ســـتاندارد أويل وروكفلر الأول • بنى البيت فى عـام ١٩١٩ ويعتبر من أروع

القصور وأعظمها وقد أثثه أثاثا فاخرا وخصوصا المكتبة بسجادها الفاخر والكتب الكثيرة المرصوصة على أرفف بطول الحائط وصور الكثير من مشاهير ساسة الولايات المتحدة .

ولأن الأعضاء الذين حضروا الاجتماع والمهتمين بأزمة بورتوسانتوس هم قليلو العدد فقد عقد الاجتماع فى المكتبة وليس فى قاعة الاجتماعات الكبرى .

ويضم المجلس بين أعضائه بعض أساتذة جامعة كولومبيا وعددا من وكلاء وزارتى الخارجية والدفاع السابقين الذين يحنون لتجربة محببة ومشوقة أكثر من مهنة المحاماة التى اضطروا للعودة اليها كارهين نظرا لما تدره من دخل مجزى . ومن بين أعضاء المجلس أيضا عدد أكبر من المحامين ورجال الأعمال ممن لم يمارس عملا فى واشنجطون يدفعهم الى ذلك شغفهم الحقيقى بالشئون الخارجية ، وهم فى حاجة أو شعورهم بالذنب لاهتمامهم الزائد بجمع المال . أو الأمل فى كسب عملاء جدد أو تكوين صداقات مفيدة . أولئك الذين يسعون لتحصيل المعلومات يتسببون فى قدر من انشغال رجال المجلس المحتكين فهل يقدم موظفو الدولة المعلومات بصفة سرية وبذكاء يفوت على المحامين المحتاجين ورجال الأعمال سماعها . ثم انهم لا يودون أن يعتمدوا على المبرر الواضح بأن المعلوم عن الأمور الجديدة . هذا مع الأسف هو الوضع . فالخطب أو المقالات عن السياسة الخارجية لا تعتمد فى أهميتها على المضمون وانما على أهمية صاحبها . وعلى ذلك فان الذين لا يسمح لهم بسماع عرض موثوق به لما هو معلوم فعلا لا يفوتهم الكثير .

وقد اتضح لوورث كامبل فى السنوات الأخيرة عدم تفهم أو وضوح فى الرأى بالنسبة لخطر الشيوعية وأبعاد الحرب الباردة بين رجال الجامعات والبيت ومجلس الشيوخ حتى أمثال بيل أودنيل

وجوهورد وصغار السن من موظفي وزارة الخارجيه الأمر الذى سبب تعاسة فى حياته فى الفترة الأخيرة أما هنـا فى « مجلس العلاقات الخارجية » فالأمر على العكس تماما فهنا استعاد ثباته وايمانه مرة أخرى فارتفعت روحه المعنوية فغالبية أعضـاء المجلس أصحاب السيطرة فيه من القدامى المحافظين من زملائه الذين خدموا معه فى باريس وبرلين أو عهد دالاس وحالهم كحال وورث كامبل استوعبوا وتقبلوا الدروس الواضحة المستفادة من خبرتهم الشخصية كما أنهم لايثقون فى أى شخص لا يتمتع بنفس الأفكار . وهـذا لا يعنى أنه ليس هناك بعض الشبان فى المجلس تنتابهم الشكوك ولـكن هؤلاء لرغبتهم فى اقامة صداقات تنفعهم أو الحصول على عملاء يحتفظون لأنفسهم بأى آراء مخالفة .

فى هذا الجو الملائم والمتعاطف معه أنذر وورث كامبل بصراحة عن خطورة ماديرا وريان وعن شكه فى قدرة ميرو على السيطرة عليهما ثم ذكر سامعيه بالنماذج العديدة التى كررها الشيوعيون من قبل فى مناطق أخرى وعبر عن رأيه الشخصى أن الوزيرين المذكورين هما فى حالة انتظار للحظة المناسبة . وهذا يعنى أن بورتوسـانتوس مازالت منطقة حساسة خطرة . ثم تكلم عن عدم حكمة تصديق بعض المقالات التى نشرتها الصحف أخيرا عن بورتوسانتوس وقد شعر أن غالبية الموجودين قد أدركوا أنه يعنى بهذا القول جريدة « نيويورك تايمس » ثم عاد يوضح لصغار السن من الحاضرين كيف استولى الشيوعيون على تشيكوسلوفاكيا حين كان يحكمهـا جان مازاريك فهناك استرخى الناس ولكنهم تعلموا بعد فوات الأوان معنى وقيمة أن يسيطر الشيوعيون على بعض الوزارات .

وبعد أن أنهى بيانه وحان موعد المناقشة وجه اليه أول سؤال

« هل ترى يا سيدى أى احتمال لعمل عسكرى هناك ؟ »

وأخذ كامبل حذره فى الرد فان أى رد قاطع فى مثل هـذه

الموضوعات سيكون هناك خطر تذكره فيما بعد وقد يتداول من فم لآخر حتى ينتهى الى الصحف فليس من المحقق أن يحتفظ بالسرية التامة فى اجتماع يضم ٧٥ عضوا ٠

وكان رد كامبل أن هناك خطه للطوارىء وأن السلاح الجوى يطور وسائله الفنية فى الجمع بين القصف الجوى ورجاء السكان المدنيين بالتعاون معه ضد المخربين فليس هناك أهم من هذا لمقاومة أى تمرد أو انقلاب ولابد أن كلا من الحاضرين يقدر أن أى تدخل عسكرى فى هذه المنطقة يحتاج الى التفكير بعناية فائقة ٠ أما عن اعادة العلاقات الدبلوماسية واستئناف المعونة فان اجابته كانت أكثر صراحة فجميع تقارير المخابرات تبين أن ميرو بدأ يحس بالضغط عليه فمندوبه فى واشنجطتون لا يكف عن الالحاح فى ضرورة استئناف المعونة ثم أضاف قائلا :

« نحن نعتقد أن السياسة التى نتبعها الآن تؤلمه »

وكانت هذه أول مرة يفصح فيها أن الايلام هو هدف واستمرت الأسئلة وفى الخارج فى بارك أفينو توقف مرور المساء الباكر لحظة عبرت فيها أبواق السيارات عن قلة صبرها ٠ ثم برقت سيارات الأجرة بركابها غير حافلة باشارات الناس على جانبى الطريق ٠ وهبت نسمة حادة حركت الهواء الساكن الثقيل وحركت معه القمامة على طول حافة الطريق ٠ كانت المدينة تجتاز احدى محنتيها اليومية فى التحرك ٠ أما فى الداخل فقد كان وورث كامبل لا يشعر الا بشعور الدفء ٠ والنظام والهيبة والتفكير العاقل الذى شمل الحجرة ٠

« هل ترى احتمالا لعودة الرئيس مارتينيز ؟ »

« ما هى فى رأيك يا سيدى السياسة الطويلة الأمد فيما يتعلق بالاستثمارات الأجنبية فى بورتوسانتوس ؟ »

« هل سيستولى ميرو على أملاك مارتينيز ؟ ما دور كاسترو فى التسلل القائم هناك ؟ »

« هل يمكنك سيدى الوكيل أن تعطينا معلومات أكثر عن هذا الرجل آراجون »

« ما هى فى رأيك فرص التنميــة فى ظل مشروعات خاصــة حرة ؟ »

الأسئلة واضحة وجدية ومتنوعة وهى تعكس معقولية واطلاع سائليها •

وازداد احساس كامبل بالدفء من الجو الذى يحيطه وكانت اجاباته حكيمة لا تشتم فيها لهجة المعلم مبنية على الوقائع التفصيلية وكما لو كانت موجهة لزملاء متكافئين مما أوحى بالثقة والاحترام •

وعاوده التفكير ثانية بأن هذه هى الطريقة السليمة التى يجب أن تعالج بها السياسة الخارجية فهى ليست أمرا يحل بمناقشة يتعارض فيهــا الرأى بعنف أو بابتــذال بل هى موضــع يجب أن يتخصص فيه الخبراء الذين يتقاسمون وجهة نظر واحدة واضحة عن العالم ويا حبذا لو كان هؤلاء الخبراء من الرجال المهذبين الأفاضل •

تفرق الجميع فى بارك افنيو بعد انتهاء المحاضرة فى اتجاهات مختلفة نحو الجانب الشرقى من المدينة أو نحو نيو روشيل أو بورت واشنجطون وفى ذهنهم مذكره تدعوهم لمراقبة بورتوسانتوس مراقبة عن كثب •

أما أولئك الذين هم بطبيعتهم سريعو التأثر فقد تملكتهم رعشة خوف من المصائب التى سوف تحيق والذين هم عليمون بسرها فقد يصبحون يوما ليقرأوا أن رجال الأمن تحت قيادة ماديرا قد سيطروا على الشعب الذى أصبح واقعا تحت تأثير دعاية ريان وأن كاسترو

والسوفيت قد أسرعا للاعتراف بالنظام الجديد • اسم آرجوان على كل لسان أو قد يقرأون فى نفس الصباح الاجراءات العنيفة التى اتخذتها الولايات المتحدة للحيلوله دون وقوع ذلك وعلى أية حال فلن يكون ذلك مفاجأة لهم •

كما أن البعض وهو فى طريقه أخذ يبلور فى أفكاره الخطوط الرئيسية التى سيتضمنها تقريره لزوجته الصبورة أو لرفقائه غير المحددين على العشاء عن رواية كامبل •

تناول كامبل العشاء مع أصـدقائه القدامى من أيام باريس والذى يعمـل الآن محاميا ناجحـا فى بيت معروف للمحاماة فى نيويورك وفى طريقه للعودة تناول مجلة النيوزويك ثم أعادها ثانية فقد كانت منذ أسبوعين مضيا فضلا عن أن فصلا بهـا عن الموقف القانونى لأدب الفحش انتزع منها • ثم ألقى نظرة عابرة على نسخة من مجلة ينشنز برنس من أوخر الصـيف الماضى • وكانت هى الأخرى غيرنظيفة وكانت تحذر من أن الاسراف الحكومى لابد يؤدىالى ضرائب أعلى ومن ثم الى حافة الافلاس الوطنى • نظر فى داخـل حقيبة أوراقه ولكنه كان يسير على قاعدة ثابتة أن لا يحمل معه أية وثائق هامة

واذا بذاكرته تعود لسنوات مضت حين كان فى روما ونسى فى حمام الفندق برقية ممهورة بعبارة « للاستخدام الرسمى فقط » تتضمن مشاكل النقد الأجنبى فى ايطاليا ولم يتذكر البرقية الا فى طريقه الى باريس ولم يبلغ عن فقدها وكيف قضى أسابيع تعيسة خيفة أن تكتشف البرقية وينتهى البحث اليه والى اهماله • لم تحتو الحقيبة الا على أحدث عدد من نشرة أخبار وزارة الخارجية وجورنال السياسة الأجنبية وبعض الشهادات التى استمع اليها الكونجرس• نشر الجورنال خبرا من خمسة وعشرين عاما فحواه تعيين ايليس

بريجز سكرتيرا أول لليما كما حذر من أن الروح المعنوية فى خدمة الخارجية ما تزال تهبط ونشر كذلك مقالا مطولا عن « الدور الجديد للملحق الزراعى » بقلم رجل اسمه لوثر منول بربانك • أما نشرة أخبار وزارة الخارجية فلم تكن أفضل • تصدرتهـــا صورة كبيرة للسفير بيثويك مبتسما وهو يسلم هدية تذكارية لسائق السفارة لقضائه فى الخدمة ٢٥ عاما وفى الحفل تكلم السفير عن مدى اخلاص السائق طوال هذه المدة • وطبيعى اغفل فى النشره المعلومات غير الموثوق بها التى تؤكد أن تحركات السفير الأمريكى كاملة كانت تبلغ لبوليس مارتينيز عن طريق هذا السائق المخلص • وكان من الممكن اذا فصل أن يقوم غيره بهذه المهمة ولكنه احتفظ به لمقدرته الفائقه على قيادة سيارة السفير فى شوارع بورتوسانتوس تحت أى ظروف •

وقطع سكون الرحلة صـــوت قائد الطائرة يعلن عن مرور الطائرة فوق برتستون مسقط رأس وود رد ويلسون وعما قليل سوف تمر فوق ديلاوير • ثم أضاف بأن فيلادلفيا مسقط رأس بنيامين فرانكلين والمقر الرئيسى لشركة ديبونت سوف يشهدها الجالسون فى مقاعد الجانب الايمن واستمر فيض المعلومات الخاطئة عند ذلك تخلى كامبل عن فكرة القراءة وأخذ يفكر فى محصول عمل اليوم •

هؤلاء الرجال الذين حضروا المناقشة رجال ذوو نفوذ وأهمية وقد ظهر واضحا له أنهم قدروا تفسيراته وانهم الآن فى الصـــورة تماما •

على من سيكون تأثيرها

هل على أعضاء الشيوخ عن نيويورك ؟ كلا فهؤلاء ذوو فكر متحرر وليسوا لسوء الحظ من النوع الذى يتطلع الى الاحترام ومن ثم يتقبل الرأى المعتمد هل على أعضاء الكونجرس فأولئك من عامة

الناس لا وجهائهم ولا يعيرهم أحد من أعضاء المجلس أى اهتمام ٠ هل هى الصحافة متمثلة فى نيويورك تايمس أو بوست لا لأن المطلوب هو أبطال تأثير هاتين الصحيفتين كما أن الشيوعيين لن يظنوا أن مستمعيه لهم أى مصالح للسيطرة على بنوك أو استثمارات بورتوسانتوس فمعروف أنه منذ خروج شركة الفواكه المتحدة واحلال مارتينيز محلها نضبت الاستثمارات الأجنبية حتى انعدمت تماما ٠

وأخذ يفكر فى تأثير النفوذ ٠ فالنفوذ فيما يبدو شيء شخصى وفى الشئون الخارجية يكون الشخص ذا نفوذ اذا اعتقد هو نفسه ذلك ٠ ولكن للنفوذ ناحية عملية فمعظم مستمعيه اليوم من الرجال ذوى النفوذ الذين يتحدثون بانتظام مع رئيس الجمهورية أو وزير الخارجية أو ممن يستشارون ٠

ومن ثم ستسنح لهم الفرصة ليظهروا مخاوفهم من محاولة استيلاء الشيوعيين على السلطة فى بورتوسانتوس أو زيادة تغلغلهم هناك وسيعلنون عن سرورهم من أن حكومة الولايات المتحدة ٠ فكر كامبل فى هذا الأمر الأخير فى حين لم يدر بخلده مصادر نفوذ مستمعيه ٠

الفصل الثالث عشر

لم يكن اسم سانت اندريس مدينا الفاريز أول اسم فى عائلته يخـــدم وطنه فى مهمة خطيرة خارج بلاده فقد أرسل أحد أجداده البعيدين الى انجلترا عام ١٥٨٨ لحساب فيلب الثانى والحبر الأعظم · وكان هناك تشابه بين مهمته وتلك فالموقف الاستراتيجى لم يكن مواتيا كما أن الدولة التى أرسل اليها تعرضت لحملة شــديدة من الدعاية المعادية ولذلك يقال : أن الكاثوليك المتحمسين والشيوعيين المتعصبين يثيرون نفس رد الفعل المضاد · كان توازن القوى فى كلتا الحالتين لصالح الطرف الآخر · فمدينا الأول لم يصــل مطلقا الى غايته وهزيمته التى كانت نتيجة تفوق البحرية البريطانية قيل أن سببها يرجع الى ارادة الله وذلك ليعفى جزئيا الأسلحة الأسبانية من اخطائها وحتى يثبت أن الانجليز تقبلوا الاصلاح الدينى دون عقاب الهى ·

كل ذلك كان يعرفه وزير المالية وكان من الممكن أن يــكون مادة للتفكير والتدبر ولكنه كان متعبا كما انه اضطر أن يجلس فى الطائرة التى حملته من ميامى بجــانب فتاة شابة كل مايحمى فضيلتها رداء قذر وامتناع واضح عن الاستحمام وقد حملت دون اكتراث طفلا شديد التعاسه مبتلا جـدا · لذلك انكمش فى مقعده منتظرا مرور الوقت ومتسائلا عما اذا كانت الدعاية الامريكية قد

كفت عن الاعلان عن مضار رائحة الجسم ورائحة الفم الكريهه وقد أحس بالأسف لتصميمه على السفر بالدرجة السـياحية كما أنه لأول مرة لم يحس بالسرور الذى تعوده دائما عند وصوله للولايات المتحدة •

وكان فى انتظاره فى « مطار الصداقة » فى بلتمور مندوب ميرو الذى أرسل لواشنجطتون عقب الثورة مباشرة وكان برفقته زوجته •

ومنذ هذه اللحظة أحس الوزير أن الأمور لا تسير على مايرام مما كان له الأثر على روحه المعنوية • ففى الطريق الى واشنجطنون أبلغه المندوب بالتفصيل ودون مبالغة عن جهوده منذ وصوله للولايات المتحدة للحصول على المال والاعتراف بحكومته ولم يكن هناك جديد فقد عرف هذه الأنباء فى فلوريس من قبل وتساءل المندوب عما اذا كان ماديرا وريان يستحقان كل هذا الثمن كما أضـاف أن هناك اهتماما كبيرا فى الفترة الأخيرة عمـا ينتوى ميرو عمله بممتلكات مارتينيز • وشرح بتفصيل عن بعض المؤامرات الغير محتملة الوقوع التى يدبرها أصدقاء مارتينيز المتعطلون وبعض أقاربه ضد بلادهم وأنهم يصرفون بسخاء على ذوى النفوذ فى العاصمة الأمريكية حتى يقال انهم اشتروا احدى المجلات الاخبارية وجريدة « وول ستريت جورنال » ثم اضافت زوجة المندوب شكواها من عدم كفاية المرتب الذى يصرف لزوجها فحتى سفير ناهيتى يتلقى مرتبا أكبر • وقد قرر الوزير فى نفسه بسرور داخلى انه لن يزيد المرتب وانه سيسره أن تستمر الزوجة فى التألم والشكوى ثم أضاف المندوب خبر آخر مؤسفا فحواه أن أحد موظفى مساعد وزير الخارجية قد أبلغه تلفونيا بعد الظهر أن رئيسه لن يستطيع اجراء أى محادثات مع وزير المالية طوال اليوم التالى لانشغاله • وترك الحرية للوزير اذا رغب ليقابل مستر سيمس جونس (يشغل مستر سيمس جونز منصب نائب

مساعد وزير الخارجية) وهو على الملم بالموقف في الوقت الذي يراه. وأخيرا فهناك رساله عاجلة شخصيه للوزير من فلوريس من رئيس الجمهورية وللسرية فقد احتفظ بها فى السفارة ولو أن المندوب قد خول لنفسه حق الاطلاع عليها لاعتقاده أن وظيفته تحتم عليه الاطلاع على كل شيء .

كان لدى مساعد وزير الخارجية عـذر قوى لعدم مقابلة وزير المالية فى اليوم التالى ذلك أن من واجبات مساعد الوزير فى الأيام الأخيرة من دورة الكونجرس أن يلخص « للجنة الشئون الخارجية » الموقف فى أمريكا اللاتينية وخصوصا بورتوسانوس وهى آخر دولة تعرضت لأزمة فى الفترة الأخيرة . هذا الى جانب أن فى الاعتـذار اشارة الى أن الولايات المتحدة ممثله فى شخص جرانت ورث كامبل تنظر الى نظام ميرو كما ذكر رسميا « بتحفظ » .

وهذه الشهادات أو البيانات أمام لجنة الشئون الخارجية . أصبحت عبارة عن آداء واجب روتينى فقد تضـاءلت فى السنوات الأخـيرة سلطة « لجنـة الشئون الخارجية » بالكونجرس أو « لجنـة العلاقات الخارجية » بمجلس الشيوخ والسبب يعود الى رئيس كل لجنة . كذلك الاعضاء القدامى فقد جرت العادة فى الماضى أن يكون رئيس اللجنة والأعضاء القدامى أشخاصا لا يعرفون السماحة جارحين ولأن الحسة كثيرا ما تؤدى الى تولد النفوذ فكانت هناك الفرصـة للرئيس أو أحد الأعضاء القدامى أن يوصى بطلب فصـل موظف أو وزير أو التنكيل به أمام الرأى العام بتهمة اساءة استعمال مركزه أو ليقدمه فى النهاية كخائن يجب تسـليمه لادجار هوفر . لذلك كان الموظفون العموميون بما فيهم بعض وزراء الخارجية يفضلون أن يقبلوا بعض التنازلات من مشرع شرس خسيس ليحموا أنفسهم من بعض التصرفات السابقة .

أما فى السنوات الأخيرة فقد تطور الرؤساء والأعضاء القدامى فأصبحوا أشخاصا مهذبين وبالتالى لم يصبح هناك ما يدعو الى تهدئة أو تسكين اللجنة ولو أن لجنة العلاقات الخارجية فى مجلس الشيوخ مازالت تحتفظ ببعض الهيبه التى بقيت من سلطة الماضى التى ولدت عن الخسة والبذاءه ٠

فى اجتماع لجنة الشئون الخارجية بالكونجرس يوم أجل الاجتماع مع وزير مالية بورتوسانتوس لم تكن نسبة الحضور طيبة حول مائدة الاجتماع الخضراء الضخمة المصنوعة من خشب الماهوجنى جلس الأعضاء والشهود فى رد وتقارب ٠ هناك عضو ديموقراطى لا يحضر اللجنة الا عند بحث الصراع العربى الاسرائيلى وطبيعى أنه غائب اليوم وهناك عضو جمهورى تخصص طوال ثمانية عشر عاما فى موضوع الاعتراف بالصين الشيوعية الذى يعارضه وطبيعى أنه غائب اليوم أيضا ٠ وآخرون توقعوا تأجيل اللجنة فسافروا فى رحلات تفتيشية فى باريس وروما ولندن ومد ريد وميامى وغيرها من المراكز الاستراتيجية الحساسة بالنسبة للولايات المتحدة أما الباقون فقد كان أحدهم لايدرى على وجه التحقيق أين تقع بورتوسانتوس وأمكن تسوية الأمر بمساعدة خريطة أخذ يتطلع اليها باهتمام وشوق زائد٠ وكان عضو آخر يعتقد أن الشيوعيين قد استولوا فعلا على الحكم ولما حاول مساعد الوزير أن يقنعه بعكس ذلك وقبل أن يتم شرحه نهض العضو غاضبا وترك الاجتماع وبدا أنه لم يقتنع ٠

لم تضايق أى من هذه الحوادث الفردية وورث كامبل فقد علمته خبرته الطويلة أن يتمسك بالصبر ولو أنه شعر الآن أن من يكون عرضه لموضوع بورتسانتس مرتبا جدا ٠

وبدأ بتأكيد التزام الولايات المتحدة بمساندة حكومات مستقره ديموقراطيه وتعمل على ارتقاء شعوبها فى أمريكا اللاتينية كما أوضح

أن المقصود أن تكون الحكومة ديمقراطية حقيقة وليست واجهة تسمح للشيوعيين بالاستيلاء على السلطة وأن سياسة الولايات المتحدة أن تقف بثبات أمام أى مؤامرة شيوعية فالتساهل فيه خطورة الفناء كما اثبتت الأحداث دائما ثم أخذ يشرح بشيء من الصراحة مخاوفه بالنسبة لبعض رجال ميرو مع علمه بأنهم فى اجتماع تنفيذى • ففى تشيكوسلوفاكيا وبولندا والمجر وبلغاريا والبانيا كانت السيطرة على أجهزة الأمن ضرورية لوضع السلطة فى يد الشيوعيين كما أن السيطرة على أجهزة التعليم كانت ضرورية لتعزيز هذا النفوذ • والآن يتكرر نفس الشيء فى بورتوسانتوس • هل يستطيع ميرو السيطرة على رجاله ؟ علينا أن نصبر لنرى النتيجة • وحتى يحين هذا الوقت الذى يثبت فيه قدرته على السيطرة على رجال حكومته فلن تقدم الولايات المتحدة أى مساعدة وكرر تعبيره الذى صرح به فى نيويورك أن ميرو بدأ يحس بالألم ثم أضاف أنه يرغب أن تعرف اللجنة أن وزير المالية بورتوسانتوس موجود فى الوقت الحاضر فى واشنجطتون •

وقد بدأ الأعضاء القدامى الأسئلة لمجرد أداء الواجب ولم يكن سبب ذلك أنهم ينظرون الى الأزمات السياسية الخارجية بعدم اهتمام • ولكنا لو علمنا أنه فى الخمسة عشر عاما الماضية كانت كندا وكوستاريكا الدولتين الوحيدتين فى الأمريكتين التى لم تنذر فيهما اللجنة بأى أزمات خطيرة أما باقى دول العالم سواء فى أمريكا اللاتينية أو الشرق الأوسط أو أفريقيا أو آسيا فهناك دائما تقع انقلابات وأزمات خطيرة حتى أصبح آنذار اللجنة بوجود الخطر فى هذه الدول أقرب ما يكون الى طقوس دينيه تنهى فيها الصلاه مذكره باللعنة الأبدية •

لاحظ مساعد الوزير عضوين صغيرى السن من اللجنة منذ بدء الاجتماع وأحدهما يرقبة طول الوقت وعلى فمه ابتسامة ارتياب

وشك وقد مال على زميله مرتين هامسـا فى أذنه مما دعا زميله الى الضحك ولابد أن موضوع الهمس كان متعلقا بشهادة كامبل ٠

وساء كامبل أن عضوين فى اللجنة لايقدران المسئولية الأمر الذى لا يحتمله فبرغـم أنه يعتقد أن عنده ملكة الفكاهة وهى شىء ضرورى لأى سياسى وضمان لبقائه فى مركزه الا أن جدية اللجنة يجب احترامها وعادت ذاكرته الى أيام أن كان مديرا للمعهد ورغب الطلبة فى اقامة حفل بمناسبة عيد الميلاد وكان ضمن البرنامج فصل يمثل حياة وورث كامبل وقد سر كامبل من منظر يمثله كشـبح للسناتور جون شيرمان وهو يهدد رجال الصناعة فى الرور فى ألمانيا الغربية بلافتته تحمل قانون عدم الاحتكار ولكن عندما عرض منظر يمثل والدته وهى حامل فيه وفى شهرها التاسع وقد تملكها الخوف من ذئب على وجهه قناع يمثل وجه جوزيف ستالين تملكه الضيق فعداؤه للشيوعية ليس أمر للتندر بل أن فيه مقدرات ومستقبل العالم ٠ ولقـد لاحظ منظمو الحفلة بقدر غـير قليل من السرور أن مديرهم كف عن الابتسام فى هذا الجزء ٠

وبدأ أحد هذين العضوين السؤال قائلا :

« السيد مساعد الوزير » ألا ترى خطورة فى التوسـع فى تطبيق هذه المقارنات التاريخيه ؟ هل تعتقد مثلا أن الرئيس كيندى كان يرمى الى السماح لليساريين بالاستيلاء على السـلطة حين عين شقيقه أدوارد فى وزارة العدل ومكتب التحقيقات الفيدراليه ؟ »

ورد مساعد الوزير بلطف

« اعتقد أيها العضو المحترم أن تقاليدنا تختلف قليلا عن تلك التى تعرفها أمريكا اللاتينية هل تسمح لى أن أضيف أنك لابد تعنى كيندى آخر خلاف ادوارد ؟! »

وسرت موجة خفيفة من الضحك لصالح كامبل ولكن عضو الكونجرس عاد للسؤال دون اضطراب . « انى آسف فالبعض قد يقول أن افراد عائلة كيندى يتبادلون فيما بينهم ولكنى خبرنى اذا كانت هذه المقارنات غير حكيمة فلماذا تقول أن هناك مقارنة بين بورتوسانتوس وتشكوسلوفاكيا ؟ »

« لسبب بسيط ذلك أن الحزب الشيوعى كان ومازال يعمل بكامل قوته فى كلا البلدين كما اننا نعلم أن الهدف واحد لكليهما »

وضح من رد الفعل العام أن كامبل كسب هذه المرة أيضا الا أن عضو الكونجرس مثل الكثيرين من زملائه كان مثابرا ومصمما على استغلال كل المعلومات التى تيسرت له .

« هل لنا أن نقول : ان أهداف الشيوعية دائما متماثلة ؟ فمعروف أن خروشوف لم يكن موافقا على أهداف ستالين . كما أن الصين لا تتفق مع أهداف روسيا بل أن الصين نفسها منقسمه على نفسها فمتزعمو حركة الثورة الثقافية من أنصار ماوتسى لهم أهداف تخالف أهداف بقية الشيوعيين الآخرين والواضح الآن انه لا الروس ولا الصين يعتقدون أن كاسترو له أهداف على الاطلاق . فما رأيك ؟ »

وبدأ كامبل على غير ارادته بدأ واضحا الآن أن الشاب يحاول أظهار براعته . فأجاب بصوت زال عنه كل تظاهر بالتودد .

« اعتقد أيها العضو المحترم انك تعرف أو ينبغى أن تعرف أنه مهما كانت خلافات الشيوعيين مع بعضهم بعضا فالهدف العام لهم جميعا واحد وهو تدمير العالم الحر »

ولابد أن زميله قد رتب معه طريقة المناقشة فانه تقدم الآن للسؤال .

« عندما تقول يا سيادة الوزير أننا يجب أن نقف دائما بثبات وأن أى تساهل أو انسحاب سيستغل الى أقصى حد فانى أود أن

أعرف عما اذا كنت من الناقدين لسياسة حكومتنا فى أزمة الصواريخ فى كوبا ؟ فلابد أن تذكر أن كلا من حكومتنا وحكومة روسيا قدم بعض التنازلات وأن العالم قد امتدح هذا العمل من كلتا الحكومتين »

« اعتقد أن التاريخ سيظهر أن السوفيت هم فقط الذين تنازلوا ! »

وأحس مساعد الوزير أن الغضب على وشك أن يتملكه فكان لابد أن يتمسك بالصبر ليسيطر على أعصابه ·

« حسنا هل معنى ذلك أن السوفيت نتيجة لذلك قد قاموا بسلسلة من التنازلات مثل التى تتخوف منها الآن ؟ »

ورد كامبل بحدة

« ايها العضو المحترم انى موجود هنا اليوم لمناقشة سياسة الولايات المتحدة الامريكية وليس سياسة الاتحاد السوفيتى »

لقد ازدرد الطعم وأحس أن رده كان حادا وتأكد أن السؤال التالى سيكون عن بورتوسانتوس وانه لابد أن يمسك بزمام الموقف ثانيا وخصوصا وقد بدأت غرفة الاجتماع تأخذ جوا جديا فالاعضاء الذين كانوا يحدقون فى السقف أخذوا الآن ينظرون الى وورث كامبل عضوان ينتميان للأقلية كانا مشغولين فى حديث منافسة عن حملاتهما السياسية السابقة وأنصتا لما يجرى فى مقاعدهم وبدلا من التظاهر بالاستماع أصاخوا السمع ·

قال العضو الثانى

«انى أقدر أن اهتمامك اليوم هو بورتوسانتوس • وأنى أعرف مدى تخوفك انت ووزير الخارجية من خطر ميونخ أخرى • وحتى اذا وافقتك على أن الشيوعيين ليسوا منقسمين فواضح أنهم فى حيره • لذلك فانى لا أرى مانعا فى هذه الحالة أن نكون أكثر مرونه فقد قرأت فى الصحف أن هذا الشخص ميرو رجل صالح يرغب جدية فى النهوض بالتعليم والتقدم الاقتصادى وغير ذلك وانه قد تخلص من نظام حكومة بوليسية • أليس من الأوفق أن نخاطر قليلا ونساعد مثل هذا الرجل ؟ »

يحضر دائما مع مساعد وزير الخارجية فى مثل هذه الاجتماعات موظف من مكتبه خاص بالعلاقات العامة مع الكونجرس لم تكن مسئولياته كبيرة انحصرت مثل كتاب اللجنة فى التظاهر بالانتباه أن يقدم من حين لآخر-اسم عضو الكونجرس الذى يتحدث واسم ولايته والآن نظر كامبل فى الورقة التى دفعها الموظف امامه وقرأ اسم (ولايه ميسورى) •

« اننى اتمنى أيها العضو المحترم أن يكون لديك البرهان الذى يفوق برهانى • لقد ذكرت التعليم ومن الصدف العجيبة أنه قد وصلناتوا تقرير عن التعليم فى بورتوسانتوس فى ظل النظام الجديد والتقرير لم يكتبه أحد من موظفى الوزارة بل وضعه أحد كبار رجال التربية المحترفين ومن ولايتك أيها العضو المحترم »

ثم التفت الى رئيس اللجنة

« سيادة رئيس الجلسة انى لا أرى مانعا من ضم هذا التقرير للشهادة اليوم • ولو أن واجب اللياقة يقضى بأن استأذن قبل ذكر اسم صاحبه • والآن أرجو أن تسمح لى بقراءة بعض فقرات من تقرير هذا العالم الخبير الممتاز عن التعليم فى بورتوسانتوس وعن استغلاله فى الدعاية « الشخصية لوزير التعليم الحالى هناك »

انتهى الاجتماع بشكر مساعد الوزير الذى صـــافح رئيس اللجنة وخرج من القاعة وبرفقة عضو الأقلية وهو صديق قديم منذ أيام مشروع مارشال ودورة الكونجرس الثمانين • اعتذر له كامبل عن دعوة الغذاء بحجة العمل وسارا معا نحو السيارة • كان الآخرون على الدرج وشمس الخريف تلقى أشـــعتها الذهبية على الكابيتول بلانزا • قال الصديق :

« لقد كنت قاسيا على صديقنا الصغير • ومن حسن الحظ أن كان معك هذا التقرير ففيه معلومات جديدة مثيرة يجب أن يعرفهـا الشعب الأمريكى »

« لا أستطيع التصريح بالنشر فالاجتماع اجتماع تنفيذى وأنت تعرف تمسكى بالقواعد »

« لا أختلف معك فى هذا اللهم الا فيما يخص مصلحة الرأى العام • »

الفصل الرابع عشر

عاد وورث كامبل الى مكتبه حيث علم من مســـاعده سيمس جونز أن وزير المالية أرسل مذكرة مهذبه معتذرا فيها عن عدم لقاء مساعد كامبل وانه سينتظر الفرصة التى تسمح لمســـاعد وزير الخارجية لمقابلته وأنه مقدر تماما كثرة مشغولية المساعد • وجلس كامبل ليراجع كومة البرقيات والمذكرات المرصوصة فوق مكتبه • وكان قمتها برقية طويلة من جوهورد • كانت كما قال جو معلومات اضافية عن زيارة وزير المالية •

عرف عن جوهورد أنه اذا ملك أمرا ناحية عواطفه نسى القواعد المعتمدة للمراسلات الدبلوماسية تلك التى تحتم استعمال صـــيغة المبنى للمجهول ، وبدء كل الجمل بضمير الغائب ، وتجنب العبارات الخاصة ، والابهام المدروس ، وعدم الجزم فى الاستنتاج ما لم يكن هناك ما يبرره •

بدأت برقية جوهورد مطابقة للقواعد حتى اذا قربت من النهاية ظهر عدم الاعتناء فذكر مثلا :

« ما لم نتحـــرك بسرعة فان الجنرالات ســـيلقون بميرو خارجا وبدلا من رجل يحاول تحقيق المهمة الواجبة يحتمل أن نواجه حكومة ديكتاتورية عسكرية متأخرة أخرى » •

كما كانت هناك مذكرتان أخريان تتعلقان ببورتوسانتوس - كتبت الأولى على أوراق وزارة الخارجية وقد وقعها السفير بيثويك وهذا نصها :

« أطلعت على برقيـــة القـــائم بالأعمـــال فى بورتوســانتوس • ولا يمكن قبول محتوياتها كتقدير حقيقى للموقف كمـا لا يجوز اعتبارها كرأى ســليم لمصــالح الولايات المتحدة أو مصــالح العــالم الحر فى بورتوسانتوس • كما أن رأيه فى ميرو بصفة خاصة غير دقيق وعدم نقده له فى غير محله • ومن خبرتى مع مستر هورد أبان خدمتى هناك كسفير فان حكمه على الأمور لا يعول عليه فى معظم الظروف » •

أما عن الرســالة الأخرى فكانت مغلقة ومشمعة وعليها خاتم وكالة المخابرات المركزية وقد كتبت محتوياتها بطريقة رسمية بعكس برقية جو فى جمل برقية مقتضية تكاد بالكاد تفهم • وهى أيضـا تذكر أن ميرو يواجه فى الوقت الحاضر مشــاكل عديدة • وأن رأى المخابرات أنه لن يتسنى له البقاء طويلا فى منصبه ما لم تعد العلاقات الدبلوماسية بالكامل وأن تقدم له معونة سريعة • وتجنبت البرقية تقديم أية اقتراحات فيما يجب أن يتبع • ولو أنها قدمت تقديرا للموقف بأنه فى حالة زوال ميرو فسيكون البديل حكومة عسكرية ديكتاتورية وأن سياستها لن تكون متمشية مـع الأهداف المعهودة للسياسة الأمريكية بقدر أكبر من سياسة الحكومة الحالية •

وبينما كان كامبل غارقا فى حل طلاسم الرسالة دق السكرتير ليقول : ان وزير الدفاع على التليفون • وفى واشنجطتون بروتوكول للمحادثات التليفونية وهذا البروتوكول لم يوضع له تشريع كتابى ، ولكن التمسك به أصبح أشد الزاما من تشريع وضعه الميديون أو

الفرس أو الامبراطورية الموحدة لكليهما . ويقضي هذا البروتوكول بأن الموظف الأدنى فى المرتبة ينتظر على السماعة عند طلبه حتى يرد عليه الموظف الأرفع رتبة أو منصبا ويقوم على تنفيذ هذا البروتوكول والمحافظة عليه فئة من السكرتيرات الماهرات اللاتي يستطعن أن يعدن من الذاكرة وبدقة وسرعة تفوق أية آله الكترونية تسلسل رتب ومناصب كبار موظفي واشنجطتون والسبب فى ذلك راجع الى أن مركزهن فى سلم الترقى فى واشنجطتون مستمد من درجة ومنصب رؤسائهن .

كلهن يكرهن وزير الدفاع الذى يؤثر أن يظل على الخط بينما تطلب سكرتيرته الرقم وأحيانا يطلبه هو بنفسه . واعتقاده بأن هذا ادعى للكفاية كان تهديدا للبنيان الاجتماعى كله .

رفع الوزير السماعة وطلب من سكرتيرته مساعد وزير الخارجية كامبل وانتظر على السماعة كالعادة حتى سمع صوت مساعد الوزير .

« هالو وورث . لقد وصلتنا هذا الصباح برقية تستحق الاهتمام من الشاب الذى تركناه فى بورتوسانتوس بعد سحب بعثتنا واسمه جونز اليس. وهو ملم باللغة الأسبانية ويقول رجالنا أنه شاب زكى . وهو يذكر فى رسالته اننا يجب أن نعترف بميرو فى الحال وأن نسارع بمده بمعونة كافية والا يستولى الجنرالات على الحكم .

وفكر كامبل قليلا والوزير يتكلم أولا ليقدر الموقف وليرد ثانيا على الوزير . ولكن ذلك لم يستغرق طويلا :

« انني أعتقد يا سيادة الوزير أن البعثة الباقية هناك لابد أنها أجمعت أمرها على أمر واحد . فهذه هى الرسالة الثالثة التى أبلغ

بها فى مدة الخمس عشرة دقيقة الأخيرة اليوم والتى تذكر نفس الشيء وتتشابه فى اللغة ! »

« حسنا • أننى فقط وددت أن تعرف محتويات الرســـالة تليفونيا فلابد أنك سمعت كرهى للمكاتبات الرسمية وكمية الأوراق التى تتحرك هذه الأيام • لقد اعتقد رجالى أن الرســـالة تستحق الاهتمام لانه من النادر أن يأخذ جنودنا صـــف الرأى الحر فى أى مناقشة أو أزمة • »

لقد استجمع كامبل الآن تفكيره :

« هناك ما يقلقنا فى بورتوسانتوس يا ســيدى الوزير فبعد استدعائنا للسفير من هناك اضطررنا للأسف الشــديد أن نترك مجموعة صغيرة من موظفينا صغار السن عديمى الخبره وعلى العموم سيادة الوزير يسعدنى أن أبحث معك الموضوع كله يوما ما »

« فى أى وقت تشاء • لقد ظننا أن رسالة هذا الشاب ذات أهمية • سأكون فى انتظار محادثتك »

فى واشنجطتون عندما يقال « سأكون فى انتظار محادثتك » فان ذلك يعنى أن الموضوع لن يناقش بعد ذلك اطلاقا •

وأخذ كامبل يفكر فى رجال البعثة فى بورتوسانتوس وانهم لو كانوا أكثر نباهة لآرسلوا برقياتهم بفاصل يوم أو اثنين أو غيروا فى نصوصها ولكنه تذكر أن الشخص اذا كانت عيونه مغماه بالنسبة لموضوع فغالبا ما يكون رد فعله ساذجا ولكنه لم يبعد عن فكره أن هؤلاء الشبان قد تسبب له بعض المتاعب • فهى أهل لأن تشجع الآخرين ثم تذكر أنه لا يجدر به أن يتكلم عنهم كشباب فذلك يضايق الشبان ثم ان جوهورد بلغ من العمر ما يكفى ليحسن عملا ـ انه فى مثل سنه •

تبادل مندوب حكومة بورتوسانتوس في واشنجطتون ووزير المالية حديثا كئيبا قطعته مكالمة تليفونية اشاعت بعض السرور في نفس الوزير . كان المتحدث ســـفير الولايات المتحدة لدى منظمة الدول الامريكية الذى رغب في دعوته معه في منزله في جورجتون وقد قبلها شاكرا .

ترجع معرفة السفير لوزير المالية الى عام ١٩٤٤ حين اجتمعا في مؤتمر « بريتون وودز » كما استضافه وزير المالية في فلوريس بعد ذلك حين كان الســفير دون عمل أيام ايزنهاور وفي رحلة في أمريكا اللاتينية وركبا ســـويا فوق ظهور الخيل في رحلة لأرض المراعى في الجبال استقبله السفير شخصيا عند الباب ودخل به الى قاعة استقبال واسعة مريحه تطل على شرفة كبيرة من الطوب الأحمر أمامها مباشرة حديقة جميلة .

وبمجرد أن جلسا قدم خادم عجوز حاملا الشراب وقطعا من الجبن وشرائح من الجزر ثم تركهما وهما يتحدثان عن الماضي وذكرياته واخيرا بدأ الســفير الحديث عن مهمة الوزير . « ان لك يا عزيزى اصدقاء في واشنجطتون ولكنهم للأسف ليسوا بالأشخاص ذوى النفع في قضيتك . الحقيقة أن هؤلاء الأصدقاء لا ينفعون . الشبان في البيت الأبيض معك ولكن المفروض انهم يســـاعدون الرئيس ولا يديرون السياسة الخارجية وهم لحد ما لا يديرونها ورجال وزارة الخارجية الشبان متعاطفون معك ولكن لأنهم في الدرجات الصغرى فمدى نفوذهم محدود وقصير . وبعض رجال المعونة الخارجية يعطفون على قضيتك أيضا ولكن المسئول عن تنسيق عملهم وورث كامبل أى أنهم في الدرجات الصغرى وبعض رجال المخابرات معك ولكن المفروض أن يتبعوا الخط الرسمي وأنا معك ولكن سنى يضـــعنى أســـفل الدرجات ! »

« لقد برعتم فيما أســـميه الدرجى ولابد أن حلفاءكم الألمان

يتحدثون بفخر وأعجاب عن الضبط والربط والنظام فى البيروقراطية الأمريكية • اخبرنى لماذا أجد هذه المصاعب فيما تسميهم الدرجات العليا ومن بينهم وورث كامبل •

« الحيطه والحذر • فهم يودون أن يتأكدوا تماما من أن حكومتكم لاتخضع لأى نفوذ معاد »

« يقصدون الشيوعيين • أليس كذلك ؟ »

« نعم الشيوعيون • هيا بنا نأكل »

وجلس الشيخان على طرف مائدة الطعام الكبيرة وأكلا بشهيه وعادا يتذكران الماضى أو حادثين من أيام اللقاءات الأولى • وتساءل الوزير عما جرى لهنرى مورجنتاو ومارنير اكلر وملتون ايزنهاور وتوم كونالى ووالتر جورج وهنرى دلاس • ثم عاد للموضوع الذى يشغل ذهنه :

« هل يعتقد زملاؤك أن رئيسى الصغير السن شيوعى • أو الجنرال بيريز أو أنا ؟

لقد سمعت ذلك عن ريان ولكنه يقضى معظم وقته الآن فى تعليم الأطفال الحروف الأبجدية ولاشك أن هذه مهنة لا خطر منها لرجل ثورى •

« يجب يا صديقى أن لاتخلط بين وجود الشيوعية ، والخوف منها • انى أعيش فى هذه المدينة أربعين عاما وقد خرجت بنتيجة انه لا يوجد هناك رابط بين الأمرين •

« لماذا كل هذا الخوف من شبابنا الصغار • اعذرنى اذا ألححت فى السؤال فلابد أنك تدرك السبب »

« شبابك الصغار كما تحب أن تدعوهم ليس هناك خوف منهم •

أما الخوف فمن العواقب التى قد تنجم عن عدم تقدير هؤلاء الشبان التقدير الصحيح فهنا جريمة لاتغتفر وهى أن يسىء شخص الحكم على آخر ويتضح فيما بعد أنه شيوعى وهنا يقع عقاب لا رحمة فيه ولذلك تجد أن الخوف من أن تكون مخطئا يجمد الفكر والحركة لدرجة انى أظن فى بعض الأوقات أن الشيوعيين هم الذين ابتدعوا ذلك عملية عسل المخ أولا ثم يجمدونه ثانيا »

ورد وزير المالية

« ان العالم يزداد تعقيدا كل يوم · أخبرنى بماذا تنصح ؟ »

« عليك أن تتعلق بالأمل وأن تحاول أن تجتمع برئيس الجمهورية »

« هل يمكن ترتيب ذلك ؟ »

« بصراحة · أشك فى هذا »

وانجرف الحديث ثانية عن روزفلت · وحان ميعاد عودة وزير المالية الى سفارته حيث يقيم وقد اعتذر بأدب عن عرض السفير سيارته أو اقتراح بتأجير سيارة وسائقها طوال مدة اقامته · كان فى ذلك راحة له وقليل من النفقات ولكنه يعلم أن اقتصاده سيزيد من شقاء زوجة المندوب التى بدا تماما انها لعينة وذكر أنه يفضل المشى خصوصا وأن المسافة ليست بعيدة وقد بدأ الجو يبرد قليلا مما يشجع على قليل من الرياضة ·

ولشخص تعود على رثاثة المبانى المتهدم أكثرها فى أى مدينة من مدن أمريكا اللاتينية وعلى فوضى النباتات الاستوائية وعلى أسماك الفقراء المعدمين فان واشنجطتون تبدو له فى هذا الوقت مدينة فخمة نظيفة مرتبة فى مبانيها وحدائقها وأشجارها منظمة وخصوصا جورجتاون بطلائها الجديد وواجهاتها المرتفعة وأحس بشىء من السعادة

والسرور • ولكنه • عاد يفكر وهو يسير أن الأمريكيين لايتركون أمورهم في أيدى رجال كرماء ذوى مبادىء كصديقه السفير ولكنهم غالبا رجال قساة محدودو الفكر لايتقبلون أو يقتنعون بأى رأى حديث وهؤلاء هم الذين يتمتعون بالسلطة والنفوذ • والتعبير الحديث عن هؤلاء انهم « صلبو الانف » وتذكر أن أول مرة سمع عن هذا الاصطلاح كان فى النسخة اللاتينية من مجلة «تايم» وأن كلما كانت أنف الشخص صلبة كلما كان مركزه ونفوذه كبيرين !

قد يقال : ان لاغنى عن هؤلاء الفئة من الناس وأنهم يحكمون حكما صحيحا على الأمور وقراراتهم ثابتة ولكن الغريب أنه فى غالبية الأحوال يكون هؤلاء الناس ذوى خلق سيء ويعلم الأمريكيون هذا فلذلك فهم يحتفظون بقليل من الرجال العقلاء دمثى الخلق والمهذبين ليخففوا من الصدمات التى يسببها الآخرون وانهى الوزير تفكيره بأن مشكلته ليست مع دمثى الخلق ولكن مع « صلبى الأنف »

أحست مسز كنت بوعكه اذ هى مزمنة المرض بالتهام العظام• وهى دائمة الحنين الى مسقط رأسها • وبسبب مرضها وحنينها يندر أن تغادر شقتها الصغيرة فى ارلنجتون وجعلت تسليتها الوحيده مشاهدة التليفزيون • وكثيرا مادفعت مسز كنت هذه زوجها الدكتور كنت الى التفكير فى العودة للسكن فى واشنجطتون •

وقد سألها كما يحدث كل ليلة حين يهم بالجلوس لتناول العشاء معها •

« ماذا فى الأخبار الليلة ؟ »

« اذيع أن أحد كلاب الرئيس مريض »

« وغير ذلك »

« لا شيء هام • خطبة لنيكسون • آه لقد كنت أن أنسى • لقد

اكتشفت مؤامرة شيوعية فى هذه الدولة التى حضرت منها أخيرا ٠ اقصد بورتوسانتوس »

« مؤامرة شيوعية ! أخبرنى ماذا حدث ؟ »

« المفروض انهم سيطروا على التعليم هناك ٠ لقد أذيع ذلك فى جلسة مجلس الشيوخ »

« هذا هام جدا ٠ هل أذاعوا تفاصيل أخرى ؟ »

« يلوح أن شخصا أمريكيا قد عاد أخيرا من هناك وأنه هو الذى اكتشف المؤامرة كلها »

وبينما كان الدكتور كنت يشرح لزوجته أنه هو البطل الذى اكتشف هذه المؤامرة اغرورقت عيناها بالدموع تأثرا من بطولة زوجها وأخبرته انه لابد من أن سبب عدم ذكر اسمه أن التقرير سرى ٠

وقد تكرر فى اليوم التالى ذكر التقرير ومحتوياته فى غالبية الصحف دون ذكر اسم كاتبه ٠ ورغم الاختصار فقد ذكروا جوهره٠ لقد شعر كنت طوال المساء بسرور لأن اسمه لم يذكر وجال بخاطره هو تيكر تشيمبرز وأوراق بمبكن وما أدت اليه ٠

الفصل الخامس عشر

بعد عدة أسابيع من سقوط مارتينيز خطر لورث كامبل أن يتقصى أخبار ابن الدكتاتور مارتينيز • لم تكن في ذهنه في هـذا الوقت أى أفكار أو خطط معينة ، ولكنه كرجل سياسة ، يعلم أن الولايات المتحدة في علاقاتها مع الدول الصغيرة التى تعتمد عليهـا تستطيع غالبا تحطيم سياسى فيها ولكن ندر أن كان في مقدورها أن تصنع واحدا ان لم يكن متعذرا • وليس هناك أشد خطرا فى العواقب من محاولة عقيمة خاطئة فى صناعة هذا البديل ولا أجر هنا للمجتهد فالاجتهاد فى عمل المعقول لا فى الاسفاف ومع ذلك فقـد أحس كامبل بأنه اذا كان ماديرا وريان وآرجون الداهية يسببون تهديدا للعالم الحر يتحتم احتواؤه فلا بد من أن يعـد بديل لميرو • لم يكن يكفى أن يقال أن البديل فى أمريكا اللاتينية بل أكثر من بديل موجود • انما ينبغى فى ظرف ما أن تذكر الأسماء • الجنرالات القدامى لا يصلحون فمعاهدة التحالف الأمريكية (الأليانسا) تنص عـلى مناهضة الدكتاتوريات العسكرية • ومهما قيل فى قيمة ذلك من الناحية العملية ومن أن أمريكا اللاتينية فى حاجة الى النظام فذلك عهد ينبغى الوفاء به وأى عودة للحكم العسكرى المفتوح يتعين عدم تشجيعهـا •

كان الفتى مارتينيز مدنيا وأى اتجاه نحوه سوف يثير ثائرة

العاطفيين من أحرار الفكر وسوف تهاجمها الصحف على الأقل لفترة · وربما تكون هذه الاعتراضات حاسمة · ولكن لا بد من التفكير أيضا في حلفاء مارتينيز وأصدقائه في الكابتول الذى سيسرون من ذلك وخصوصا وانهم يمثلون قوة يعتد بها كما أنه لا مفر من الاعتراف بالحقيقة من انه من عائلة أعطت حكما مستقرا وليس شيوعيا لبورتوسانتوس لمدة ثلاثين عاما مثله مثل الجنرال العجوز سموزا وأولاده الذين حكموا نيكارجوا حكما قويا ثابتا لمدة طويلة جدا · ربما كانت صورة الفتى مارتينيز التى رآها منشورة فى احدى الصحف فى اليوم التالى للثورة هى التى وضعت هذه الأفكار فى رأسه وهو لم يناقشها مع أحد فيما عدا أشارة عابرة لسيمز جونز · ولم يكن يتوقع انها سوف تؤدى الى شىء ومع ذلك فلا بأس من الاطلاع ·

هناك بعض الأشخاص الذين ينتقلون من طقم من الأصدقاء الى طقم آخر حسبما تطوح بهم أعمالهم ومعاشهم · وهناك القلة الوفية التى تتمسك دائما باصدقائها القدامى مهما حدث وورث كامبل من هذه الفئة بل يبالغ فاذا مضى وقت دون اخبار من أحد أصدقائه سأل هو عنه واذا استثنينا واجباته التى يقتضيها منصبه الرسمى فان حياته الاجتماعية العادية تدور بين هؤلاء الأصدقاء ·

وشاءت الصدف ليلة كان يتناول العشاء فيها فى مطعم فرنسى جديد رشيق اسمه «القوقعتان» مع صديق ناجح ترجع معرفته به الى أيام برلين ولوسيوس كلاى ويعمل الآن محاميا أن رأى سفير بورتوسانتوس السابق يحيى شابا صغيرا على وشك مغادرته فاستأذن كامبل من صديقه وتقدم للسفير محييا سائلا عن صحته وأحواله ثم وجه سؤالا حذرا للسفير عما اذا كانت لديه أى معلومات عن مارتينيز الصغير وأجاب السفير بحماس بالغ انه شاب جم النشاط مجد · شغوف بالدرس بحاثة · كثير الشبه بوالده وهو وعلى حد قول الأمريكيين « قرة عين والده » ثم أضاف أنه لم يقابل مارتينيز

من قبل ولكنه يعرف أن الكثيرين في بورتوبسانتوس يعرفونه شخصيا . كما انه رغم أن أن الجنرال بيريز قد انضم الى ميرو الا أنه رجل طيب وهو فيما يظن والده في العماده . وأضاف السفير انه اذا كان مساعد الوزير مهتما اهتماما حقيقيا ففي استطاعته أن يقوم باستعلامات كافية يوافيه بها فيما بعد . وأخيرا رجا مساعد الوزير أن يجد له عملا في بنك الدول الأمريكية أو البنك الدولي أو صندوق النقد الدولي اذ أن رجلا في مثل خبرته لا يجب أن يبقى عاطلا بل أن واجبه يحتم عليه استمرار خدمة الانسانية . وهنا سارع كامبل ليحد من حماس السفير وانه لا حاجة للاستعلام عن الفتى في فلوريس وليؤكد له أن استقصاءه عن مارتينيز الصغير لا يزيد عن اهتمامه بشاب من أمريكا اللاتينية يدرس في الولايات المتحدة وخصوصا اذا كان في مثل مكانته . وتجاهل كامبل كلية الاجابة على طلب السفير ايجاد عمل له كما تجاهل من قبل غمزة عين قصد بها التعريف . ومن باب الحرص كتب كامبل مذكرة في اليوم التالى عن المحادثة مؤكدا فيها اهتمامه المحدود وأودعها الملف . ولم يفكر بعد ذلك في المقابلة ولكنها ذكرته بأن يكتب لصديق آخر قديم من أيام برلين ويعمل الآن أستاذا للعلاقات الدولية في جامعة ميتشجان فأرسل له رسالة شخصية يسأل عن مارتينيز الصغير .

ولم تمض بضعة أيام حتى كان الرد على مكتبه ضمن بريده اليومى .

« لقد كان من الحكمة أن ما طلبته منى كان في رسالة شخصية خاصة فالجميع هنا في منتهى الحساسية والحيطة نحو أى سؤال عن أى طالب في الجامعة نتيجة القيل والقال عن تعاون رجال ولاية ميتشجان مع وكالة المخابرات المركزية بل أن الجميع يحجم في الوقت الحاضر عن أى تعاون مع أجهزة الحكومة وقد رفض بعض زملائى

الادلاء بأى بيانات عن الطلبة أو الأساتذة لرجال المباحث الفيدراليـة ·

أما بخصوص مارتينيز الصغير فرغم أنه جاد فى دراساته ومستواه أعلى من المتوسط فانه لم يترك أثرا كبيرا فى المحيط الجامعى وهو يوصف بالهدوء · ولكن نشاطه يبرز فى الحلقات الدراسية ·

كما علمت انه يشارك فى نشاط الطلبة والمناقشات على مستوى عال وبأسلوب هادىء هذا ما عرفته عنـه بصفة غير مباشرة · وعلى العموم فلا شك أنك تعرف أن الطلاب فى هذه الأيام لهم الكثير من الآراء المتطرفة بل لا بد أنك كنت متطرفا فى عهـدك وهو لا يشارك فى النشاط الرياضى » ·

دخلت سكرتيرة مساعد وزير الخارجية الى مكتبه منسابة من فتحة بسيطة للبـاب وهى طريقـة تتقنها جميـع السكرتيرات فى واشنجطتون· وهذه السكرتيرة بالذات لن تنس يوما منذعدة سنوات حين كانت تعمل فى وزارة التجارة وقد فتحت باب مكتب رئيسها دفعة واحدة لتعلنه عن وصـول وفد قادم للاجتماع به · وفوجىء الجميع ومعهم السكرتيرة برؤية مدير مكتب التجارة الداخلية والخارجية وهو يربت بيده على مؤخرة عـارية تخص رئيسـة تحرير جريدة « ستاتيستكال ابستراكت » ·

ظلت ذكرى هذه الصورة تطاردها كالشبح حتى هذه اللحظة وهى تعلن « سيدى الوكيل أن الشخص المحدد له الساعة ١٠ر٥٥ موجود فى الخارج » « سأخرج بنفسى لمقابلة الوزير » ·

* * *

سكبت الشمس أشعتها ، شأنها عادة ، فى صالة الطعام فى الدور العلوى · كان بيل أودونيل يتناول طعام الغذاء مع صديق يمكن القول بصدق انه متآمر البيت الأبيض · كان ذلك الصديق هو المساعد الأكاديمى السابق لووث كامبل لم يجلسا على المائدة الوسطى وانما فى احدى الموائد الجانبية الصغيرة المخصصةلشخصين·

هناك فى واشنجطتون مدرستان للفكر فيما يخص أنسب مكان لتناول الطعام مع شخص أو صحفى يشترك فى تدبير مؤامرة ضد رئيس ما ·· مدرسة تنصح بنادى أو مطعم غير معروف أو فى مكتب الشخص ذاته · وخطر هذه المدرسة أنه توجد دائما الفرصة أن يلحظهما أحد أو يستمع لحديثهما شخص أثناء مروره أو يدخل الرئيس فجأة الى مكتب مرءوسه دون استئذان فتتضاعف الشبهة حينئذ لان ظروف الاجتماع من الأصل تلوح عليها الشبهة ·

وتفضل المدرسة الأخرى أن تبعد الشبهة تماما بأن يتم كل شىء علانية ، وكان بيل أودنيل من أنصار هذه المدرسة · ولو أنه عمليا لم يذهب الى حد تناول الطعام مع شخص يعمل لدروبيرسون · وكان هناك الى جانب ذلك قدر من الحماية الاضافية فى الظرف الحالى اذ سوف يذهب الرجلان الى اجتماع مشترك ·

لم تكن الصالة مزدحمة فهنـاك فترات من الهدوء التام فى السياسة الخارجية الأمريكية وهو شىء قد يصعب على انسان من الخارج تصوره · ومع ذلك فما يزال ضروريا أن ترقب العيون العالم ، عين ترقب قبرص وأخرى سيلان وثالثة تدور حول العالم الى بناما مثلهم مثل حارس معبر للسكة الحديدية دائما موجود حتى ولو لم تكن هناك قطارات !

تبلغ حالة الخمول العامة فى مثل تلك الأيام حدا يجعل الموظفين يبقون فى مكاتبهم تحرجا واخفاء للوضع · فى مثل هذه

الاوقات تقرأ بعناية التقارير الواردة من بومباى عن المنطقة القنصلية ومن ولايات شان عن الاضطرابات المدنية فيها والواردة من هونج كونج عن الخطط البعيدة المدى لحل مشاكل الماء والتقارير الخاصة بانجازات وفد الولايات المتحدة في اليونسكو .

وسأل بيل أودنيل

« هل يمكن ترتيب مقابلة له مع الرئيس ؟ »

« لا » كان الرد قاطعا وقصيرا . كذلك تعلم أن وجوده في البيت الأبيض يقلل من الحاجة الى التبرير والشرح .

« اذن يمكننا اعتباره وميرو مقضي عليهما . فمن المؤكد أنه لن ينال شيئا من كامبل »

ظهرت الخادمة الى جانب المائدة ووضعت طبقا أمام كل واحد منهما وهى تقول بلهجة التأكيد «طبقك الخاص ياسيدى» وأخرجت من جيب زى العمل ورقة صغيرة قربتها من منظارها للفحص ثم استدارت وانصرفت . فى اللون والتصميم والترتيب بدا كل طبق كاعلان لسويفت وشركة فى الصفحات الملونة لمجلة نسائية - لقمة الخبز المقمر نصف تقمير - شريحة اللحم الداكنة - نزر من الصلصة - شريحة رقيقة من الطماطم الأحمر - وريقة مجعدة من الخص الأخضر الفاتح . لم يكن مشهيا تماما ، ربما من أجل هذا لم يوله أحد الرجلين اهتماما .

« ماذا حدث هذا الصباح ؟ »

« لقد سجلت ملاحظاتى لعمل مذكرة عما دار فى الاجتماع . وستكون مختصرة وفى صلب الموضوع وبلغة بليغة ولكن للأسف لن يقرأها أحد ! ما أسعد الملفات !

كان رئيس فى غاية الأدب كالعادة . ولولا حول عينيه وراء

نظارته التى أعطته نظرة سلحفاة لأمكن وصفه باللطف والظرف ٠ كان ودودا فى غير أنس مع ظل من التنازل وسلبيا غاية السلبية ٠ ذكرنى ذلك باجتـــماع بين الســناتور فولبريت ومارشال نيجوين كاوكى ! »

« سمعت اننا يجب أن نعنى بجوهر الدبلوماسية عناية أكبر من عنايتنا بأسلوبها »

«علاقة الهاوى التى لا تخيب ٠ لقد كان هناك الكثير من الجوهر وكله مألوف وكله ردىء ــ نحن لا نعطى المعونة كالزام أو كاحسان أو لأننا نرغب فى صداقة الآخرين ٠ نحن نعطى لأننـــا نهتم جدا بحماية الديموقراطية وتأمين العالم الحر يجب أن لا تنسى اننا قلقون لأن حكومتكم يسيطر عليها فيما يبدو زوج من الحمر ال ٠٠

اعتقد أنه عبر عن ذلك بقوله رجلين لا نثق فيهما من وجهة نظرنا ــ هذا فيما يتعلق بوزير التعليم ووزير الداخلية ٠ طالما هما فى منصبيهما فالولايات المتحدة لن تغير سياستها ، وبصراحة لن تكون هناك معونة مالية أو تأكيد لحصص السكر وطبيعى أننا لن نقدم سلاحا لحكومة لا نثق بها تماما ! »

« كيف تقبل ما اسمه ؟ هذا الحديث »

« انه مواطن شيخ شـــجاع ٠ لقد رد أن ميرو وماديرا ليسا شيوعيين وأن ماديرا وريان هم أكثر اثنين شعبية فى الحكومة وقد كون الشــعب عنهما صـــورة لمن لا يكل عن العمل لانجاز وعوده ودونهما من يبقى مع ميرو ؟ الجواب لا يوجد أحد يثق فيه الشعب ولا تنس أن الشـــعب بعد هذه السنين الطويلة يود انجـاز بعض الوعود واذا سلمنا بامكان التضحية بمـــيرو فكيف نتصور امكان التضحية بالأشخاص الذين يتمسك بهم الشعب واذا ذهبا فسيتعين على ميرو أن يعتمد اعتمادا كليا على الجنرالات وليس سرا أن الجنرالات

ليسوا أقوى مؤازريه • كما أشار الى احتمال حدوث ردود فعل فيما لو خضع ميرو لضغط اليانكي ـ كما يسمونه كان لبقا »

« كيف كان رد فعل كامبل ؟ طعامك برد »

« كان هادئا • أو على الأقل أعطى صورة الرجل الهادىء وقد نجح في ذلك تماما فقد أبدى ملاحظة أن الوزير أغفل صلات ريان السياسية وأن لذلك مغزى لم تفته ملاحظته كما أضاف بلطف موضوع استغلال ريان وزارته لدعاية شخصية الأمر الذى ذكرته الصحف هذا الصباح نتيجة لتقرير هذا الوغد العجوز من ادارة المعونة • بل صور له انه لن يمر وقت طويل حتى ينطلق ملايين الاطفال الشيوعيين من هذه الاحراش حقول القصب • وهذا أمر لا يتم عن تقدير للمسئولية وقد فوجىء الوزير بهذه الفكرة الجهنمية حين سمعها واضطر للرد على مساعد الوزير أن هذا أمر بعيد الاحتمال وانه لن يحدث أبدا • ثم تكلم مساعد الوزير عن موضوع ممتلكات مارتينيز »

« تعني اذا كان في الامكان تأميمها ؟ »

« ليس ذلك بالضبط • فقد بين مادينا أن الممتلكات قد أسيء ادارتها وهذا حقيقي وقد ساءت حالتها تماما وهذا حقيقي • وقد يرغب ميرو في الاستيلاء على الاراضي وتقسيمها وتوزيعها على الفلاحين حسب وعده لهم • أما الباقي ويشمل ذلك عمليات السكر والبن فهو يرغب في بيعها لحاجته للمال • وينطبق ذلك على المؤسسات التجارية والصناعية وأراضى البناء أليس ذلك معقولا ؟ »

« نعم »

« العكس هو الصحيح واني يا صديقي انصحك حين تحس بالملل من تملق أولئك الذين يحبونك لنفوذك عند رئيس الجمهورية أن تسرع وتعود الى مهنة التدريس فان تفكيرك ليس فيه الدهاء

المطلوب لهذه العاصمة • وفى برنامج التحالف من أجل التقدم نحن مرتبطون بأن يكون التطور الاقتصـــادى فى ظل مشروعات خاصة حرة • ونحن نبنى الثقة ونشجع تدفق رءوس الاموال الخـاصة • فاذا سمحنا بالاستيلاء على الاراضى المملوكة للأفراد والمنشآت الخاصة فكيف يكون رد فعل شخص مثله يفيد روكفلر ! وماذا يقول كيث فاستون والأهم من ذلك ماذا ســيقول السناتور بورك هيكنلوبر ؟ هل تعرف ـ تعديل هيكنلوبر ـ ؟ »

« ليس تماما »

« انى أحس بالاشفاق عليك ! فحتى هذا الصباح كنت نفسى فى حيرة • وباختصار يقضى تعديل هيكنلوبر بقطع جميع الاعانات عن أية دولة تؤمم أىممتلكات أمريكية دوندفع التعويضات المناسبة• ويلوح أنه قبل سقوط مارتينيز أو بعد سقوطه مبــاشرة فانه قد سجل جميع أملاكه فى بورتوسانتوس باسم ابنه الذى يدرس فى الولايات المتـــحدة فى آن بور بولاية ميتشجان وهو ليس بمواطن أمريكى ولكن لكونه مقيما فى الولايات المتحدة فله حقوق التوطن وبالتالى فهو يدخل تحت حماية القانون الامريكى »

« هذا جنون »

وظهر فى نبرة الزائر من البيت الابيض نفاد صبره وملله من تهكم أودنيل فأضاف «دعنا نبحث هذا الموضوع بجدية • ألم يستول مارتينيز على هذه الممتلـكات عن طريق السرقة • والبيع الاجبارى والاختلاس أو سم ما شئت ؟ »

« انى أتفق معــك أن تطبيق تعــديل هيكنلوبر على ممتلكات مارتينيز كلام فارغ ويعرف كامبل هذا جيدا وتطبيقه على مارتينيز الصغير نتيجة لأوامر مباشرة من كامبل للادارة القـــانونية لاعداد فتوى قانونية • هكذا رجال القانون وقد قابلت صباح اليوم الموظف

الذى أعد الفتوى وهو يغادر مكتب كامبل وكان ظاهرا عليه أعراض الخجل · طبيعى ولـكن مدينا لا يعرف ذلك وكامبل يعرف أنه لا يعرف وكامبل يعتقد أن من المشروع استخدام أية حجة أو وسيلة فى حوزته ضد أى عمل أو شخص يعتقد هو فى عدم حكمته أو انه معاد للولايات المتحدة · وانك لا تكافح النار بالنار ولكنه يكافح الخطأ بعدم ذكر الحقيقة ! أما أن هذه الممتلكات قد سرقت فقد ذكر مدينا ذلك »

« وماذا كان رد كامبل ؟ »

« موده وذوق وتنازل فقد ذكر أن مدينا لا بد يعرف أن الطرق التى استخدمتها بعض العائلات الصناعية فى الولايات المتحدة لجمع ثورتها ليست فوق الشبهات ولكن ذلك لا يعنى اننا نستطيع الآن الاستيلاء على ممتلكات روكفلر أو ميلونز أو جوجنهايم أو جوله هوتينى أو افريل هاريمان أو جوزيف كيندى مثلا ! ألا تعتقد أن منطقه مقنع ؟ وقد أحس مدينا بالانكسار والأسى ·

« انى أعتقد اذن أنه لا بد أن يجتمع مع رئيس الجمهورية »

« كيف نرتب ذلك ؟ »

« سأتحدث أولا مع نائب الرئيس واعتقد أن وزير العدل سيساعدنا كما انه فى استطاعتى الاستعانة ببعض المستشارين فى البيت الأبيض كما أن كلمة من دين مورس لا تضر · كذلك ليس هناك ضرر من الاستعانة بالسفير لدى منظمة الدول الامريكية الذى أظن أنه دعا صديقك مدينا للعشاء معه أمس · ولكن يجب أن لا نبالغ وعلى العموم أطلب من صديقك أن يجهز رسالة شخصية للرئيس شارحا الموقف باختصار وآملا فى تدخل الرئيس شخصيا لاعادة النظر فى الموقف »

« ليس فى هذا خروج عن بروتوكول الطوارىء · وقد يكون

من الأسلم أن أضع له مسودة الرسالة بنفسى · هل لديك اقتراحات عن نقط يجب ذكرها ؟ »

« حسننا أكد فقط التلاقى فى تقليدين عظيمين فى الولايات المتحدة وبورتوسانتوس واشنجطون وجيفرسون ولنكونسى وروزفلت والرئيس الحالى يقابلهم كورتز وبيزارو وسان كارتن وبوليفار وميرو · وأن كل دولة منهما لهما زعيمها الذى بلغ الأوج · ولكن تجنب المبالغة ربما يحسن أن تسقط بيزارو · هل لك فى بعض الحلوى ؟ »

وفى نفس المساء استمع وزير المالية لأول خبر مشجع منذ قدومه الى واشنجطون فقد دخل عليه مندوب الحكومة قائلا :

« معالى الوزير · لدى خبر هام يخصك · لقد انتهيت فى التو من حديث تليفونى مع بيل أودنيل من وزارة الخارجية الذى أكد لى اعتقاده أنه سيتم ترتيب اجتماع لنا مع رئيس الولايات المتحدة»

ان مكتب رئيس الولايات المتحدة يمثل مصدرا لقوة كبرى · وفى الجهاز الصحفى للبيت الابيض قد جرت العادة أن كل صحفى يعمل فيه (باستثناء صحفى بليد أو دجال) يكتب كتابا أو أكثر عن الرئيس وصلته بالصحافة ·

وتتشابه غالبا بداية كل كتاب ثم تتابع الفصول وغرض الكاتب واحد تعظيم وبيان أهمية المهنة وينتهى الكتاب بثلاث خلاصات :

أولا : ان صحافة البيت الابيض عليها مسئوليات ضخمة لأن مسئوليات الرئيس ضخمة ·

ثانيا : ان صحافة البيت الأبيض لها نفوذ قوى لأن الرئيس يتمتع بنفوذ قوى ·

ثالثا : ان على الرئيس أن يزيد من مؤتمراته الصحفية !

ولم يحدث أن أحدا من هؤلاء الصحفيين التفت فى بحثه الخطير عن مدى نفوذ جرانت وورثنج كامبل »

بالنسبة لحكم الاعدام والفصل بين الموت والحياة فلا شك أن نفوذ كامبل أقل من نفوذ رئيس الولايات المتحدة · ولكن فى الموضوعات التى تقع فى اختصاص كامبل يمكن أن يفوق نفوذه نفوذ الرئيس !

لذلك فالنزال بين ارادة رئيس الولايات المتحدة وارادة مساعد وزير الخارجية لشئون الامريكتين والمسئول عن تنسيق برنامج التحالف من أجل التقدم ليس نزالا غير متكافىء اطلاقا · مثل هذا النزال يمكن أن يوجد دون أن يحس به أحد ·

بعد يومين من مقابلة مدينا وأثناء عودة مساعد وزير الخارجية لمكتبه قدمت له سكرتيرته مذكرة تلخص بلاغا تليفونيا من مساعده السابق والذى كان يستعد الآن لمغادرة واشنجطون مع الرئيس · وأخبرته أنها بعد كتابتها راجعتها مع سكرتيرة البيت الابيض وهذه محتوياتها :

« اجتمع الرئيس اليوم بعد الظهر مع وزير مالية بورتوسانتوس اجتماعا طويلا وقد تأثر الرئيس جدا مما ذكره الوزير عن ميرو وعن مجهوداته لاقامة حكومة ثابتة وانه يحاول أن يعوض الكثير من الوقت الذى ضاع تحت حكم مارتينيز بلغى الدكتور كامبل اننى كنت حاضرا فى الاجتماع وأن الموضوع قد شرح بطريقة ممتازة ويود الرئيس أن يعاد النظر بدقة فى سياستنا وعما اذا كان فى الامكان الاعتراف الكامل بنظام ميرو وتقديم مساعدة سخية له ·

وقد اهتم الرئيس خاصة بالعواقب التى قد تنجم عن سقوط ميرو وقيـــام ديكتاتورية عسكرية هناك · الرئيس يرغب فى اعداد مذكرة عن هذا الموضوع فى مدى يوم أو اثنين » ·

لقد سمح رجل البيت الأبيض لمشاعره الخـاصة وعطفه على قضية بورتوسانتوس أنتتغلب على واجبه كمساعد سلمى للرئيس·

لم يكن الاجتماع طويلا ولكن ليس هنـــاك ما يمنع من اظهار اهتمام الرئيس وارتباطه بالموضــوع · أما وصفه شرح وزير المالية بأنه تم « بطريقة ممتازة » فقد يكون فيه شيء من المبالغة فقد كان الشيخ متلهفا جزعا بل كان فى حالة من اليأس آملا أن ينجح فى طمأنة الرئيس ·

لم يقترح الرئيس موعدا محددا لاعادة النظر فى السياسة · أما الاعتراف والمساعدة فقد ذكرها الرئيس فى كلمات عابرة ·

وحقيقة ما حدث بعد انتهاء الاجتماع أن الرئيس قال :

اتصل برجال الخارجية وتبين فكرهم فلست أريد أن أوصم مرة أخرى بأننى السبب فى قيام نظام ديكتاتورى عسكرى هناك ·

الفصل السادس عشر

تاريخ الدبلوماسية وأدبها حافلان بصلتها بالجنس . فكم من انجازات تنبهر لها الأنفاس ألقيت بذرتها أو تمت فى الفراش .

منذ مائة عام كان ذلك أمرا محتملا . فكما يحدث دائما تجد الخلاعة تفسيرا عند القوى الاجتماعية فى العمق . ولم يكن لدى الدبلوماسيين فى تلك الحقبة الكثير من العمل وبالتالى توفرت عندهم طاقة من النشاط . وأهم من ذلك أن الحكام فى الديموقراطيات مسئولون أمام الشعب فلا يمكن بذلك أن يقدموا حسابهم لامرأة .. على عكس الحكم الاستبدادى فالمسئولية هناك للمستبد ومن هنا يمكن أن يكونوا موضع حساب لزوجاتهم أو عشيقاتهم وتبع ذلك أن الدبلوماسيين تمثلا بحكامهم وانجازا لواجباتهم كانوا يبحثون عن المرأة المناسبة واذا وجدت جديرة ولها المؤهل الكافى حملوها الى الفراش .

وقد بقيت حتى يومنا هذا فكرة ارتباط الدبلوماسية بغرفة النوم ويرجع الفضل فى ذلك جزئيا للمؤرخين والباقى للروائيين الذين يضفون دائما على بطلهم بعض الشقاوات التى يتوقعها الجمهور بحق . لم يعد هناك فوارق تميز السفير العصرى من المهندس الكهربائى .

وفى وقتنا هذا قد يقضى الدبلوماسى العصرى حياته العملية

كلها دون أن يلتقي بالمرأة التي قد يغويها أو تغويه. كما أن تحذيرات الوزارة من النساء اللائي يبحثن عن أسراره لا عن سواد عيونه منذ أيام الأولى في الخدمة ماتزال ماثلة أمامه . وفي عدم الحيطة ، واهمال هذه التحذيرات قد تترتب عواقب وخيمة وخصوصا حين يكتب تقرير الكفاية الذي يتوقف عليه مستقبله .

ففي لائحة الخدمة للامريكيين في أية سفارة في الخارج يحذر من هذه العلاقات بأسلوب يختلف حسب السن والرتبة مبتدئة بالسفير فموظفي الدرجة الأولى فمن يليهم في كادر الدرجات الدبلوماسية لهؤلاء يشار اليها بالجمع بين الجنسين أو التزاوج الجنسي أو الوصال أو المضاجعة أما رجال الحرس البحرى فيخاطبون بلغتهم فهم يحذرون من « غمس الفتيل » والقانونيون من « الزنا » على أن الجميع باستثناء البحارة من السفير الى أدنى رتبة ورغم ذلك كله سينعمن في فترات منظمة معقولة بمعاشرة زوجاتهم الشرعيات .

وهذا هو السبب في أن جميع العمليات تقريبا في تاريخ الدبلوماسية الحديثة تتم في المكاتب . يقولون ان الحقيقة أغرب من الخيال ولكن لاشك أن هذه الحقيقة قد ضعفت شهوتها بالنسبة للدبلوماسيين في الزمن الحديث . أما بالنسبة للمثقفين الذين يعيشون حياة طبيعية فما زال الفراش يحتفظ بدوره الكبير ففي صباح يوم أحد من شهر ديسمبر في آن ارابور غمرت الشمس غرفة فكشفت عن شخصين يشغلان فراشا وكان واضحا انهما تخليا عن كل ملابسهما في المساء السابق كانت غرفة النوم في أحد البيوت ذات الطراز العتيق التي تؤجر شققا في آن اربور بميتشجان وكانت الفتاة التي ترقد بجوار جوان سيزار مارتينيز هي نفس الفتاة التي صورت معه في اليوم التالي لالتجاء والده لسفارة باراجولي وقد التفت اليها قائلا :

« يا حلوتي الصغيرة ! ان لدى بعض الأنباء أود أن أخبرك بها »

وردت عليه فى الحال :

« يا الهى ! ان نبرة صوتك غريبة · هل أنت حامل ؟ »

« أريحى نفسك يا عزيزتى · فلن أنجح فيما فشلت فيه أنت نفسك انى عائد الى وطنى قريبا »

« انى فى غاية الأسف هل يعنى ذلك انك ستعدم بالرصاص هناك ؟ »

« لا · لقد انتهت هذه المرحلة من الثورة ويلوح أن كل شىء على ما يرام »

« متى قررت ذلك ؟ »

« فكرت طويلا وأخيرا انتهيت الى أن الواجب أن أكون على اتصال بما يحدث هناك فضلا عن عدم رغبتى فى البقاء هنا واحتراف مهنة التدريس كما أننى لن أصلح لأكون شابا لعوبا فى الريفييرا » ·

« ألا يمكنك العمل فى السياسة ؟ »

« ليس تماما فالدستور يحتم أن يكون الشخص مولودا فى الولايات المتحدة »

« اذا كنت تطمح فى رئاسة الجمهورية فهذا يغير الأمور · لابد أنها كانت اشاعة تلك التى تقول : ان جون ليند ساى قد ولد فى بيت لحم هل يعلم أحد بحضورك ؟ »

« لقد رجانى البعض فى العودة كما أن أحد أصدقاء والدى أبلغنى أن هذه فكرة طيبة وهناك جنرال فى الحكومة الجديدة كان والدى فى العمادة وقد أرسل لى طالبا عودتى الى الوطن كما أن البروفسور شمولتز أخبرنى أن وزارة الخارجية قد استفسرت منه سرا عما اذا كنت مهتما بالعودة لبلادى · المهم أنهم قاموا بأبحاث عنى وكان ذلك مفاجأة لى » ·

« لقد ذكرتني بالبروفسور شمولتر الذى حضرت محاضراته فى العام الماضى ورأيى فيه أنه أشد الناس مللا وغباء رغم اعتقــاده أن السياسة الخارجية منذ السناتور فاندنبرج لم تعرف عبقـريا مثله . جورجي هيرش يسميه مليمترنبخ (أى واحد على ألف من ميترنبخ) متى سترحل ؟ »

« فى عيد الميلاد . فالمفروض أن الغرض من سفرى هــو زيارة والدتى » .

« انى سعيدة أن لك هذا الشعور نحو والدتك . فلابد أنهــا قابلت مشاكل عديدة فى حياتها . هل أسافر معك ؟ »

« لا » ..

كان جوان مارتينيز صريحا ولــكن ليس كل الصراحة . ففى الفراش حتى الأشخاص الذين لا ينتمون للسلك السياسى لا يكونون عادة صرحاء. فبرحيل والده انتقل من وصفه ابن ديكتاتور سابق وهى أقل تأثيرا عن سابقتها وفى الفترة الأخيرة كان عليه أن يفكر بسرعة لم يتعودها ليجيب على السؤال « ماذا عليه أن يفعل الآن ؟ » وفى كل مرة يرى كل الدلائل تشير الى عودته الى بورتوسانتوس . فقد وصله خطاب من محام عجوز من فلوريس يخبره أنه قبل مغادرة والده البلاد طلبه وسجل لديه وصية قصيرة ترك فيها لنجله المفضل وراثة جميع أملاكه فى بورتوسانتوس وأن الوصية تصبح نافذة المفعول كهبة فى أى وقت يضطر فيه الأب الى ترك منصبه ومغادرة البلاد ويبدو أن والده كان يفكر فى الحائط التى يرمى أمامها المعدم بالرصاص ولقد رد جوان سائلا المحامى عن رأيه فيما سيحدث له لو فكر فى العودة الى فلوريس . ولم يجد المحــامى خيرا من ماديرا ليســـأله عن رأيه الشخصى وقد أجابه أن نظام الحكم الجديد لا يحاكم أى شخص لمجرد قرابته لمــارتينيز . كما أضاف أنه لو فكر الابن فى العودة فعليه أن يبتعد عن السياسة وعن الاتصال بأصدقاء والده فى الجيش . ثم سأل

المحامى الجنرال بيريز الرجل المعروف دائما بعلاقاته الغامضة فى مؤامرات كثيرة فى الماضى وبعد تنشيط ذهنه بسرعة طلب من المحامى الاسراع باخطار الابن بالحضور وقد كتب المحامى رده فى لغة قانونية لخص فيها هذه المقابلات وأنهاها بأن على الابن أن يعلم من الآن أنه لن ينال أى نقود أو دخل من ممتلكات أبيه اذ فى نية الحكومة الاستيلاء عليها وانها فى انتظار اعتراف الولايات المتحدة لتشرع فى اجراءاتها .

رغم اشارة البيت الأبيض بالاسراع فقد مضى حوالى عشرة أيام قبل ان يأمر وورث كامبل بعقد الاجتماع . لم يكن التأخير مقصودا فقد أخطر البيت الأبيض أثناء الأسبوع أن اعادة النظر ستستغرق بعض الوقت فقد سافر وزير الخارجية الى الشرق الأوسط وآسيا واستراليا لحضور اجتماعات الحلف المركزى وحلف جنوب شرق آسيا والخاص باستراليا ونيوزيلنده وانه لن يعود قبل أربعة أو خمسة أيام . وأن كامبل يرغب فى دراسة الموضوع مع مرءوسيه ولابد من وقت لقراءة ودراسة أى وثائق تتعلق بالموضوع فضلا عن أن عليه مسئوليات أخرى فى أمريكا اللاتينية بجانب بورتوسانتوس .

لم يجل بخاطر وورث كامبل قط أن سياسته هى سياسة الأمر الواقع وأن الجمود وعدم الحركة يعملان دائما على نجاحها .

المفروض فى واشنجطتون أن كلمة رئيس الولايات المتحدة قانون . ورغم ذلك فان البيت الأبيض قد اكتفى بطلب الاسراع فى العمل . كان هناك سبب آخر لحذر كامبل فقد أخبر لجنتى الشيوخ والكونجرس وجمعية العلاقات الخارجية ورجال الصحافة أن ميرو ليس بالقوة ليقف أمام الشيوعية وان الولايات المتحدة متأكدة أن ماديرا وريان عميلان مصممان على قلب نظام الحكومة الى النظام الشيوعى . فاذا أعلن الآن رئيس الجمهورية اعترافه بنظام ميرو ووافق على استئناف المعونة فسيقال فورا أن الرئيس له يد فى المساعدة على تسليم السلطة للشيوعيين اذ لن يصدق أحد أن وزير

مالية بورتوسانتوس وهو شيخ أرسله ميرو وقد نجح فى طمأنة الرئيس واقناعه بأمان الموقف وسلامته · لذلك فالرئيس ملتزم بهذه السياسة بصرف النظر عن رأى كامبل · وطبيعى أن الصحف نشرت أن وزارة الخارجية تعيد النظر فى سياستها تجاه بورتوسانتوس · ثم جاءته مكالمة تليفونية من صديقه عضو الأقلية المرموق فى لجنة العلاقات الخارجية فى مجلس الشيوخ قائلا :

« اننى كنت أعتقد أنكم فى وزارة الخارجية تعملون لمحاربة الشيوعية هناك والآن اسمع أنكم تستعدون لمساعدتهم · بحق الجحيم ماذا يجرى عندكم ؟ » ·

ان واجب الموظف العمومي المخلص ليس فى تحمل مسئوليات حكومته وأمن العالم الحر فقط بل عليه أن يحمى رئيس الولايات المتحدة من أى نقد قد يوجه اليه نتيجة لتغيير مفاجىء لسياسة مرسومة أو التراجع عن التزامات متفق عليها ·

فى اليوم السابق للاجتماع تقابل بيل أودنيل مع السفير لدى منظمة الدول الامريكية فى نادى « المدينة الاتحادى » لتناول مشروب معا وتنسيق استراتيجيتهما ولأن السفير يفضل الحذر والحيطة على التآمر المكشوف فقد رغب أن يكون اجتماعهما فى « نادى المدينة الاتحادى » ولمقامه الأكبر نفذت رغبته · والنادى حديث أغلب أعضائه من الرجال المتحررين فكريا كما أنه متواضع لا يزيد عن مقصف وغرفة طعام صغيرة · لذلك فهو مكان آمن ولن يغشاه أحد من كبار موظفى وزارة الخارجية ذوى النفوذ فى السياسة الخارجية فمكانهم المفضل هو « نادى المتروبليتان » اذا استثنينا وورث كامبل فهو مولع بنادى « الكوزموس » الذى حافظ على ارتياده منذ أيامه الجامعية والذى يجتمع فيه غالبية زملائه فى التدريس فلا خوف منه اذن اليوم فهو مدعو فى سفارة تاهيتى ليحتفل بمرور ١٦٠ عاما على استقلالها وحريتها واضمحلال متواصل فى اقتصادها وحياتها الاجتماعية ·

سأل السفير بعد أن جلس وبعد أن نجح بمهارة فيابعادصديق من معرض اللوحات الوطني ومعلق على الأنباء ســكير من الانضمام اليهمـا ·

« ماهي الفرص أمامنا ؟ »

« ماذا تود أن تســمعه الرأى الذى احتفظ به لرفع روحى المعنوية أو الحقيقة المرة ؟ »

« كما تشاء ولكن قد يكون من المستحسن أن توضح لى فى الحالتين »

« اذا اليك الحقيقة · ان سياستنا فى بورتوسانتوس مفتوحة جدا ولن يتقرر شيء بصفة نهائية حتى يتم الاجتماع · ونحن نعد الآن كل الوثائق استعدادا لمناقشة ومحاورة مفيدة وهــذا معناه جمع كل التفاصــيل المعـــروفة لنا فى مذكرة مرتبة · وقد قام سيمسجونز باعداد المسودة الأولى للمذكرة التى سترسل للبيت الأبيض · وسيمس ليس بالعبقرى ولــكنه يمتلك حاسة فذة لمـا تريده الوزارة وطبيعى أن المسودة تعبر عن آراء كامبل الحالية ولا تخبرنى انه من الممكن اعادة كتابة المسودة فى الاجتماع أو بعــده لانها للأســـف ستشـــمل مرة ثانية جميع الحقائق التى تؤكد استنتاجات كامبل · وهذه سيكون من الصعب تعديلها وسيطلب كامبل مرة أخرى من سيمس كتابة المسودة ليضمن أن التعديلات ستكون فى أضيق الحدود ـ لذلك فانى اعتبر هذه المسودة الدليل الحقيقى لما سيتقرر فى الاجتماع » ·

« لماذا لم تكتب انت المسودة ؟ » ·

« لقد عرضت ذلك ولكن كامبل رد بلباقة اننى متعصـــب ومشايع لذلك فمن الخير أن يكتب سيمس المسودة · صحيح أنه مشايع أيضا ولكن لكامبل فقط وحيث انه لا يفصح ابدا عن هذه

المشايعه فان ذلك معناه أنه ليس متعصبا أو مشايعا لأحد ! وقد وافقت بسرور ولا تنس أن كامبل يخوله منصبه حق اعطاء القرار وحده » ٠

« اذن علينا أن نجعل المؤتمر يرفض المسودة كلها وتبدأ من جديد » ٠

« لن يكون ذلك سهلا ٠ فغالبية الحاضرين فى الاجتماع يحضرون لا لأنهم مهتمون بالموضوع أو لأن لديهم الخبرة ٠ ولكن السبب لوجودهم هو حماية الادارات التى ينتمون اليها وسيوافقون كامبل لأنهم يودون أن يكونوا على وئام معه ليضمنوا بقاءهم فى وظائفهم » ٠

« ولكن لابد سيكون هناك آخرون ؟ » ٠

« نعم ولكن كامبل يعرف مركز كل شخص دعاه للاجتماع »

« حسنا اذن علينا أن نقنعهم أن كامبل مخطىء » ٠

« سيكون هذا صعبا أيضا فان كامبل سيشرح الموقف بطريقة تظهر صواب رأيه وعلق الصغير بقوله ٠

« يلوح لى أن مركز الدكتور كامبل قوى جدا ٠ ولكن ليس هناك ما يمنع أن نقوم بمحاولة » ٠

« طبعا بكل تأكيد ! » ٠

حدد للاجتماع فى مكتب وورث كامبل الساعة الثالثة بعد الظهر وذلك لاعطاء الفرصة لانهاء جميع الزيارات ٠ وحتى لاتكون هناك حجة للتأخير بسبب وجبة الظهر ٠ وكانت صورا لمسودة التى كتبها سيمس جونز معدة للتوزيع وقد أشر على كل منها « سرى ــ مسودة » كما نمرت كل نسخة بالحبر بخط يد سيمس وطلب من كل شخص يستلم نسخة أن يردها فى نهاية الاجتماع ٠ وقد

اتخذت احتياطات فى هذا الاجتماع أكثر من المعتاد ولـكن كانت هكذا عادة وورث كامبل فى أخذ كل ما يخص البيت الأبيض بغاية الجدية والسرية وهذا يفسر عدم توزيع النسخ قبل الاجتماع وان كان ذلك ساعد أيضا فى التقليل من خطر الكثير من الاقتراحـات والتعديلات التى لا ضرورة لها فيما لو اعطيت فسـحة من الوقت للحاضرين وقد تعلم كامبل من سنى خبرته أن لا يقتصر مثل هذا الاجتماع على عدد بسيط من الناس اذ هناك الـكثير من الوكالات والادارات لها شرعية الاهتمام بموضوع البحث كما انه يرغب فى التأكد من أن كل المعنيين ألموا الماما وافيا بالموضوع وهذا هو ما أراده البيت الأبيض ٠

توزع الحاضرون فى حجرة كامبل ٠ وجلسـوا على الأرائك والكراسى متلاصقين وحقائب أوراقهم على أرض الغـرفة أو تحت الكراسى وأخذوا يجولون بأبصـارهم من المتكلم الى الصـور التى مهرها أصحابها بتوقيعاتهم والمعـلقة على الحائط وراءه ـ لوسيوس كلاى ـ جون ماكلوى جون فوستر دالاس ـ آلن ولسن دالاس ـ بول هزكان ـ افريل هاريمان ـ كلير بوث لوس هربرت هرفـر الصغير ـ ناثان بوزى وآخرين لم يكن ميسورا التعرف عليهم اذ ذاك ٠

وكان من الممكن لهذا العدد الكبير أن يعقد اجتماعه فى غرفة المؤتمرات ، ولكن كامبل كان يحس دائما بالثقة وقوة نفوذه وهو جالس خلف مكتبه كما أن قربه من آلة التليفون ييسر له الرد فى الحال على أى مكالمة طارئة ٠

كان الحاضرون كالآتى من القوات المسـلحة شخص مدنى وثلاثة من الضباط فى لباس مدنى من مكتب مساعد وزير الدفاع (للشئون الدولية) ومعهم نائب مسـاعد وزير الدفاع (للشرق الأقصى وشئون أمريكا اللاتينية) ، المدير الاقليمى لنصف الكرة

الغربي كما حضر من مكتب رئيس هيئة الأركان حرب المندوب الخاص (بمقاومة الانقلابات والنشاط الخاص) ومعه نائبان له . وكان هناك مندوبان من وكالة المخابرات المركزية واثنان من وكالة الاستعلامات واثنان من وكالة المعونة منهما الدكتور ريشارد ويليام كنت الذي كان في حالة حماس وعصبية ظاهرة جعلته يبتلع لعابه بصفة مستمرة اذ أن هذا أول اجتماع هام يحضره في حياته وكما وجهت الدعوة للدكتور كنت فقد دعي نائب مساعد وزير التعليم وشئون الثقافة حتى يتم التوازن بحضور شخص رسمي من وزارة التعليم وليمارس حقه المشروع في الادلاء برأيه اذا عرض أمر عن التعليم في بورتوسانتوس .

وكان هناك شخصان من مكتب مساعد وزير الخارجية لشئون المخابرات والأبحاث وكان هناك صاحب السترة التويد ومعه مساعد وكانت حالة قشر فروة رأسه أسوأ ، ومندوبان من مكتب مساعد وزير الخارجية للشئون الاقتصادية .

وكان السفير بيثويك حاضرا ومن وكالة وورث كامبل بجانب سيمس جونز كان هناك بيل أودنيل واثنان من الموظفين صغيري السن من موظفي مكتبه . ومن ادارة التوازن الزراعي والوقاية بوزارة الزراعة حضر المدير المختص بسياسة تنظيم حصص السكر . ومن وزارة التجارة حضر مدير ادارة الجمهوريات الأمريكية . وكان المفروض أن يمثل وزارة الخزانة مدير ادارة الدول النامية ، ولكنه اعتذر ، فمعروف في دوائر الحكومة الأمريكية أن وزارة الخزانة لعظم مسئولياتها لا تستطيع حضور كل اجتماع . وحضر أخيرا سفير الولايات المتحدة لدى منظمة الدول الأمريكية متأخرا خمس دقائق من بدء الاجتماع وقد أحس ببعض الحرج حين هب الجميع واقفين فحياهم معتذرا ومتأسفا .

وفى ركن من الغرفة جلست احدى السكرتيريات مستعدة لتسجيل ما يدور ٠

افتتح مساعد وزير الخارجية وورث كامبل المؤتمر شاكرا المجتمعين على حضورهم ثم شرح لهم الغرض من الاجتماع باختصار مؤكدا لهم رغبته فى أن يدور الحوار صريحا حرا دون أية قيود قالها مبتسما وأن السياسة ليست شيئا جامدا مقدسا لا يمكن تغييره وخصوصا وأن البيت الأبيض قد طلب اعادة النظر فى الموضوع ٠ وهو يود فى كلمة مختصرة أن يذكر الحاضرين أن السياسة الحالية ليست سياسة جامدة بل هى رقابة ساهرة على التطورات وباختصار فهى سياسة « الانتظار الحذر » فنحن نرغب فى الحد من خطر الشيوعية ونحاول دائما أن نتأكد أن معاملاتنا هى دائماً مع الحكومات التى اثبتت قدرتها ٠ وليس هناك أى شخص حتى الرئيس يرغب فى أن يرى معوناتنا أو مساندتنا الدبلوماسية تستغل لتقوية أى نظام شيوعى ٠ وانه متأكد أن لاخلاف على هذه النقطة وانه لن يطيل فى الحديث لأنه لا يرغب فى التأثير على الحاضرين فهو يود فقط حوارا مفتوحا ٠

وبدأ الحوار بطيئا وقد ظهر أن بعض الحاضرين قد تأثروا من كلمة كامبل وأخذوا يفكرون فى سعة أفقه ٠

وعندما اجتمع بالأمس بيل أودنيل بالسفير نسقا استراتيجيتهما على أساس أن يبدأ السفير الكلمة اذ بالنسبة لرجال السلك السياسى هناك نقطة ضعف تجاه السن والرتبة وخصوصا الرتبة كما أن أودنيل ليس بالشخص المقنع فلغته غالبا لا تعبر عن آرائه بالصحة أو الدرجة التى يبغيها بل فى بعض الأحيان يلوح أن تعبيره لا يتفق مع رأيه ٠ كذلك اتفقا أن لايتدخلا فى الحوار فى البداية ويدخرا جهدهما فمن خبرة طويلة تبدأ اجتماعات وزارة

الخارجية دائما شـــاردة دون هـدف لذلك فأى رأى جدى يجب الاحتفاظ به حتى تمر تلك الفترة من الاجتماع ٠

سار كل شيء عاديا فبعد فترة من الصمت طلب ممثل ادارة التخطيط السياسى أن يسمح له بالشرح فى بدء الاجتماع ليوضح مصالح الولايات المتحدة والعالم الحر فى بورتوســانتوس وعندما استمر الصمت اعتبر ذلك موافقة على الـكلام ٠ ورغم احســاس الجميع بأن ملاحظاته قد خرجت عن الموضـــوع الا أنهم تظاهروا بالاصـــغاء اليه ٠ وبين لهم أن بورتوسانتوس ليست من الأهمية الأولى أو الثانية ولكن نظرا لقربها من قناة بنما فان اهميتها لأمن العالم الحر تزيد عن كونها رقعة من الأرض ٠ لذلك لن يســـمح للشيوعيين تحت أى ظرف كان أن يتخطوا (خط رستو) فى هذه المنطقة ٠ وأضاف أن الولايات المتحدة على اســتعداد دائم لاعـادة النظر فى سياستها وتعديل خططها ثم اعادة توجيه برامجها طبقـا لذلك ٠ وقد أحس المندوب الآخر من الادارة بقليل من عدم الراحة من سخافات زميله فمثل هذه الخطب هى التى أساءت الى ســـمعة الادارة ٠ وقبل أن يبدو عليه أى رغبة فى التوقف دخلت سكرتيرة كامبل تهمس فى أذنه فتناول سماعة التليفون وخيم السكون على الغرفة لم يسمع الكثير من الحاضرين المحادثة ولكن يلوح أن زوجته كانت المتحدثه لتبلغه أن الشرطة قبضت على ابنهما بتهمة القيادة بسرعة زائدة وانهم ينوون اتخاذ اجراء صـــارم ضده ٠ وقد رد كامبل باقتضاب وحزم مما أثار اعجاب بعض الحاضرين ٠ وواصل مندوب التخطيط السياسى كلامه وانما بسلطان أقل ٠ وفى أثناء المقاطعة التليفونية دس أمامه زميله وريقة يقول فيها « قد يـكون من حسن السياسة الاكتفاء ـ اذا وافقت » فادلى ببعض ملاحظات عن الاستراتيجية النووية واشار الى مقـــارنة بين الموقف الحاضر

للشيوعيين وموقف المحالفة الاتحادية بعد فورت سمتر ودعوة لأن يسترشد كل واحد لهذا الموقف ، وأنهى كلامه ٠

وبعد ذلك بدأ الاجتماع يتخذ شكلا أكثر موضوعية فوقف رجل نحيل ولكن تلوح عليه علامات الصحة والوسامة من رئاسة اركان الحرب ليشرح في جمل واضحة ما تفكر فيه القيادة من اجراءات عسكرية لمنع استيلاء الشيوعيين على السلطة هناك ٠ وأن السلاح الجوى قد وافق على خطة لضرب جميع المواصلات وخطوط التموين المؤدية لفلوريس والخطة معروضة الآن أمام رؤساء هيئة الاركان حرب وأن الخطة عدلت بعد مراجعة تقدير خطورة الشيوعيين هناك ليكون الغرض من القصف الجوى ليس منع الشيوعيين من الاستيلاء على العاصمة بل محاصرتهم داخل العاصمة٠ ويجب أن يكون هناك عمل مشترك لكسب الرأى العام ولذلك فانه ينصح بايجاد اتصال وثيق بين وكالة المعونة الدولية ووكالة الاستعلامات الامريكية ٠ وقد هز رجال كلا الوكالتين رؤوسهم اعترافا بضرورتهما ٠

ثم تكلم مندوب وزارة الزراعة المختص بحصص السكر قائلا انه بعد معرفة رأى الكابيتول تجاه حكومة ميرو فانه يرى من الصعب جدا أن يخصص اية حصة لحكومة ميرو ثم لمح دون أن يذكر شيئا صريحا أن على ميرو أن يبحث عن محام مشهور فى واشنجطتون وأن يتعلم من خبرة سلفه مارتينيز كيف تسير الأمور هنا في العاصمة « فأنت لا تنال حصة سكر هنا لسواد عينيك » ! وبدأ اهتمام واضح بين الحاضرين خصوصا وأن مندوب وزارة الزراعة بدأ يستعمل حاجبيه وفمه وأصابعه للتلميح عما يقصده من معنى خفى ٠

وقد شكر وورث كامبل مندوب وزارة الزراعة على بيانه

وتلميحاته وطلب من العضو الأقدم فى وكالة المخابرات المركزية أن يشرح للموجودين تقدير الموقف من وجهة نظر المخابرات ومدى تسلل الشيوعيين فى حكومة بورتوسانتوس ونوع التهديد المحتمل بالنسبة للعالم الحر .

وقد خاطر كامبل بطلبه الكلمة من المخابرات فالوكالة ليست فى حالة ذعر بالدرجة التى يرجوها مساعد الوزير كما أن الشبان في الوكالة فى قلق وتردد فى عملهم مثلهم مثل كل الشبان فى الوكالات الأخرى يزيد على ذلك أن رجلهم فى بورتوسانتوس واضح وانه واقع تحت تأثير جوهورد ولكن لابد فى مثل هذه الاجتماعات من الاستماع الى رأى المخابرات فلو تخطى رأيهم فسيكون لذلك معنى خاص عند الحاضرين . ولحسن حظه اتضح بعد قليل أن مخاوفه ليس لها أساس فخلاصة رأى الوكالة أن الموقف غير واضح ولا تعتقد الوكالة أن الشيوعيين سيقومون باستيلاء سريع على السلطة . ولكن لما الح كامبل فى توضيح أكثر تشاور المندوب مع زملائه وأضاف أن ذلك لا يعنى أن هذا ليس محتمل الوقوع والخلاصة أن الوكالة تنظر الى الموقف هناك على أنه غير واضح حتى الآن ثم طلب من الحاضرين أن لا ينسوا أن المعلومات التى أفضى بها فى الاجتماع تعتبر سرية .

ووجد السفير لدى منظمة الدول الأمريكية أن الوقت قد حان للتدخل فقال :

« عاش هذا الشعب تحت ذل حكم ديكتاتورى ظالم لمدة ثلاثين عاما هو الآن سعيد بحكومة معتدله أمينة . ولمعرفتى الشخصية بالكثير من أهالى هذا البلد أفرادا وعائلات فانى أعتقد اعتقادا راسخا أنهم يودون أن يكونوا أصدقاء لنا . لذلك فانى أرى أن نعترف بهذه الحكومة وأن نساعدها نفس المساعدة التى سبق أن منحناها للديكتاتور . ومستر اودنيل هنا وهو أحد

الأشخاص القلائل الذين تابعو الموقف عن قرب وبدقه يوافقنى على هذا الرأى . كما أن الرئيس يميل نحو هذا الرأى أيضا ولهذا فنحن مجتمعون اليـوم . لقد قرأت غالبية البرقيـات التى وردت من فلوريس وكلها مع هذا الرأى » .

توقف السفير برهة ثم عاد يؤكد « ان هناك اتفاقا كاملا بين رجالنا هناك على ضرورة مساندة حكومة ميرو . والأمر العجيب اننا نصف دائمـا الرجال الذين ينجزون أعمالا بأنهم شـيوعيون ولابد أنهم تعلموا ذلك منا . فى رأيى اننا ان لم نســاعد ميرو فسنجابه بموقف أسوأ » .

وكانت كلمة السفير ذات تأثير كبير فالسفير يعرف أين ومتى يوجه كلماته وقد أحس كامبل لفترة قصيرة جدا ببعض القلق . هل سيغير المؤتمر رأى كامبل ويقدم على قرار جنونى كالاعتراف بميرو ؟ وزاد قلقه عندما رأى بيثويك يطلب الكلمة . اعطى الكلمة لبيثويك ، ولكن بعد أن خاطب الحاضرين راجيا أن لا يفهم أن السفير يقصد أن أحدا يوجه اتهامات دون أساس للشيوعية وانه لا يجب أن يوافق أحد من الحاضرين على تأييد وجهة النظر هذه ولابد أن الجميع يوافقون أن الشيوعية موجوده وانها نشطة وخطرها لا يقل عن خطر المكارثية مع الفـارق فى الهدف وانه يود أن يبين نقطـة أخرى فأمامهم المشكلة الأزلية أن يعطوا اعتبارا كافيا لآراء من هم فى موقع الخطر ولكن يجب ألا يتجاوز هذا الاعتبار الحد اللازم .

فهنا بعد النظر . كما لا يجب أن ينسوا المرض القديم وهو أن ممثل الدولة يرى دائما الأشياء بعد فترة من الوقت بعين الدولة المعتمد فيها . وانه نفسه قاسى من هذا المرض أيام المانيا حين ساعد اديناور وفى فرنسا حين ساعد جين مونيه ، واجماع رجال السفارة هنـاك على وجهة نظر واحدة أمر يشكك فى قيمة وجهـة

نظرهم فهم يعملون سويا كما أن توصياتهم وردت جميعها فى نفس الوقت بالأمس وبنفس الصـــيغة تقريبا • ويلوح أنهم اتفقوا على رأيهم بعد أن تشاوروا مع بعضهم وليس فى ذلك عيب ولكن يجب وزن هذه الآراء بدقه وأضاف أنه لا يود أن يذهب بعيدا ليطبق مبدأ تشرشل حين قال :

« ان الامبراطورية البريطانية بنيت على مبدأين • الأول أن لا تثق فى رأى الممثل المعتمد فى دولة ما • والثانى أن لا تخضع لشيىء سوى القوة ! » وابتسم الجميع حتى بدأ بيثويك فى الكلام وكان مازال غاضبا من بيان السفير لدى المنظمة فمضى بعض الوقت قبل أن يسيطر على أعصابه وملخص كلمته أن مارتينيز قد أعطى هذه الدوله حكما مستقرا لمدة ثلاثين عاما ومن اقامته هناك فانه يعرف أن الشعب كان سعيدا (يلوح أن قصة تشرشل لم تترك أثرا فى بيثويك !) أما بخصوص ميرو فليس لديه الا وصف واحد له « انه كلب ! » انه كلب ! »

كانت كلمة غير مقنعة وهب أودنيل قائلا أن رأى بيثويك فى ميرو كرأيه فى أن الشعب كان وراء مارتينيز هو رأى مشكوك فيه وليثبت ذلك فقد أعاد سرد البرقيات التى أرسلها بيثويك وأكد فيها أن مارتينيز سيخرج من هذه الأزمة وان بيثويك أعطى مارتينيز أكثر مما يستحق كانت كل كلمة ذكرها أودنيل حقيقية ولكن قوة كلماته جعلت الحاضرين ينسون كلمة السفير الشيخ لدى المنظمة • كما أنها نقضت قاعدة مقدســة فى الدبلوماســية الأمريكية أن لا يردد شخص علنا أخطاء زميل له فى المهنة • وهذه قاعدة معقوله فالأخطاء لا يمكن تجنبها واذا لم تسمح للآخرين فانهم لن يسمحوا لك بها عملا بمبدأ المعاملة بالمثل •

وفى هذه اللحظة هب رجل من مكتب مساعد وزير الدفاع للشئون الدولية طالبا أن يثبت فى المحضر أن خطط السلاح الجوى

للتصف لم يوافق عليهـا مكتب وزير الدفاع وتطوع كولونيل من الجيش لتعضيده قائلا أن فى رأيه الشخصى أن هـذا القصف لن يكون مجدياً أو مؤثرا بالدرجة التى يتصورها السلاح الجوى ٠

واستمر الحوار بين المدنيين والعسكريين فترة ثم عادت المناقشة لموضوع السكر وتوزيع الأراضى ٠ مشت سكرتيرة كامبل نحو البـاب لتضىء أنوار الحجرة فى حين أخـذ المطر الملح يقرع النافذة قرعا من أعلى ومن وراء الأريكه الجلد ٠ أما كامبل نفسـه فقد جلس يستمع فى صمت ومتمسكا بالصبر فهو يعلم أن أى اجتماع لابد أن يصـل الى نقطة يبدأ فيها الملل والضجر يتملك الحاضرين وأن القرارات التى قد لا تقبل أو تنقد فى بدء الاجتماع يكون الحاضرون على استعداد لقبولها حين يحل بهم التعب والضجر رغبة فى انهاء الاجتماع أما للاسراع لارتباط سابق حل ميعاده أو رغبة فى الذهاب لدورة المياه أو لأنهم يدمنون الشراب ٠

ولاحظ كامبل أن بشـائر هـذه المرحلة قد لاحت فذكر الحاضرين أن الوقت قد حان لاعادة تقييم النتيجة ٠ الى أى مدى يمكننا استبعاد خطر انقلاب شيوعى اذا نحن قررنا مساعدة ميرو وقد اعترض السفير لدى المنظمة واودنيل بأن هـذا ليس موضوع الاجتماع فالسؤال هل ميرو يشكل مجازفه معقوله ٠

وعاد كامبل يسأل بلطف متكلف أن المبدأ أنه حيث توجد الشيوعية فمن الأصوب دائما الحد من المجازفه ٠ وانه الآن مستعد لتقبل أى اعتراض وهزت غالبية الرءوس بالموافقة وعاد يسـأل ثانيه عما اذا كان هذا يعنى موافقة على مبدأ اسـتمرار سـياسة « الانتظار الحذر » اذ يود أن يعرف حقيقة شـعور الحاضرين ومن منهم لا يوافق ؟ ونظر الحاضرون بشىء من عدم الارتياح للسفير لدى المنظمة واودنيل ومندوب وزارة الزراعة وقد رفعوا أيديهم

فى الحال معارضين كما انضم لهما موظف من مكتب أودنيل وأحد مندوبى وكالة المخابرات الذى سرعان ما عاد وسحب اعتراضه عندما نظر اليه رئيسه • واعترض بشده أيضا أحد مندوبى مساعد وزير الدفاع • اذ يبدو أن مبادرة كابتن جونزاليس لم تمض دون تأثير • أما مندوب وزير الزراعة فقد أصر على شرح سبب تصويته ضد سياسة « الانتظار الحذر » فمعناها جمود الحركة وهو رجل حركة بطبيعته • ثم طلب السفير لدى المنظمة أن يكون التصويت على الآتى :

(كم من الحاضرين يعتقدون أنه من الحكمة أن نساند حكومة ميرو الآن بعد أن مرت فترة تجربة قاربت ستة أشهر ؟)

هناك طرق كثيرة لادارة الديموقراطية فى العالم • وهذه كانت طريقة كامبل فقد عقب بأنه يعتقد أن الكل يوافق على أن الفرصة قد سنحت للجميع للأعراب عن رأيهم بحرية وطلب التصويت على استمرار السياسة الحالية كما تجاهل طلبا من أودنيل بأن يوجه سؤالا لمعرفة من لا رأى له وعندها نظر اليه عدد من الحاضرين نظرة عداء معقول ثم أضاف انه لا يود استعجال أحد ولكن من المستحسن أن يبدأ المؤتمر فى صياغة النقط الأساسية لمسودة المذكرة • وكثرت الاقتراحات عن كيف تكون لغة المذكرة بأن يحدد فيها ما دار من حوار وأن تكون المذكرة بناءة وتحوى النقط الأساسية فقط وأن نبتعد عن القطع فى الأمور التى لسنا متأكدين منها وأن نترك دائما بابا مفتوحا للنكوص دون أن نقيد أنفسنا بنقطة معينة بلا مبرر •

وطلب مندوب وزارة التجارة اضافة جملة يؤكد فيها أهمية تدفق التجارة الحرة ورءوس الأموال بصرف النظر عن نوع الحكومة التى تساندها • واستمع مساعد وزير الخارجية بانتباه

لكل هذه المقترحات وطلب من سيمسن جونز أن يلاحظ أنها قد وضعت كلها في الاعتبار • وطلب السفير لدى المنظمة أن يكون مفهوما أن قرار عدم مساندة ميرو لم يصدر بالأغلبية ورد عليه وورث كامبل •

« طبيعى يا سيدى فلا اجبار هنا ! »

وبدأ الحاضرون في الاستئذان الواحد تلو الآخر حتى انفض الاجتماع •

لم تكن نتيجة الاجتماع مفاجأة للسفير لدى المنظمه وادونيل ورغم ذلك فقد أحسا بالأسى •

أما الدكتور كنت فقد كان حزينا جدا لأنه لم يسعد بالاجتماع فقد راجع كلمته عن روبرتو ريان حتى حفظها عن ظهر قلب ولكن للأسف لم يطلب منه أن يقول كلمة واحدة •

وقد لاحظت زوجته هذا الحزن فى المساء أثناء تناوله عشائه !!

الفصل السابع عشر

ما أن استقر الرأى على التوصية باستمرار اتباع سياسة « الانتظار الحذر » لفترة أخرى حتى أسرع وورث كامبل الى اخطار رئيس الجمهورية • وكلف سيمس جونز أن يصيغ المسودة النهائية التى أرسلت الى مديرى الادارات المختصة التى اشتركت فى الاجتماع مرفقا بها ملاحظة تطلب أن تكون أى اقتراحات خاصة بحوار المسودة فى أضيق الحدود ومتمشية مع الخطوط العريضة التى اتفق عليها فى المؤتمر • وما أن أعيدت نسخ المسودة موقعا عليها بالموافقة من كل ادارة حتى تم اعداد المذكرة التى وافق عليها وزير الخارجية وبعد مضى عشرة أيام ، كانت قطعة الورق فى طريقها الى البيت الأبيض • كان ذلك قبيل عيد الميلاد بيومين •

فى مثل هذه الأزمات لابد أن تتسرب بعض الانباء الى الصحف وهذا ما حدث بالنسبة لمشكلة بورتوسانتوس فقد ظهرت فى الصحف عناوين مختلفه « الولايات المتحدة تستمر فى تجميد موقفها تجاه النظام الأحمر « لا تغيير بالنسبة لبورتوسانتوس » •

« الشيوعيون فى حكومة ميرو هم السبب المباشر فى قطع المعونه ! »

كانت كل هذه التكهنات سابقة لأوانها • لذلك طلب وورث كامبل من وليام هنرى ماك وليامز الصغير المتحدث الرسمى لوزارة

الخارجية أن ينفى فى المؤتمر الصحفى الدورى صدور قرارات أو توصيات فى هذا الشأن وقد قرأ المتحدث من ورقة صغيرة مكتوبة على الآلة الكاتبة :

« ان اعادة النظر فى الموقف في بورتوسانتوس مستمرة ولن يكون هناك أى قرار حتى يصدر الرئيس تعليماته »

لم يهتم أحـد فى الولايات المتحدة كثيرا بهـذه المقالات أو التصريحات فقد فقدت بورتوسانتوس أهميتها بالنسبة للجمهور • ولكن الأمر اختلف تماما فى فلوريس •

كانت الصـحافة فى أيام مارتينيز عباره عن صفحتين يشرف جهازه عليهـا وكان مارتينيز نفســه يملى عناوينها وكانت أحيانا متطابقة فى الصحيفتين وبدائيه • ونشروا مرة مقالا على ثمانية أعمده عن النتيجة العظيمة للتحاليل الطبية التى أجريت لمارتينيز تضمنت أن كمية البولينا والسكر قليلة جدا وأن ضغطه قد انخفض كما أن تحليل فاسرمان جاء سلبيا •

أصبحت الصحافة الآن حرة منذ ســتة أشـــهر ولكنها لم تستكمل بعد قدراتها • ولكن ما من محرر استهان بهذه الاشاعات الواردة من واشنجطون فنشرت عنها القصص المختلفة التى بالغت وأعيد نشرها مع بعض العناية كان لها صدى بعيد الأثر على ميرو وعلى الأشخاص الذين يضمرون له الشر •

قد يتضايق رئيس الولايات المتحدة من هذا النشر الســابق لأوانه اذ تحد من حرية قراره فمثلا لو اتخذ قرارا لمصلحة ميرو فسيعرف انه فعل ذلك ضد نصيحة خبرائه المختصين • وسيعنى ذلك أن قراره قد قلل من خطر انقلاب شيوعى وأى رئيس لا يود ذلك فلو فرض أن الشيوعيين استولوا فعلا على السلطة بعد ذلك

فسيتذكر الكثيرون أن الرئيس قد تصرف ضد توصيات خبرائه المختصين .

ومن حسن الحظ أن ضيق الرئيس كان مكبوح الجماح فهو قد عاش فى واشنجطون سنوات كثيرة ويعرف من خبرته السياسية الطويلة أن مثل هـذا التسرب جزء لابد منه فى العملية وبعكس سلفائه الذين كانوا دائمـا نافدى الصـبر فان الرئيس الحالى فيلسوف الطبع أخذ يقرأ مذكرة وورث كامبل بامعان وهدوء ودون اظهار أى انفعال لأنها لم تأت بجديد .

مذكرة للرئيس

الحاقا لطلب الرئيس من مساعد وزير الخارجيـة لشئون الدول الأمريكية والمسئول عن تنسيق برنامج التحالف من أجل التقـدم ، فان الوزارة تتقـدم بكل سرور بالآتى :

أولا : نأسف لمضى هذا الوقت فى اعداد المذكرة ولكن نطمع فى تقديركم لرغبتنا فى توخى الدقة فى موضوع اعادة النظر .

بالنسـبة لموضـوع معقد كسياسـة الحكومة الأمريكية تجاه الحكومة المؤقتة التى استولت على الحكم بعد عزل الرئيس لويس ميجويل مارتينيز أوبريجون. كان لابـد أن يكون هنـاك اختـلاف فى الرأى وبعـد مناقشات طويله وضع فى الاعتبار الرأى السـائد للوكالات المختلفة والمهتمين بهذا الموضوع كان القرار النهائى أن الاعتراف بالحكومة الثورية واسـتئناف المعونة الاقتصادية والعسكرية سيكون كدعوة لمخاطر

لا يمكن قبولها بالنسبة لنصف الكرة الغربى وأمن العالم الحر ·

والمعلومات لدينا أن ميرو قد سمح لرجال يشتبه انهم شيوعيون بشغل منصب أو أكثر من المناصب الحيوية فى حكومته ·

لذلك فاننا نوصى باستمرار السياسة الحالية أى « الانتظار الحذر » وذلك مع ادراكنا التام أن هذا ليس الحل المثالى ·

وعندما تبرهن حكومة ميرو انها على استعداد للتخلص نهائيا من العناصر المعادية فاننا على استعداد لاعادة النظر مرة ثانيه وفى الحال ·

ونود أن نؤكد اننا على استعداد تام لأى معلومات اضافيه ترغبون فيها ·

ولاحظ الرئيس الاشارة الى جملة « قد وضع فى الاعتبار الرأى السائد » هذه الجملة لم تبعث فيه الطمأنينة · فقد أخطأ «الرأى السائد» من قبل كثيرا فقد كان الرأى السائد « أن غزو خليج الخنازير سينجح وكان » الرأى السائد « ان قوة صغيرة من الجيش ستسيطر على الموقف فى فيتنام وكان « الرأى السائد » أن جوان بوش يشكل خطرا على العالم الحر ولو تصور الرئيس كيف رتب هذا الاتفاق فى الرأى السائد لتضاعف قلقه · ولكن الاشارة الى « الرأى السائد » لها مضمون آخر ففيها انذار خفى انه سيواجه عصابه من الخبراء والرسميين اذا حاول مناقشة الموضوع وأن عليه فى هذه الحالة أن يسبر غورهم بعمق زائد ، والا فسيظن أن حكمه نقض الحكومة الحكيمة المحشودة لنصحه بطريقة تعسفية كما عليه أن لا ينسى أن أمامه أزمة مصر واسرائيل

ومشكلة سوريا وانفجار السكان وتضاؤل الطعام فى الهند وغموض الأحداث التى تجرى فى الصين والميزانية ورسالة الاتحاد والحالة السيئة المزمنه للجنة الوطنية · كل ذلك لا يترك له المزيد من الوقت لبورتوسانتوس ·

ان جرانت ورتنج كامبل رجل ذو نفوذ رهيب فى مسائل معينة · ولكن من الانصاف أن نكرر هنا أنه لا ينظر الى الأشياء من هذه الزاوية ·

صدر بيان رسمى مقتضب مضمونه انه لا تفكير فى الوقت الحاضر فى تغيير سياسة الولايات المتحدة تجاه بورتوسانتوس ·

كان لهذا البيان القصير رد فعل حاسم وخطير فى بورتوسانتوس ·

لم يحاول وورث كامبل أن يقابل وزير المالية مدينا الفاريز بعد ذلك · ولكن الشيخ العجوز بدأ رحلة فاشلة فى المرور على وكالة المعونة الدولية والبنك الدولى وبنك الاستيراد والتصدير ووزارة الزراعة وقوبل فى كل منها بكثير من الأدب الذوق · ولكن كان الرد دائما « الى أن تسمح وزارة الخارجية فاننا فى أشد الأسف أن ليس فى استطاعتنا أن نفعل شيئا ·

وعندما أخبره السفير لدى المنظمة الأمريكية وبيل أودنيل بما دار فى الاجتماع والنتيجة الحتمية المنتظرة قرر العودة الى بلاده ·

وقبيل عيد الميلاد ببضعة أيام استأذن آسفا من صديقه السفير وبسرور ظاهر من مندوب حكومته وزوجته وسافر الى نيويورك حيث قضى يومين فى زيارة صديق قديم يرأس فرع نيويورك لأحد البنوك الكندية فى البنك الكندى ثم استقل طائرة

بان أمريكان من مطار كنيدى عائدا الى فلوريس ٠ ورغم سفره بالدرجة السياحية فقد سمح له بدخول المقصف وهناك غاب عنه أن يميز شابا آخر مسافرا معه على نفس الطائرة ومتجها لفلوريس كان هذا المسافر الآخر جوان سيزار مارتينيز ٠

انتهى الفصل الدراسى وودع مارتينيز الصغير جامعة ميتشجان وداعا لا عاطفة فيه وودع فتاته الطيبة ذات الصدر العالى وداعا أحر قليلا وسافر لنيويورك لزيارة عم له يكبر والده ببضعة أعوام وكان يرأس وفد بلاده فى الأمم المتحدة لسنين عديدة ويعيش الآن فى شقة فاخرة فى والدورف استوريا تنم عن ثرائه الفاحش ٠ لاحظ مارتينيز الصغير أن عمه قد تقدمت به السنون وتدلت الجيوب تحت عينيه وهى ماركة مسجلة للعائلة وثقلت خطواته نتيجة لبدانته المفرطة ٠ وتقدم العم محييا ثم قدمه الى امرأة شقراء ناضجة السنين كعمته مبتذلة سرعان ما تركتهما لينعما بحديث طيب الشىء الذى سره ٠ تناولا الغذاء سويا شريحة من اللحم رائحة الفحم جاءت باردة من مطبخ الفندق هنأ العم ابن أخيه على قراره بالعودة الى بلاده قائلا :

« كتب الى أصدقائى يطلبون منى أن أرجوك لتعود الى بورتوسانتوس ولكنى لم أفعل ذلك فقد أصبحت فى سن لا أهتم بمثل هذه الأمور ٠ ولكن لا شك انهم سيسعدون الآن لأن فردا من أسرة مارتينين سيعود ليدير الأمور من جديد ! » ٠

« ولكنهم اشترطوا على ألا أتدخل فى السياسة » ٠

« حكمة غالية طالما نصحت بها والدك ٠ احكم ولكن ابتعد عن السياسة واستفاض فى حديث طويل حول هذا الموضوع » ثم قال: « اسمع لقد تقدم بى العمر وأصبحت فى حالة لاتسمح لى بسماع

الخطب الطويلة الجوفاء المملة فى الأمم المتحدة ولشغفى الكبير بالأطفال يمكنك تعيينى مندوبا لصندوق الطفولة » ٠

« يا عمى أرجو أن لا تعتمد على فى شيء من هذا ٠ فان الحكومات من طراز حكومة أبى قد ولى زمانها وعموما فلا أعتقد أنك بحاجة الى العمل » ٠

« انك على حق يا ولدى عليك أن تساير الزمن ٠ هذا ماكررت النصح به لوالدك ولو استمع الى لظل فى منصبه حتى اليوم ٠ وقد قرأت في الصحف أنهم طافوا بعمك جوامي الشـــوارع في عربة قمامة ٠ انه غبى وأخشى ما أخشاه أن يثمل يوما ويقتل شخصا ما اذا رغبت في مسايرة الزمن فعليك بالاحصائيات ٠ عين لها خبيرا طيبا ٠ لابد أن تحصل على زيادة سنوية كبرى فى الدخل القومى ٠ فالأمريكيون الآن يطلبون ذلك ٠ عرفت ذلك فى « المجلس الاقتصادى والاجتماعى » ٠

هل ستزور والدتك ؟ ٠

« نعم فالمفروض أن السبب الرئيسى فى رحلتى هو زيارة أمى » ٠

لاحظ جوان مارتينيز فى المطار هذا الشيخ المهيب والمعتنى بملابسه وخمن أنه لابد أن يكون شخصا ذا أهمية ولكنه لم يكن يعرف من هو ؟ ٠

اناشيد الميلاد

كل عام والكل سعيد

جرت العادة فى بورتوسانتوس أن يكون الجيش سخيا جدا فى اجازاته فى عيد الميلاد ٠ وكان الجنرالات فى هذه السنة بالذات

فى غاية الكرم • فبينما كان ضباط وجنود الوحدات التى كان يظن أنها موالية لميرو أو على الأقل معادية للجنرالات القدامى قد منحوا أجازات تحركت كتيبة احتفظ بها بتدبير سابق الى القصر وقبضت على ميرو ونصف عـــدد وزرائه الذين كانوا مجتمعين لبحث الحالة المالية •

واتهم ميرو بأنه يتعاطف مع الشـــيوعيين ويشجع الحركات السرية الهدامة وانه فشل فى حل الأزمة الاقتصادية التى تهـدد البلاد • وفى نفس اليوم وضع على طائرة اتجهت به الى ميامى فى الولايات المتحدة •

وقد وضع الجنرالات فى اعتبارهم انذار الولايات المتحدة انها لن تنظر بعين الرضى الى حكومة عسكرية • ولانهم صمموا على كسب صداقة الولايات المتحـدة • وتذكروا العلاقة الطيبـة بين فلوريس وواشنجطتون طوال أعوام طويلة فى ظل النظـام السابق ولأنهم أبلغوا باستفهام وورث كامبل من الســفير السابق عن مارتينيز الصغير وعلى أن ذلك اشارة لهم عما تفكر فيه وزارة الخارجية فانهم أسرعوا بارسال مندوب الى المزرعة التى تبعد نحو عشرين أو ثلاثين كيلو مترا من فلوريس والتى تعيش فيها زوجة الديكتاتور السابق منذ سنوات فى عزلة تامة ليبلغوا ابنها جوان سيزار مارتينيز الذى كان فى زيارتها ضرورة ذهابه الى القصر وقد ذهب طائعا ولو أنه من المشكوك فيه أنهم تركوا له فرصة ليعترض •

وتكلم الجنرال بيريز نيابة عن زملائه طالبا منه أن يقبل أن يكون رئيسا مؤقتا للدولة وأن يشكل وزارة من المدنيين والعسكريين وأضاف البعض أن هـذا يتمشى مع تقـاليد عائلته الكريمة • وان سلطاته لن تكون مطلقة بل أن القرارات وادارة الوزارات ستكون فى الأيدى الأمينة لأصدقائه ومسانديه المخلصين والذين يحيطون به الآن •

وبذلك سيكون عنده الوقت الكافى ليستمتع بحياته كشاب فى مقتبل العمر وانهم اضطروا للاستيلاء على السلطة لانقاذ البلاد من خطر الشـــيوعية والاشـــتراكية والالحاد وعدم الوفاء ولو أنهم استبعدوا الصفة الأخيرة عندما أدركوا انها تنطبق عليهم فقط ٠

وانهم سيقومون بأعباء تجديد الوطن باسمه ولمصلحته٠وانهم سيذيعون ذلك على الشـعب خصــوصا وأن واشنجتون قد لمحت لعدة مصادر بتشجيعها وانها ستوافق وان اسم مارتينيز سيكهرب الشعب وأن ليس أمامه الآن بعد كل ذلك الا القبول ٠

وكان رد فعل واشنجتون مواتيا اما أعضاء مجلس الشيوخ والكونجرس المعروف عنهم حـرية الفكر فكان أغلبهم فى موطنهم الأصلى لذلك لم يكن لاحتجاجاتهم واعتراضاتهم أثر كبير وخصوصا وأن تصريحاتهم لم تنشر الا فى بعض الصحف المحلية وفى ولايات بعيدة مثل جريدة نيوز فى سالم وتيمس ريكورد ونيوز داى فى فورت سمث واعتذرت لقرائها صــحف نيويورك تيمس وواشنجتون بوســت وكوربير جورنال فالجميع مازال متخما ومنتعشا من آثار احتفالات عيد الميلاد وقد أحس بالأسى السـفير لدى منظمة الدول الأمريكية وبيــل أودنيل كذلك بعض مستشـــارى البيت الأبيض ولكن ما حدث لم يكن مفاجأة لأى منهم فمنذ اجتماع وورث كامبل الأخير فهم يعرفون أن المسألة مسألة وقت ٠

أما مســاعد وزير الخارجية كامبل فرغم أنه لم يتنبأ بالتغيير ولم يضــعه فى اعتباره بهذه الصــورة فمما لا شك فيه أنه أحس بالراحة وان التغيــير قد خفف عنه الكثير من المتـــاعب فتهــديد الشيوعية لبورتوسانتوس قد استأصل الآن وانه الآن يمكنه أن يتمتع بمدة خدمته الباقية فى واشــنجتون وهو متأكد من حكومة حكومة مستقره وصديقه فى فلوريس ٠ وان العالم الحر ستكون الى

جانبه أمر أخرى لأعوام طويلة · ولخص رأيه لسيمس جونز بأن أمة قد زالت من مشـاكله ولكن ليس تماما · فكأن استراتيجى كان عليه أن يتحرك بسرعة لتعزيز هذا الفوز فان الشيوعيين ومساعديهم والمتعاطفين معهم لا يلبثون أن يوحدوا صفوفهم · وصحيح أن ميرو ومادير وريان قد اختفوا من الصورة وليس هناك خطر منهم الآن ولكن لابد أن سـيظهر غيرهم متحينين الفرصـة المناسبة للتحرك والانقضاض وسيكونون من نفس نوع الرجال الذين تدربوا فى مدرسة التآمر والتخريب ·

وقبل أن ينتهى العـام تمكن وورث كامبل من الحصـول على اعادة العلاقات السياسية بالكامل والاعتراف بالحكومة الجديدة ·

ولم يسرع فى اعلان ذلك بل تمهل حتى يجـد شيئا مثيرا أو أزمة جديدة تشغل فيها الصحف وذلك ليقلل الى أقل حد ممكن من أثر نقد أولئك الذين دافعوا عن ميرو وريان ومادير ولكنه فى نفس الوقت أبلغ حكومة مارتينيز سرا جميع التأكيدات اللازمة ·

أعلن رسميا الاعتراف بالحكومة فى ٤ يناير وسط أنباء عن عاصفة ثلجية لم يسبق لها مثيل تهب على نبراسكا وطبقا للعرف المتبع دوليـا فان السـفير بيثويك مازال معتمدا لدى حـكومة بورتوسانتوس لذلك طلب منه العودة الى مقر منصبه فى اليـوم التـالى ·

وبعد اقامة أشهر طويلة فى بيت مستعار كانت مدام بيثويك فى غاية الشوق للعودة الى أشيائها المحببة بما فيها صور أسلافها·

وبجانب زوجته فى الرحلة · فقد حمل معه طردا آخر وشمل هـذا الطرد معونة عاجلة مقـدارها ٢٠ مليون دولار لسـد العجز الموجود فى الميزانية التى نضبت نتيجة لسوء تقدير الحكومة السابقة فى كثير من المشروعات اليسارية ·

أصبحت الأمور الآن أحسن بكثير من أيام ميرو وميدينا فقد ضمنت الحكومة مرتبات الجيش والموظفين لأشهر طويلة ، الأمر الذى عبر عنه كامبل بأنه فرصة لالتقاط النفس كما كان مع بيثويك أيضا وعد باستئناف المعونة الاقتصادية وأن الولايات المتحدة ستكفل بعمل مزرعة نموذجية بدل المزرعة التى وزعت أرضها على الفلاحين وسترسل لجنة لدراسة مشروع اصلاح الأراضى • كما أكد شفويا أن حصة السكر ستستمر بل قد تزداد من الحصة التى كانت مخصصة لكوبا وأخيرا فقد استؤنفت المعونة العسكرية بالفعل وستكون غالبيتها مهمات ومعدات لمقاومة الشغب والثورة المضادة كما أن بيثويك قد خول رسميا اخطار حكومة مارتينيز أن معونة السنة الحالية سترسل دفعة واحدة بالطائرات فور موافقة مارتينيز على حاجته لها • كما أن بيثويك طلب منه أن يتعهد باصدار تصريح رسمى يعد فيه باجراء انتخابات حرة •

أحس بيثويك بنوبة حنين تعتريه وهو فى طريقه الى القصر الرخامى • ولكنه كسياسى مخضرم محنك دفع ذلك جانبا على أنها اصابة دوسنتاريا خفيفة ولكنه شعر بالتقلص مرة أخرى عندما أدخل على الرئيس الشاب •

كان له نفس قامة والده قصيرا ممتلىء الجسم أسمر اللون وله نفس الجبهة المسحوبة للخلف ونفس العينين اللتين يشع منهما الذكاء ولكن فى نفس الوقت لا يفصحان عن ثقة بصاحبهما •

وتكلم الرئيس معبرا عن سروره بالمدة التى قضاها فى الولايات المتحدة وأخبر بيثويك أن حكومته لن تكون سلبية اطلاقا • وانه سيعتمد فى كل شىء على الخبرة الأمريكية وسوابق التاريخ فيها • وسيطبق الكثير مما تعلمه فى دراساته والمناقشات التى حضرها فى الجامعة وقد أسرع بيثويك باخطار واشنجطون

بنتيجة مقابلته وانه سر جدا من حماس الرئيس لكل ماهو أمريكى. وان شكواه الوحيدة أن سيارته لم يتم اصلاحها بعد .

ولقد وفى مارتينيز بوعده فقابل بنفسه الطائرات التى حملت الأسلحة . وتمشيا مع الحكمة المألوفة فى هذه المنطقة من العالم فقد أمر بوضع جميع الأسلحة فى قبو القصر وهناك أشرف بنفسه على توزيعها على مجموعة من الضباط الشبان ورجالهم والذين كان على اتصال بهم من قبل . وكان لظهورهم فى الشوارع بملابسهم الجديدة وأسلحتهم المؤثرة أثر كبير فسرعان ما قرب اليهم الرجال الذين كان الجنرال بيريز قد أرسلهم فى أجازات . ولو أن الكثير منهم قد سر بأجازته الطويلة الا أن بعضهم غضب لشفافية تكنيكات سوء نية الجنرال بيرز .

وقد أخبر مارتينيز السفير بيثويك أن المرشد له فى كل هذا هو محاضرة حضرها مع الأستاذ شملتز خلاصتها (أن المفتاح الى السلطة هو احتكار القوة الرئيسية) وفى بورتوسانتوس هذه القوة هى الجيش .

والآن وقد تملك احتكار القوة الرئيسية بدأ مارتينيز فى اعادة تنظيم حكومته فعين الجنرال بيريز قنصلا عاما فى ميامى . وفسر ذلك للجنرال وكذا للسفير بيثويك أن بجانب قدرات الجنرال وخصوصا المامه بالانجليزية فان نفس المنصب قد اختارته الولايات المتحدة للجنرال فيسين واى فيش عندما وجدت أن من الخير ابعاده من الدومينكان . كما أبعد الكثير من الجنرالات القدامى الى مناصب فى لندن ومدريد وروما وبونس ايريس ونيو أورليانز وقد ذكر لبيثويك فى حديث خاص أن الأستاذ شملتز قال مرة (اذا شتت المتآمرون فلن تكون هناك مؤامرات) كما يذكر جيدا تصرفا للرئيس كندى الرجل الذى يعجب به كثيرا من أنه أرسل ادميرالا كان سيسبب له متاعب كسفيرا فوق العادة لبلاده فى لشبونة .

تم القضاء على حكومة ميرو بسرعة وسلام حتى أن فرقة المطافىء من رجال الصحافة في واشنجطتون لم ترسل . وكانت فترة عيد الميلاد وما يهم الصحف فى أمريكا ليس هو زوال حكم شيوعى ولكن أخبار انقلاب شيوعى فى أمريكا اللاتينية كذلك يقل الاهتمام بحركات الجنرلات المألوفة لوقف النشاط الشيوعى .

أما استيلاء مارتينيز الصغير على السلطة وماضيه الدراسى فى ميتشجان فقد كان مبررا لقليل من الصحفيين أن يقوموا برحلة الى فلوريس لكتابة سلسلة من المقالات عن شخصيته وعن المشاريع الاقتصادية ونظام الحكومة الجديد وحياته الجنسية ان أمكن وقد أبرقوا أن حكومته لن تكون سلبية وانه يقبس ويسترشد بالسوابق الأمريكية والمعروفة التى تلقاها أثناء دراسته فى الولايات المتحدة وأضافوا أنه أسوة بأبيه يعمل جاهدا على تثبيت مركزه وتعزيز قوته . وفى هذه الأيام الأولى كانت سياسة مارتينيز أن يكون بابه مفتوحا للصحفيين .

وكلما مرت الأيام ظهر أن مارتينيز أقل سلبية . ففى يناير أعلن أن بورتوسانتوس سيكون لها مشروع خمس سنوات وانه لن يكون من وحى المشروعات السوفيتية ولكن متمشيا مع المشروعات التى كلفت بدراستها الادارة الاستشارية للانماء فى جامعة هارفارد من أجل باكستان وايران وكولومبيا . وانه يسعده أن يتلقى أى اقتراحات أمريكية وعندما اجتمع مع السفير بيثويك والصحفيين ذكرهم بالمعهد الذى كان يرأسه وورث كامبل وانه كان على تعاون تام مع مجموعة هارفارد ثم أضاف أنه يسره أن يعرف أن الدكتور كامبل الآن على رأس برنامج التحالف من أجل التقدم .

وفى الأسبوع ذاته اتخذ خطوته أشد وقعا وتأثيرا ، الأولى تنازله لشعب بورتوسانتوس عن جميع ممتلكاته (التى تنازل له

عنها من قبل والده) وهى تشمل مزارع السكر والبن ومراعى الماشية وأراضى الاسكان وشركة النفط وامتياز الشب والألمنيوم ومصنع الأسمنت ومحطات القوى والمياه والمؤسسات الصناعية والتجارية وبيوت الاستيراد وامتياز السجائر الأمريكية والكوكاكولا والسيارات والأدوية والبضائع الكهربائية ونسخة أمريكا اللاتينية من مجلة تايم ٠

من المشكوك فيه أن الاشتراكية تمت فى أى دولة بمثل هذه السرعة ومثل هذا الكمال وبدون شكوى اطلاقا من أصحاب الممتلكات كما حدث في بورتوسانتوس ٠ فمارتينيز هو صاحب كل هذا وقد استغرق تنازله عن أملاكه دقيقة أو اثنين وانتهت الثورة بجرة قلم واحدة ولأول مرة فاقت هذه الجرة قوة أى سلاح !

أما الاصلاح الزراعى فقد قام جدال بسيط بشأنه فى نفس الأسبوع ٠ فمارتينيز يملك غالبية الأراضى الجيدة والصالحة للزراعة كذلك معظم أراضى البناء ولم يكن قد بقى فى بورتوسانتوس من أيام والده الا أفراد قلائل غير ذى أهمية من مالكى الأرض ولكنه دفع لهم تعويضا بالكامل بالثمن الذى قدروه أنفسهم عند تقدير الضرائب المستحقة عليهم لسندات غير قابلة للبيع مدتها ٥٠ عاما وبفائدة ٣ ٪ ٠

وقد اهتمت واشنجطتون بما يجرى وطلبت من بيثويك التحرى عن نوايا الديكتاتور الصغير ٠ وقد استغرقت مقابلتهما بعض الوقت ٠ وبدأ مارتينيز الحديث بقوله أنه تعلم فى الولايات المتحدة أن أقوى ارتباط لأولئك المحظوظين يجب أن يكون قبل المجموعة التى هم من أفرادها ٠ ولقد سمع هذا المبدأ فى افتتاح الجامعة من متكلم لا يذكر اسمه ومن مستر هنرى فورد الثانى ٠ كما أنه سمعه من الرئيس السابق ايزنهاور فى حديث تليفزيونى٠ واعترافا بفضل هؤلاء الأمريكيين العظام رأى وعدا على نفسه أن

يطبق مثل هذه المبادىء السامية كما أنه من الخطأ الجسيم أن يخلط بين التأميم الظالم للأراضى والصناعات وبين عملية اهداء ممتلكات شخصـية للشعب ولا شـك أن القانونيين فى الولايات المتحـدة سيخطئون بيثويك لو حاول القول أن تعديل هيكتلوبر يمنع شخصا من تأميم ممتلكاته الشخصية برضائه ٠

« هل تتصـور أن السناتور هيكنلوبر الذى خطب يوما فى ميتشجان يرغب أو يمانع لو قرر مثلا المحافظ نلسون روكفلر اهداء الجـزء الأكبر من ممتلكاته في نيويورك للولاية ؟! أكان يمنع مثلا الرئيس كيندى من التنـازل عن السوق التجارى الذى يملكه فى شيكاجو للحكومة الأمريكية لو أنه أراد ذلك ؟ » ٠

وعندما بدأ بيثويك يقول أن الناس سيحكمون على أى حكومة تمتلك جميع موارد وممتلكات الأفراد انها حكومة شيوعية ، رد عليه مارتينيز أن الشـيوعية أمر مختلف تماما فهى نظـام يقوم ويعتمد على حكومة نامية ومتقدمة جدا بعكس النظام الاشتراكى وأن الشـيوعية لا تأتى الا بعـد ازالة كل آثار وجهات النظر الماضـية للطبقة المتوسطة وللنظام المالى ولا يخلط بين الاثنين الا هاو ٠ وهو يذكر هذا من دراسة تلقاها فى ميتشجان عن النظم الاقتصـادية المقارنة ٠ وطمأن بيثويك أن بورتوسانتوس بعيدة كل البعد من جميع وجهات النظر أن تكون دولة شـيوعية وكانت هـذه الجملة الأخيرة وهى التى أدركها تمام الادراك أهم ماركز عليه بيثويك فى رسالته لواشنجطتون ٠

أما بخصوص توزيع الأراضى فقد طمأنه مارتينيز قائلا « أريد يا سيادة السفير أن أوضح لك نقطة فى هذا الموضوع انه جاء بناء على توصية ستة دراسات تمت فى جامعة ويسكونسن أيام والدى ٠ وقد أوصوا جميعا باتخاذ اجراءات عاجلة وفعالة لتنفيذها وقد وعد

والدى مرارا بذلك وكل ما فعلته أن نفذت وعود والدى للشعب وأنت خير من يعرف والدى وقد كنت الصديق المدافع عنه دائما • أما بخصوص دفع ثمن الأراضى بسندات لا يسمح ببيعها فقد أخذت المشروع بحذافيره باستثناء نسبة الأرباح التى زدتها هنا من مشروع الجنرال دوجلاس ماكارثر التى نفذها فى اليابان وكوريا باسم القوات المحتلة •

ولقد قمت فى الجامعة بعمل بحث علمى عن هذا المشروع • صحيح أن هذه السندات بمضى الوقت ومع زيادة التضخم قد تصبح عديمة القيمة ولكن ذلك أيضا حدث بسرعة فى اليابان وكوريا وقد يسعدك أن تعلم أننى أطلقت على هذا المشروع اسم « مشروع ماك أرثر » •

وذاع أمر التسمية فقد قام عضوان جمهوريان مسنان فى مجلس النواب فى واشنجطتون يمتدحان مارتينيز على اتباعه خطوات أحد عظماء القادة الأمريكيين وندد به ثالث لاستخدامه التسمية عبثا • ثم طلب بيثويك مقابلة مارتينيز عندما أعلن تبادل العلاقات السياسية مع الاتحاد السوفيتى وتشيكوسلوفاكيا وبولندا ورومانيا وكوريا والصين والمجر ولكن سرعان ما أعاد مارتينيز الطمأنينة إليه حين أخبره انه باستثناء كوبا والصين فان غرضه هو مساعدة واشنجطتون فى اقامة جسر من العلاقات مع دول أوربا الشرقية أما بخصوص كوبا والصين فيود أن يذكره أن الأستاذ شملتز ووزير خارجية الولايات المتحدة صرحا من قبل أن الاعتراف الدبلوماسى بحكومة مالا يعنى الموافقة على نظامها وأن كل أمله دائما أن يحذو حذو السياسة الأمريكية فى المجال الدولى •

وطلب بيثويك الاجتماع به مرة أخرى حين أعلن أن « مدارس أشجار النخيل » ستنظم تحت ادارة جديدة تتبع سياسة الحزب

الذى سيكون مسئولا عن مناهج التعليم الثقـافية والسياسية وأن التعليم فى المرحلة الأولى سيكون اجباريا وعاد مارتينيز ليذكره أن الفكرة أمريكية بحتة فالجميع فى الولايات المتحدة ينادون بضرورة التعليم وأن يكون الجميع صغارا وكبار على درجة من الثقافة وهـذا واجب أى حزب سياسى ثم استطرد قائلا أنه قد قرر أن يطلق اسم (بيان ٢٥ ديسمبر) على هذا المشروع رغما من أن الثورة قد بدأت متأخرة يومين عن هذا التاريخ ولكن ليثبت للأمريكيين الذين يقدرون أهمية « عيد الميلاد » الروح التى يعمل بها ٠

وخـرج بيثويك مقتنعا ولكن فى هـذه المرة ليس تماما ولكن واشنجطتون قد بدأ الشك يتسرب اليها ٠

وفى فبراير عندما أحال مارتينيز جميع الضباط ذوى الرتب الكبيرة الى المعاش وأعلن أن الجيش من الآن فصاعدا سيعرف باسم الميليشيا وانه قد وضع على رأس هذا التنظيم الجديد أحد مساعديه المتحمسين وأحد السـياسيين ذوى الفاعلية والمسـمى « أراجون » طلبت واشنجطتون من بيثويك أن يبلغ مارتينيز عدم رضاء الولايات المتحدة تجاه نواياه وأن يكون هذا التبليغ بعبارات قوية جدا ولكن عاد مارتينيز يشرح له أنه باعادة تنظيم الجيش فانه يبغى أن يحافظ على موارد الدولة للمشروعات الكبرى الحيـوية ٠ وانه تعـلم فى المحـاضرات الاقتصـادية التى تلقـاها فى الجامعة فى أمريكا أن الجيوش تستنزف بغير ضرورة موارد الدول الغير النامية والفقيرة ٠

ولكن واشنجطتون رفضت هذا التفسير كما رفضت تفسير أن نظام الميليشيا يشابه نظام الحرس الوطنى ٠ كما أنهـا رفضت تفسيره أن اختياره لأراجون هو تمشيا مع السـياسة الجديدة فى البنتاجون بأن تكون القوات تحت سيطرة مدنية قوية واستدعت

واشنجطتون بيثـويك للتشاور معه ٠ ومـرة أخرى اضطرت مدام بيثويك الى ترك الأشياء المحببة لها !

ومرة أخرى زار المدير العـام للادارة الخارجية مساعد وزير الخارجية للشئون الادارية ٠

« لقد سمعت أن بيثويك سيعين فى ايرلندا ؟ » ٠

« هذا صحيح » ٠

« لقد أساء الى الموقف للمرة الثانية فى فلوريس فقد عجز أن يتبين نوايا هذا الصغير مارتينيز » ٠

« أعتقد أن ايرلندا مناسبة جدا فالمنصب حسن بدرجة تكفل التغطية على مسلكه وهى ليست دولة كبيرة بدرجة يعتبرها ترقية له فليس من المعقول أن نرسله لفرنسا أو اسبانيا مثلا !! » ٠

« رغم ذلك فما زلت مصمما أنه خير له أن يحترف التعليم فى احدى الجامعات هل تعتقد اذا مات ديفاليرا فان بيثويك سيحاول اللحاق به ؟ » ٠

« لاداعى للمزاح٠مارأيك فى وورث كامبل كوكيل للوزارة؟»٠

كيف سيتصرف وورث كامبل كوكيل وزارة ؟ المستقبل وحده هو الذى سيبين ذلك ولكن من المؤكد أنه سعيد بالترقية ٠ وفى الحرب ضد الشيوعية الدولية ككل الحروب لابد من الهزائم ٠ ومن المهم فى هذه الأوقات أن تتحد القوى وأن تتضامن الحكومات الحرة ٠ ورغم ذلك فقـد أحس وورث كامبل بالأسـف لتطور الأمـور فى فلوريس ففى اعتقاده أن هذا يثبت رأيه الصحيح فى الخطر الشيوعى فقد برهنت الحوادث فى فلوريس على وجود هذا الخطر !

وكان بيل أودنيل سعيدا كذلك السفير لدى منظمة الدول الأمريكية فهو ينظر للأمور نظرة فلسفية وطالما كان محقا فى أمور كثيرة من قبل ولكن بفلسفته قد تعود تقليل مثل هذه النتائج .

وكان جوزى ماريا ميرو سعيدا أيضا فقد انتهز فرصة وجوده فى الولايات المتحـدة ليقضى عاما بمركز النمو الاقتصـادى بجامعة بيـل .

وكان جوهورد سعيدا بتنبآته عن مستقبله فقد تقرر خروجه من الخدمة والمدهش أن بيثويك أثناء وجوده العاطل فى واشنجطتون طلب منه أن يكون عضوا فى اللجنة التى قررت ذلك .

هناك فى البرتغال فى ايسترول على مقربة من لشبونة وفى قصر فخم يعيش الديكتاتور الســابق لويس ميجويل مارتينيز أو بريجون سعيدا فهو لم ير بوضوح مثل بعض الآخرين الفرق بين الرأسمالية والاقتصاد الحر والاشتراكية أو الشــيوعية ويكفيه أن ابنه قد أظهر صفات النضــال القوية التى كانت له منـذ ٣٠ عاما خلت ولو أنه فوجىء بذلك لأنه لا يذكر أنه تبين فيه هذه الصفات من قبل وقد سر بالذات مما فعله مع الجنرال بيريز .

وعاشت ماريا سعيدة أيضا فقد قررت الحكومة الجديدة معاشا كافيا لها وثمله طالما قوآها تسمح بذلك .

كما أن مدام بيثويك أحست مرة أخرى بالسعادة ففى الشقة الجديدة التى استأجرتها ستجتمع مرة أخرى مع أشيائها المحببة فى انتظار موافقة مجلس الشــيوخ على تعيين زوجها ولن تكون هناك صعوبات فان لجنة العلاقات الخارجية يرأسها الآن رجال مهذبون .

كما أن جوان سيزار مارتينيز كان ســعيدا ولو أنه لم يصـد

واثقا من المستقبل كثيرا فهو يعرف أنه قد حرك قوى قد يصعب عليه السيطرة فيما بعد ولو أنه يشك فى ذلك وعلى العموم فالمستقبل سيكون الحكم •

والذى أعطيت لهم الأرض سعداء غاية السعادة •

أما لويس كارلوسماديرا فلم يكن سعيدا فقد اطلع على الكثير من ملفات البوليس كما أن صراحته الزائدة كل ذلك كل ذلك جعل من الحكمة أن يظل معتقلا فى السجن •

لا سبيل الى أن نعرف ان كان روبرتو ريان سعيدا أو تعسا لقد كان شيوعيا مثل أبيه وانما من التابعين المريدين لليون تروتسكى • أمر أراجون باعدامه !!

ارشاد للقارىء

بورتوى لوس سانتوس :

دولة صغيرة وهمية في أمريكا اللاتينية

فلوريس :

عاصمة الدولة الوهمية

بعض شخصيات بورتودى لوس سانتوس

لويس ميجويل مارتينيز اوبرجون :

ديكتارتور بوتوسانتوس السابق

جوان سيزار ماتينيز :

الابن المفضل للديكتاتور والذى يدرس فى الولايات المتحدة .

الجنرال بيريز كاستيلو :

أحد جنرالات بورتوسانتوس

جوزى ماريا ميروسانتيش :

زعيم الإنقلاب ضد الديكتاتور

سانت اندريس مدينا الفاريز

وزير المالية فى حكومة الانقلاب

روبرتو ريان

وزير التعليم فى حكومة الانقلاب

لويس كارلوس ماديرا

وزير الداخلية فى حكومة الانقلاب

اراجون

شخصية شيوعية غامضة فى بورتوسانتوس

بعض الشخصيات الأمريكية

الدكتور جرانت وورثنج كامبل

مساعد وزير خارجية الولايات المتحدة لشـــئون الأمريكتين والمسئول عن تنسيق برنامج التحالف من أجل التقدم .

وليام (بيل) أودنيل

أحد مساعدى الدكتور كامبل

صيمس جونز

أحد مساعدى الدكتور كامبل

السفير بيثويك

سفير الولايات المتحدة لدى حكومة بورتوسانتوس

جوهورد

مستشار السفارة الأمريكية فى بورتوسانتوس والقائم بأعمال السفارة بعد استدعاء السفير ٠

***

المطبعة الثقافية

رقم الايداع بدار الكتب ٤٥٠٩/١٩٧١

الثمن ٤٠ قرشا

الهيئة المصرية العامة